আ. ন. ম. আব্দুল মান্নান খান
এম. এম. (ঢাকা); বি.এ. অনার্স. ডবল স্বর্ণপদকপ্রাপ্ত;
এম.এ.(ঢাকা); আধুনিক আরবী বিশেষজ্ঞ (খার্তুম);
আধুনিক ফার্সী ডিপ্লোমা

অধ্যাপক ও প্রাক্তন চেয়ারম্যান
আরবী বিভাগ
ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়

أبونعمان محمد عبد المنان خان
الأستاذ و الرئيس السابق
القسم العربي ، جامعة داكا

A.N.M. Abdul Mannan Khan
M.M. (Dhaka); B.A. Hons in Arabic (Double Gold Medalist);
M.A. (Dhaka); Specialist Diploma in Teaching Arabic, (Khartoum)

Professor & Ex. Chairman
Department of Arabic, University of Dhaka,
Bangladesh.
Phone : Off. 9661920-59, Ext. 4294
Res. 8618712
Fax : 880-2-861553

Ref : .....

Date : ২৮/১২/২০০২

প্রত্যয়নপত্র

আমি প্রত্যয়ন করছি যে, ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়ের আরবী বিভাগের এম. ফিল. গবেষক মোহাম্মদ রশীদ মকবুল আহমদ কর্তৃক উপস্থাপিত

" موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم "

"মাওক্বেফু আল-মুসতাশরেক্বীন মিন আল-কুরআন আল-কারীম ওয়ামুনাক্বাশাতু আরাইহীম" (পবিত্র কুরআন এর প্রতি প্রাচ্যবিদদের দৃষ্টিভংঙ্গী ও তাদের মতামত পর্যালোচনা) শীর্ষক গবেষণা অভিসন্দর্ভটি আমার প্রত্যক্ষ তত্ত্বাবধানে লিখিত হয়েছে। গবেষণার প্রয়োজনীয় উপাদানগুলো আমার তত্ত্বাবধান ও পরামর্শক্রমে গবেষক নিজেই যথাযথভাবে সংগ্রহ ও সংযোজন করেছে। এটি একটি মৌলিক গবেষণা কর্ম। আমার জানামতে ইতোপূর্বে কোথাও কোন ভাষাতেই এ শিরোনামে এম. ফিল. ডিগ্রী লাভের উদ্দেশ্যে এ বিষয়ে কোন গবেষণা কর্ম সম্পাদিত হয়নি। এই গবেষণা অভিসন্দর্ভটি এম. ফিল. ডিগ্রীর জন্য খুবই সন্তোষজনক।

আমি এই গবেষণা অভিসন্দর্ভটির চূড়ান্ত কপি আদ্যন্ত পাঠ করেছি এবং এম. ফিল. ডিগ্রী লাভের উদ্দেশ্যে উপস্থাপন করার জন্য অনুমোদন করছি।

আ: মান্নান খান ২৮/১২/২০০২

অধ্যাপক আ. ন. ম. আব্দুল মান্নান খান
গবেষণা তত্ত্বাবধায়ক
আরবী বিভাগ
ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়।

400908

ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয় গ্রন্থাগার

ঘোষণাপত্র

এই মর্মে ঘোষণা প্রদান করছি যে,

" موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم"

"মাওক্বেফু, আল-মুশতাশরেক্বীন মিন আল-কুরআন-আল-করীম ওয়ামুনাক্বাশাতু আরাইহীম"

(পবিত্র কুরআন এর প্রতি প্রাচ্যবিদদের দৃষ্টিভংঙ্গী ও তাদের মতামত পর্যালোচনা) শীর্ষক আমার বর্তমান অভিসন্দর্ভের বিষয়বস্তু পূর্ণ অথবা আংশিক ভাবে কোথাও প্রকাশ করিনি। এটি কোন যুগ্ন কর্ম নয় বরং আমার মৌলিক ও একক গবেষণাকর্ম।

400908

২৮/১২/২০০২

মোহাম্মদ রশীদ মকবুল আহমদ

এম. ফিল. গবেষক

রেজিঃ নং- ১৪৬/৯৫-৯৬ ইং

আরবী বিভাগ

ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়।

ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয় গ্রন্থাগার

Dhaka University Institutional Repository

جمهورية بنغلاديش الشعبية
جامعة داكا
كلية الآداب
القسم العربي

موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم

رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير فى الفلسفة
فى اللغة العربية وآدابها

الباحث :
محمد رشيد مقبول أحمد
رقم التسجيل : ١٤٦ / ٩٥ ـ ٩٦م .

400908

تحت إشراف :
فضيلة الشيخ الأستاذ أبو نعمان محمد عبد المنان خان
الرئيس السابق ، والأستاذ للقسم العربى ،
جامعة داكا ، بنغلاديش .

ঢাকা
বিশ্ববিদ্যালয়
গ্রন্থাগার

العام الدارسي : ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦م .

Dhaka University Institutional Repository

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
فهرس المحتويات	١
ـ المقدمة	٥
ـ كلمة شكر وتنويه	١٠
الباب الأول: الاستشراق والمستشرق	
ـ الفصل الأول : مفهوم الاستشراق	١١
ـ الفصل الثانى : مفهوم المستشرق	١٢
الفصل الثالث : نشأة الاستشراق وتاريخه	١٦
ـ الفصل الرابع : أهداف الاستشراق	١٨
: أهداف دينية	١٩
: أهداف تجارية	٢٠
: أهداف سياسية	٢١
: أهداف علمية	٢١
الفصل الخامس : وسائل الاستشراق	٢٢
ـ العمل الجامعي	٢٢
ـ تأليف الكتب	٢٥
ـ العمل الصحفي	٢٧
ـ المؤتمرات الاستشراقية	٢٧
ـ المجامع العلمية	٢٩
ـ إلقاء المحاضرات فى الجامعات	٣٠
ـ الإرساليات الشرقية	٣١
ـ الإرساليات الغربية	٣١
ـ الإرساليات التنصيرية	٣٢
الفصل السادس : أصناف المستشرقين	٣٣

Dhaka University Institutional Repository

الفصل السابع : خدمات المستشرقين وأعمالهم ٣٥

ـ أهم أعمال المستشرقين ٣٧

ـ جمع المخطوطات العربية ٣٧

ـ التحقيق و النشر ٣٨

ـ الترجمة ٣٩

ـ التاليف ٤٠

ـ الفصل الثامن : التعريف ببعض المستشرقين المشهورين ٤٤

ـ بعض المستشرقين المتعصبين ٤٥

ـ بعض المستشرقين المعتدلين ٤٨

ـ الفصل التاسع : مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية ٥٠

ـ الافتراضات المسبقة ٥١

ـ الإدعاء المتعمد ٥٢

ـ الخطأ فى الاستنتاج ٥٣

ـ توارث الآراء ٥٤

ـ التجزئة ٥٤

ـ عدم الدقة فى استعمال المصطلحات ٥٥

ـ استخدام صيغ الشك ٥٥

ـ التعميم ٥٦

ـ الفصل العاشر : ملاحظات على آراء المستشرقين ٥٧

Dhaka University Institutional Repository

الباب الثانى: القرآن الكريم

- الفصل الأول : التعريف بالقرآن الكريم ٦٠
  - المبحث الأول : معنى القرآن لغة واصطلاحا ٦٠
  - المبحث الثانى : أسماء القرآن ٦٢
  - المبحث الثالث : أوصاف القرآن ٦٣
- الفصل الثانى : الفرق بين القرآن والحديث القدسي ٦٤
- الفصل الثالث : مكانة القرآن وفضائله ٦٦
  - بعض الآيات التى تدل على فضائل القرآن ٦٧
  - بعض الأحاديث التى تدل على فضائل القرآن ٦٨
- الفصل الرابع : القرآن معجزة محمد الخالدة ٦٩
- الفصل الخامس : خصائص القرآن الكريم ٧٢
  - القرآن كلام الله تعالى ٧٢
  - القرآن الكريم معجز ٧٣
  - القرآن الكريم مكتوب فى المصاحف ومنقول إلينا بالتواتر ٧٣
  - القرآن قطعي غير مشكوك فيه إطلاقاً ٧٤
  - القرآن محكم ومفصّل ٧٤
  - القرآن فرقان ٧٥
  - القرآن مصدر للكتب الإلهية السابقة ومهيمن عليها ٧٥
  - القرآن يهدي إلى سبل السّلام ٧٦
  - من خصائص القرآن الإخبار بالغيب ٧٦
  - من خصائص القرآن وفاؤه بحاجات البشر ٧٧
  - القرآن لا يصادم الحقائق العلمية ٧٨
  - القرآن متعبّد بتلاوته ٧٨

Dhaka University Institutional Repository

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ، ولم يجعل له عوجاً، وجعله مهيمنا على جميع الكتب السماوية ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأنزله دستوراً للناس جميعاً. والصلاة والسّلام على أفصح العرب ـ محمد بن عبد الله، خاتم النبيين والمرسلين ـ المبعوث إلى العرب والعجم أجمعين . وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن بذل جهده لتعليم القرآن وتعلمه ونشر هداياته وتوجيهاته والدفاع عنه إلى يوم الدين، و بعد :

فمنذ أن بعث الله سيدنا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبلّغا بهذه الرسالة السماوية الأخيرة ، وبدأ ينزل عليه الوحي من خالق السموات والأرض وجدت أعداء ومعاندون من الكفار والمشركين ومن شابههم من اليهود والنصارى في معارضة الدعوة الإسلامية ومقاومتها وخاصة للقرآن الكريم الذي هو المصدر الأوّل و الأساسي للتشريع الإسلامي، وعلى أساسه تقوم عقائد الدين الإسلامي وتنبثق منه أخلاق الإسلام السّامية وآدابه السمحاء . وإذا ثبت أنه وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، فإن الإيمان به يصبح أمراً حتمياً لامفرّ منه .

ومن أجل ذلك اتجهت جهود المقاومين والمناهضين للدعوة الإسلامية قديما وحديثاً إلى زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن ، وفي مصدره وفي صلاحيته.

وقديما حاول المشركون وأعداء القرآن اللغو فيه والطعن والانتقاص من شأنه، لكن باءت كل محاولاتهم بالفشل والذلة ، وسجل القرآن بعض هذه المطاعن في معرض الرد عليهم بقوله : ﴿ وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، قل أنزله الذي يعلم السّر في السموات والأرض﴾ (١) ووصفوه بأنه مفترى من عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويرد القرآن هذا الافتراء بلغة قوية صارمة : ﴿ أم يقولون افتراه ، قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً، هو أعلم بما تفيضون فيه ، كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴾ (٢) وقالوا أيضاً إنه سحر : ﴿ إن هذا إلاّ سحر يؤثر، إن هذا إلاّ قول البشر﴾ (٣) وأشاعوا بأنه قول شاعر أو قول كاهن فأبطل القرآن هذه الدعاوي بقوله :

---

(١)ـ[الفرقان : ٥ ـــ٦] (٢)ـ[الأحقاف : ٨] (٣)ـ[المدثر : ٢٤ـ٢٥] .

Dhaka University Institutional Repository

﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ﴾ (١) . ومن غباوة المشركين أنهم اتهموا الرسول بأنه تلقى القرآن من راهب أعجمى فردّ القرآن هذه التهمة ردًا بليغاً : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربى مبين ﴾(٢)

وبرز فى هذا العصر فريق من الباحثين الغربيين الذين يعرفون باسم" المستشرقين " وهم أشد خطراً وخبثا ، وأعظم مكراً ودهاءً حيث يقومون بدراسة الإسلام وحضارته وثقافته وتاريخه وعقائده بقصد تشويه صورة الإسلام الوضاء ، وهى محاولات يكسوها فى الظاهر المنهج المحايد ، والنزعة العلمية المجردة ، يتغلغل فى باطنها منهج الهوى والتعصّب ، ونزعة العداء والحقد والبغض بدرجات متفاوتة بين المستشرقين ؛ ولأجل ذلك يعد الاستشراق من أخطر الظواهر المضادة للإسلام ، فما عرف التاريخ الإنسانى عبر مراحله المتباينة أن طوائف من أمم مختلفة تنوعت ثقافتها ولغاتها وأعرافها التقت كلمتها واتحدت أهدافها حول العكوف على دراسة دين لا تؤمن به ، لا تريد من ذلك معرفة الحق من الباطل ، وإنما تريد العمل دون كلل من أجل تشويه الإسلام ، وحضارته الإنسانية الرائعة .

فدراسات المستشرقين للإسلام لا تخلو عن نوع من التدسيس و التحريف بجنب ما يقومون به من تحقيق علمى أو اكتشاف تاريخى ، ذاك أن العمل الاستشراقى لم يقم فيما بعد على النوايا المخلصة الطيبة فحسب لكن أصبح مزيجاً من الحق والباطل وإن كان الباطل من القلة والضآلة بحيث لا يعبأبه بإزاء الحق الكبير ، والصّدق الناصع الذى تضمنه إلا أن أقل شيء من الباطل أوالكذب يكفى لهدم أكبر حقيقة والقضاء على أعظم سند علمي وتاريخي (٣)

فقام المستشرقون ضمن مادرسوا بدراسة القرآن الكريم بكل نواحيه : مصدره وجمعه وتدوينه وترجمته ولغته وأسلوبه إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن العظيم ، وأوردوا عليه شبهات كثيرة ومطاعن عديدة هدفهم التشكيك فى صحة القرآن الكريم وقد سيته وصدوره عن الله ، والطعن فى ظاهرة الوحي الإلهي ، ووصف الرسول بصفات ذميمة عند تلقى ذلك الوحي من خالقه . وإرجاع هذه الظاهرة إلى الأمراض النفسية والبشرية ، ونفي الاتصال الخفى بين النبي وخالقه عن طريق الوحي والإلهام. وكل ذلك من أجل معارضته من أساسه ونقض أحكامه ، والتدليل على بشريته .

---

(١)-[الحاقّة : ٤١ – ٤٢] . (٢)-[النحل : ١٠٣]

(٣)- انظر : البعث الإسلامي (العدد الممتاز ، رمضان وشوال ، ١٤٠٢هـ) ص ١٠

Dhaka University Institutional Repository

ولأجل الدفاع عن هذه القضايا المثيرة حول القرآن الكريم من قبل المستشرقين وقع اختيارى على هذا الموضوع " موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم "

ومن العوامل ـ أيضا ـ التى دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع ما يأتى :

ـ القرآن الكريم هو كلام الله تعالىٰ ، وليس من كلام البشر ، ولايستطيع أحد من الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو تقليده ، وأن الله سبحانه وتعالى تحدى به العرب الذين هم أهل فصاحة وبلاغة وبيان للإتيان ولو بسورة قصيرة منه فما قدروا. علاوة ذلك هو المصدر الأول و الأساسي للشريعة الإسلامية الغراء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فأود أن أدافع عن هذ الكتاب المعجز، وأرد الشبهات والمطاعن التى وجهت إليه من قبل المستشرقين حسبة لله، وخدمة لكتاب الله العظيم .

ـ أريد أن أوضح بحقيقة من الحقائق بأن القرآن هو كتاب وحيد من بين الكتب السماوية الذى وصل إلينا بالتواتر ، مكتوباً بالمصاحف، معجزاً من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس، ولم يطرأ عليه أى تحريف أو تبديل أو إضافة ونقص ، ولا دخل لجبريل ولا للنبي فى إنشائه وترتيبه ، بل هو قرآن مجيد.

ـ إن موضوع الاستشراق و المستشرقين موضوع خطير ومهم جدًا ؛ لأن دراساتهم للإسلام وتراثه لا تخلو عن التدسيس والتحريف والتكذيب والافتراء إلى جانب ما يقومون به من تحقيقات علمية أو اكتشافات تاريخية فأردت أن أكشف عن دسائسهم ومؤامرتهم السّرية ونواياهم الخبيثة تجاه الإسلام ومصدره الأساسي الأول .

ـ إن موضوع الاستشراق والمستشرقين ليس نادراً ولا غريبا على الباحثين الواعين فى الدول العربية والإسلامية إلاّ أن معظم العلماء والدارسين فى بلادنا ـ بنغلاديش ـ لا يلمون بهذا الموضوع الحساس ، فأردت من خلال هذه الدراسة لفت أنظارهم إلى هذا وتعريفهم بتاريخه وأهدافه وخدماته الإيجابية والسّلبية، وموقفه من القرآن الكريم .

ـ ومن الحقائق التى لا تنكر بأن موضوع" الاستشراق والمستشرق" وكذلك" الاستشراق والقرآن " لم تحظ بعناية لائقة فى بلادنا ـ بنغلاديش ـ من قبل أرباب المدارس والكليات والجامعات سواء كانت حكومية أو أهلية ـ ماعدا بعض الجامعات الإسلامية التى انشئت حديثاً ـ ولايفكرون لإدراج هذا الموضوع فى المقررات الدراسية، فأردت أن استرعى انتباههم تجاه هذا الموضوع ليعتنوا به .

Dhaka University Institutional Repository

وعلاوة ذلك كله أوثر أن أخدم القرآن الكريم الذى أومن به إيمانا جازماً بأنه أفضل، وأشرف كتاب سماوي على الإطلاق على وجه الأرض ، وأضحى حياتى فى سبيل خدمته ونشر هداياته والدفاع عنه والمقاومة لأعدائه؛ ولأجل هذا وذاك اخترت هذا الموضوع المهم لكتابة البحث ، ولنيل شهادة الماجستير فى الفلسفة فى اللغة العربية وآدابها من القسم العربى بجامعة داكا .

قسّمت هذه الرسالة على مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة ،وكل باب يحتوى على عدة فصول. أماّ المقدمة فى أهمية الموضوع وعوامل اختياره وأهدافه ومناهج البحث ، والمشاكل التى واجهت فى كتابة هذه الرسالة. الباب الاول حول الاستشراق والمستشرق ، وهذا الباب يشتمل على عشرة فصول . تحدثت أولاً عن مفهوم الاستشراق والمستشرق ، وأعطيت فكرة موجزة عن نشأته ومراحله وأهدافه ووسائله ودوافعه وخدماته ومناهجه وبعض الملاحظات القيّمة حول الاستشراق .

والباب الثانى حول القرآن الكريم ، وهذا الباب يحتوى على خمسة فصول أوضحت فيه مفهوم القرآن اللغوي والاصطلاحي وأسمائه وأوصافه والفرق بينه وبين الحديث القدسى ومكانته وفضائله ومعجزاته وكذلك أوردت بعض خصائصه المهمة .

والباب الثالث حول "موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم " تحدثت فيه عن موقف المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم ووحيه وجمعه وترتيبه وترجمته ومكيّه ومدنيه ، وناسخه ومنسوخه ، وقراءته وفواتحه ولغته وخطورته . والخاتمة تشتمل على خلاصة البحث ونتائجه .

ـ واتبعت فى كتابة هذه الرسالة المنهج الوصفي التحليلي بحث شرحت أولاً بإيجاز نظرية الإسلام وموقف علماء المسلمين تجاه هذه القضايا المذكورة ثم أوردت موقف المستشرقين وشبهاتهم وناقشت آرائهم مناقشة علمية مع ذكر الردود العلمية لتلك الشبهات والمطاعن بالأدلة الواضحة والحجج المعقولة .

ـ ولم أجد شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم فى مصدرعلمي واحد وإنما وجدتها متناثرة ومتفرقة فى العديد من المراجع والمباحث واقتبستها من مختلف الكتب والمجلات ثم رتبتها ترتيباً ملائماً، وقمت بالإحالة فى كل صفحة إلى المصادر والمراجع التى أخذت منها المعلومات أو الفكرة.

Dhaka University Institutional Repository

ـ وقد واجهت أنواعاً من الصعوبات والعراقيل في إعداد هذه الرسالة منها قلة المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ، وإن كانت المراجع التى لها علاقة بالاستشراق كثيرة إلاّ أن الذى لها علاقة بهذ الموضوع الخاص قليلة جدًا .

هذا الموضوع واسع جدًا يتطلب من الباحث أن يبذل جهدا بالغاً ويتحمل العناء والصّبر والمثابرة و يكون من الصّعب أو شبه مستحيل حصر جميع آراء المستشرقين حول القرآن الكريم بل أوردت عدداً من الآراء فى كل بحث كنموذج . وهدف هذه الدراسة هى الوقوف على الدراسات الاستشراقية وأهدافها ووسائلها وخدماتها، خاصة موقف المستشرقين من القرآن الكريم و شبهاتهم تجاه ذلك وتفنيد هذه الشبهات والمطاعن والانتباه للمسلمين على دراساتهم للإسلام وتراثه ومؤامراتهم السّرية.

ولا أدعى أنني أديت حق الموضوع تماماً، واستوعبت جميع جوانبه إلاّ أننى بذلت جهدي المستطاع . وحاولت أن يكون بحثاجا معاً مزوداً بالمعلومات التاريخية النافعة،ومتوفراً بالتحقيقات العلمية القيّمة حول الاستشراق وموقفه من القرآن خالياً من الزوائد والإضافات التى لاجدوى فيها ، وأرجو السّمح والمعذرة من القراء الكرام لبعض الهفوات والزلل التى قد ترد دون الشعور منى فى صفحات هذه الرسالة . فليس لمقدور أحد إنجازشيء كامل إلاّ لله عزوجل فالكمال لله وحده ، وأرجو أن تكون هذه الدراسة مساهمة طيبة ومتواضعة ولبنة فى صرح الدراسات الاستشراقية والقرآنية فى بنغلاديش وتكون منفذا وذريعة للتقدم والتطور وإلى الأمام فى هذا المجال. كما أرجو من الله العلي القدير أن يجعل جهدي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به القراء والدارسين ، ويمنحنى به حسن القبول ، ويغفرلي ماوقع فيه من الخطأ والزلل . والله ولي التوفيق ، إنه سميع مجيب قريب .

مقدم الرسالة :

محمد رشيد مقبول أحمد

ديسمبر ٢٠٠٢م

Dhaka University Institutional Repository

كلمة شكر وتنويه

قال الله عز وجل : ﴿.... لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾(١). وقال تعالىٰ أيضاً : ﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربى غنىّ كريم ﴾. (٢) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : "من لم يشكر الناس لم يشكر الله". (٣) وفى رواية أخرى : " لايشكر الله من لا يشكر الناس " . (٤)

انطلاقاً من هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، والآداب الإسلامية السّامية وجب علىّ أولاً أن أشكر الله سبحانه وتعالىٰ ـ على ما وفقنى لإكمال هذه الرسالة ، وإخراجها إلى حيّزالوجود ، وأصل إلى نهاية المطاف ، والفضل كله لله الواحد القهار. ثانياً أقدم الشكر والاعتراف والتقدير إلى جامعة داكا ، والقسم العربى بها ومن قام بإدارتها بكل رغبة وإخلاص، إذمنحت لى هذه الفرصة الذهبية لتكميل هذه الرسالة . ثم أتقدم بجزيل الشكر والتقدير ، والاعتراف بالجميل لأستاذى الجليل فضيلة الشيخ/أبو نعمان محمد عبد المنان خان الموقر ـ حفظه الله تعالىٰ ـ لتجشمه عناء الإشراف على هذه الرسالة فأعطانى من أوقاته الثمينة ، وقدّم إلىّ إرشادات قيّمة وتوجيهات سامية بقلب واسع طوال فترة دراستى ، ولايفوتنى أن أسجل خالص شكرى وتقدير لأساتذة القسم العربى بجامعة داكا الذين شجعونى بتقديم المساعدات العلمية والملاحظات القيّمة، وأخص بالذكر منهم : فضيلة الدكتور الأستاذ/ أبوبكر الصديق الرئيس السابق للقسم العربي.و فضيلة الدكتور الأستاذ/ محمد فضل الرحمٰن الموقر رئيس القسم العربى بجامعة داكا ، ولا أنسى فى هذا المقام فضيلة الدكتور الأستاذ أبوبكر رفيق نائب رئيس الجامعة وعميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، حيث رحبنى بقلب واسع، وزوّدني بتوجيهات سديدة وملاحظات نافعة ولايفوتنى كذلك أن أشكر للأساتذة الأفاضل الذين تحملوا مشقة قراءة الرسالة ومنا قشتها . وكما أشكر للإخوة الأفاضل و الأعزة على مساعدتهم العلمية ومنح وقتهم لقراءة الرسالة وطبعتها وعلى رأسهم الأخ محمد شاكر العالم شوق، والأستاذ محمد أمين الله، و الأستاذ عفيف فرقان، و الأخ عبدل الباري وغيرهم ، فجزاهم الله جميعاً خير ما يجازى به العاملون الصادقون .

---

(١)ـ إبراهيم : ٧ (٢)ـ لقمان : ١٢ . (٣)ـ رواه ابوداؤد : سنن أبى داؤد(ط٢ ، دار سحنون ، ١٩٩٢م ، مج ٥)ص ١٥٨ . (٤)ـ رواه الترمذى : الجامع للترمذى ط٣ . ١٩٩٢ ، ص ٣٣٦.

Dhaka University Institutional Repository

الباب الأوّل : الاستشراق والمستشرق

وهذا الباب يحتوي على عشرة فصول .

الفصل الأوّل : مفهوم الاستشراق (ORIENTALISM)

اختلف الباحثون كثيرا فى المراد من مصطلح الاستشراق ، وتعاريفهم له تأخذ اتجاهات متعددة تبعا لموقفهم منه ، فبينما يرى البعض أنه ميدان علمي من ميادين الدراسة والبحث ، يتجه آخرون إلى اعتباره مؤسسة غربية ذات أهداف متعددة ، فى حين يرى بعض الباحثين أنه ظاهرة طبيعية تولدت عن حركة الصراع بين الشرق والغرب ، أوفى أضيق نطاقا بين الإسلام والمسيحية وبا ستعراض لبعض هذه التعريفات يمكن أن نتبين هذه الاتجاهات التى ينتهجها الباحثون فى النظرة إلى مفهوم الاستشراق .

إن كلمة "الاستشراق" مشتقة من الشرق وهى تعنى طلب الشرق ، ومشرق الشمس ، ومن ثم تدل الكلمة على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية متنوعة ، ويكون المستشرق هو الإنسان الذى وهب نفسه للاهتمام بمايدور فى الشرق من مجالات مختلفة (١)

وفيما يلى أقدم تعريف بعض الباحثين :

١ـ الاستشراق هو علم الشرق أوعلم العالم الشرقى ، وهو ذو معنيين : عام يطلق على كل غربى يشتغل بدراسة الشرق كله ؛ أقصاه ووسطه وأدناه فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه . ومعنى خاص : وهو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي فى لغاته وتاريخه وعقائده... (٢)

١ـ انظر : د. محمد فتح الله الزيادى : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه .(ط ١، دار قتيبة ١٩٩٠م.) ص ١٤ .

٢ـ انظر : د. محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى .(ط ١، كتاب الأمة ، الكويت ، ١٤٠٤هـ) ص ١٨ .

Dhaka University Institutional Repository

٢ ـ الاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله وبوصفه وتدريسه والاستقرار فيه وحكمه وهو بايجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيّادة عليه(١)

٣ـ الاستشراق أسلوب غربى لفهم الشرق والسيطرة عليه ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه . (٢)

٤ـ الاستشراق هو مصطلح أومفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامّة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصّة (٣)

الفصل الثانى : مفهوم المستشرق (ORIENTALIST)

ولأجل الاختلاف فى تحديد مفهوم كلمة" الشرق" و"استشراق" ينشأ عنه اختلاف فى تحديد المستشرق من هو ؟ وفيما يلى أذكر بعض التعريفات التى عرفها الباحثون :

١ـ المستشرقون هم أولئك الأساتذة والباحثون الأكاد يميون الذين تخصصوا فى دراسة اللغة العربية ' والحضارة العربية وبقضايا العالم العربى وبالدين الإسلامى. (٤)

٢ـ المستشرقون اصطلاح يشمل طوائف متعددة تعمل فى ميادين الدراسات الشرقية ' فهم يدرسون العلوم والفنون ' والآداب و الديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق مثل الهند وفارس والصين ' واليابان والعالم العربى وغيرهم من أمم الشرق. (٥)

١ـ إدوارد سعيد : الاستشراق .(ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث' د.ت.) ص ٣٩.

٢ـ د. شكرى النجّار : أهم الاهتمام بالاستشراق . (مجلّة الفكر العربى' العدد ٣١ ' ١٩٨٣م)ص ٧١

٣ـ مالك بن نبى : انتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث .(دار الإرشاد' ١٩٦٩م)ص ٥٠

٤ـ د . ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا .(معهد الإنماء العربى' ط ١) ص ٨٢.

٥ـد. عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة . (دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٠م) ص ٦.

Dhaka University Institutional Repository

٣ـ إننا نعنى بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامى وعن الحضارة الإسلامية . (١)

٤ـ المستشرق هو عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية ' فلا بد أن يتوافر فى هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها فى العالم المتخصص المتعمق حتى ينتج ويفيد البشرية الحضارة بإنتاجه العلمى ولابد أن ينتمى هذا العالم إلى الغرب ...." (٢)

٥ـ ويقول البعلبكى : "المستشرق هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته (٣)

٦ـ أما "إدوارد سعيد" فيقول : إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمى صرف ' والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراقاً . (٤)

٧ـ ويقول الأستاذ عبد الوهاب حمودة : "المستشرق كل من تجرد من أهل الغرب إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية والعربية وتقصى آدابها طلباً لمعرفة شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها أو علومها وآدابها إلى غير ذلك.

ومن خلال عرض التعريفات المختلفة يبدو أن الباحثين يكادون يجمعون على تحديد المستشرق ' بأنه كل من تخصص فى دراسة الشرق أوفى جانب من جوانبه المختلفة إلا أنهم يختلفون فى هوية الذى يمكن أن يسمى مستشرقا' فمنهم من يخصص الكلمة لكل من يتخصص فى دراسة الشرق سواء كان غربيا أم شرقيا ومنهم من يخرج الشرقى من دائرة المستشرقين باعتبار أنه غير غريب على الشرق حتى يستحق مصطلحا خاصا والذى أود الإشارة إليه هناهو أن المتبادر إلى الذهن أن المستشرق من تخصص فى دراسة الإسلام والعرب من غير المسلمين' ولعل هذا راجع إلى أن معظم بحوث هذه الفئة تركزت حول العرب والإسلام .

١ـ مالك بن نبى : انتاج المستشرقين واثره فى الفكر الإسلامى الحديث.(دار الإرشاد' ١٩٦٩م) ص ٥٠.

٢ـ راجع : د.محمد فتح الله الزيادى : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه(دار قتيبة' ط١' ١٩٩١م)ص ٤٣

٣ـ منير البعلبكى : قاموس المورد.(دار العلم للملايين' ١٩٧٩م)

٤ـ عبد الوهاب حمودة : من مقال بعنوان (من زلات المستشرقين) مجلة لواء الإسلام (العدد السادس' السنة الرابعة' نوفمبر' ١٩٥٠م) .

Dhaka University Institutional Repository

ويقول الدكتور محمد فتح الله الزيادى : حول ذلك والحقيقة أنه رغم ما عرف به الباحثون المستشرق فإنه فى نظرى تبقى كلمة المستشرق تدل دلالتين أكاديمية وهى ما تنا ولها الباحثون من التعريفات ' وعامة وهى كل من تعرض لحضارة العرب والإسلام باالدراسة وخاصة من اتصف بالدس والكيد على الإسلام . (١)

هذه فقط نماذج لرؤى بعض الباحثين لمفهوم الاستشراق و مهما يكن من أمر فإن تحديد المصطلح ينبغى أن يمر بفهم لغوى تحدده الألف والسين والتاء التى هى حروف تدل فى مجموعها على الطّلب ومن ثم فإن الاستشراق هو طلب الشرق ' وتحت هذا المعنى تدخل مفاهيم عديدة فزيارة الشرق أو الاهتمام أوالكتابة عنه أو القراءة حوله أو التخصص فيه أو استعماره كلها تسمىّ استشراقا... ولكن المعنى اللغوى عادة لايسعف بتحديد المعانى نظرا لاتساعه وشموله لمعانى متعددة ولذلك و انطلاقا من المعنى اللغوى ذاته فإننا محتاجون إلى فهم مصطلح الشرق محور القضّية وأول ما يتبادر إلى الذهن هو المعنى الجغرافى للكلمة وهو غير مراد على الإطلاق : لأن تحديد الشرق جغرا فيّا يختلف من جهة إلى أخرى تبعاً للجهة المحدد منها فالشرق بالنسبة لألمانى هو غير الشرق باالنسبة لليابانى وهكذا (٢)

ولذلك يجب النظر إلى هذه الكلمة من زاوية تاريخية أساسها أن حكمة الله تعالىٰ اقتضت أن يخضع العالم إلى سيطرة قوتين كبيرتين تحققان التوازن إحداهما فى الشرق والأخرى فى الغرب ' تمثل ذلك فى الصراع بين الفرس والروم ثم بين المسلمين والروم ثم بين المسلمين والصليبيين ثم بين العثمانيين والأوربيين ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصّلات بين الشرق ممثلا فى آسيا وأفريقيا وبين الغرب ممثلا فى أوربا وأمريكا. (٣)

١- راجع : د. محمد فتح الله الزيادى : انتشار الإسلام و موقف المستشرقين منه. ص ٤٤ ــ ٤٥ .

٢- رودى بارت : الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعة الألمانية (ترجمة مصطفى ماهر ' دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ' القاهرة ' ١٩٦٧م) ص ١٨.

٣- محمد حسين : الإسلام والحضارة العربية . (دار الإرشاد' بيروت ' ط١ ' ١٩٤٩م) ، ص ٤٥ '

Dhaka University Institutional Repository

وهكذا يمكن أن نقف على مدلول أولي لمصطلح الاستشراق فهو طلب الشرق ـ الذي هو آسيا وأفريقيا ـ من قبل الغرب الذى هو أوربا وأمريكا ـ ولكن مانوعية هذا الطلب ؟ فالذى رأى الاستشراق من زاوية معرفية قال : إن الاستشراق هو معرفة الغربيين بالعالم الشرقى' أو هو اتجاه الغربيين للبحث أو التخصص فى الشرق ومن رآه من زاوية سياسية قال إن الاستشراق هو جهود الغربيين لمعرفة الشرق والسّيطرة عليه أو هو الأسلوب الغربي للسيطرة على الشرق..

ويقول الدكتور محمد فتح الله الزيادي حول هذه القضية مايلى : "وأخيرا فإنى أعتقد أن إنتاج المستشرقين هو الذى يساعد فى إدراك مصطلح الاستشراق ' فمن المعروف أن المستشرقين قد ركزوا أبحاثهم واهتما ما تهم حول قضية معينة من قضايا الشرق وهى الإسلام والعروبة . ومن هنارأى بعض الباحثين أن الاستشراق له مفهومان أحدهما عام ويقصد به كل الدراسات الغربية التى تعرضت لحضارة العرب والمسلمين . وخاصة تلك التى اتصفت بالدس والتشويه.ومفهوم خاص أو أكا ديمي وهو الدراسات الغربية التى تناولت الشرق من جميع جوانبه الدينية ' والاقتصادية' والسياسية والاجتماعية". (١)

١ـ راجع : د.محمد فتح الله الزيادى : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه . ص ٤٤ ــ ٤٥ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث : نشأة الاستشراق و تاريخه

لا يمكن التعرف بدقة إلى البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق ذلك لأنه حركة نشأت بجهود عفوية ثم ما لبثت أن تطورت لتكون حركة منظمة لها كوادرها ، ومؤسساتها المختلفة ، والباحثون يختلفون كثيرا في تحديد تاريخ معيّن لظهور الاستشراق تبعا لاختلافهم في المراد منه أهو مجرد زيارة الشرق أم هو الكتابة حوله ؟ خاصّة تلك الكتابات الوصفية الأولية أم هو التعمق في الدراسات المتصلة با الشرق لأي غرض كانت هذه الدراسة وهكذا ونتيجة لاختلاف المراد من الاستشراق توسع بعض الباحثين في نشأته فرده بعضهم إلى فترة ما قبل الميلاد وتطرّف آخرون ليردوا نشأته إلى حملة " نابليون" على مصر متناسين كل ما سبقها من جهود غربية لفهم الشرق والتعرّف عليه . هذا ويمكن حصر آراء الباحثين في تاريخ الاستشراق في النقاط التالية :

١ـ ذهب بعض الباحثين إلى أن الاستشراق بدأ في القرن السادس قبل الميلاد والمراد بالاستشراق عندهم : هو زيارة الشرق ومعرفة تقاليدهم دون التدخل في الجانب العلمي أوالديني أوالسياسي كالمورخ اليوناني الإغريقي " هيردوتس" الذي زار الشرق وكتب عنه وهو أول مستشرق (١)

٢ـ يرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميلادي ـ في العهدالأموي ـ ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض المسيحين عن الإسلام أمثال " يوحنا الدمشقي " (٦٧٦=٧٤٩) العالم النصراني الذي قام بدراسة الإسلام بقصد التشويه ولأجل حماية إخوانهم النصارى ـ ومن بين مصنفاته : محاورة مع مسلم ، إرشادات النصارى في جدل المسلمين (٢)

٣ـ ويرى الكثرة من الباحثين أنه نشأ في القرن العاشر الميلادي حين بدأت التلمذة الغربية على الشرق التي كان رائدها الراهب "جربرت" الذي تعلم العربية في قرطبة ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية تحت سلفستر الثاني (٣)

١ـ راجع : د. ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية (مركز دراسات العالم الإسلامي ، مالطا ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩١) ص ٢٧.

٢ـ راجع : د. محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ص ١٩.

٣ـ المرجع السابق ، ص ٢٠ .

Dhaka University Institutional Repository

٤ـ وهناك من يقول : إن الاستشراق نشأ فى القرن الثانى عشر ويستدل على ذلك بظهور أول انتاج استشراقى تمثل فى أوّل ترجمة لمعانى القرآن وكذالك ظهور أول قاموس لاتينى عربى. (١)

٥ـ وذهب بعض الباحثين إلى أنه بدأ منذ القرن الثالث عشر الميلادى ويرى أن الاستشراق يعتبر نتيجة من نتائج الحروب الصليبية ذلك أن هذه الحروب كانت آخر مراحل الصراع الدينى المسلح بين المسلمين والمسيحيين وأن هؤلاء ربما أقنعوا بأنه لا يمكن الانتصار على المسلمين عسكريا وهم متمسكون بدينهم ولكن يتم قهرهم والسيطرة عليهم يجب الفصل بينهم وبين دينهم عن طريق ما عرف فيما بعد بالغزو الفكر الذى كان الاستشراق أحد أهم مظاهره ' ونتيجة لهذه القناعة توالت الكنيسة هذا العمل وقامت برعاية كل الجهود الرامية إلى تعلم العربية ' وفهم الدين الإسلامى ' وهى الجهود التى تطورت بعد ذلك لتكون حركة الاستشراق. (٢)

٦ـ واخيراً فإن البعض يرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر ' متخذاً من حملة "نا بليون" على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية وعلى الرغم من أن هذه الحملة عسكرية إلاّ ان اصطحاب نابليون معه مطبعة وعدداً من العلماء والباحثين هو الذى دفع إلى القول بأنها بداية الاستشراق. (٣)

ولا يفوتنى أن أذكر بهذه الصدد بأن أوّل استعمال لكلمة مستشرق كان سنة ١٦٣٠ م حين أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية ثم فى سنة ١٦٩٠ م وصف صمويل كلارك بأنه استشراقى نابه حين عرف بعض اللغات الشرقية. (٤)

ولم يظهر مفهوم الاستشراق (ORIENTALISM) فى أوربا إلاّ فى نهاية القرن الثامن عشر ' فقدظهر أولاً فى إنجلترا عام ١٧٧٩ م' وفى فرنسا ١٧٩٩م' كما أدرج فى قاموس الأكاديمية الفرنسية ١٨٣٨م. (٥)

---

١ ـ د. محمد فتح الله الزيادى : الاستشراق أهدافه ووسائله(طرابلس ' ط ١ ' ١٩٩٨م) ص ٢٥ .

٢ـ المرجع السابق' ص ٢٥ .

٣ ـ أربرى : المستشرقون البريطانيون. (ترجمة ' د. محمد النويهى) لندن ' ١٩٤٦ م' ص ٨.

٤ ـ الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة(الندوة العالمية للشباب الإسلامى ' الرياض ' ط٢ ' ١٩٨٩م ') ص ٣٣ .

٥ ـ راجع : د. محمد فتح الله الزيادى : الاستشراق أهدافه ووسائله(ط ١ ' ١٩٩٨)ص ٣٣ ـ ٣٤ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع : أهداف الاستشراق

سؤال : يترد دائما في أذهان الباحثين والمفكرين ممن تناولوا علاقة الشرق بالغرب وهو : ما الهدف من اهتمام الغربيين بالشرق؟ الآلاف من المستشرقين الباحثين في مختلف نواحي الحضارة العربية ' عشرات اللغة المستخدمة في دراساتهم ' المئات من المؤسسات والجامعات التي تفتح أبوا بها لاحتضان ورعاية هذه الدراسات ' كل ذلك يجري لدراسة حضارة غريبة عنهم ' ومن هنا يزداد السؤال تشعباً ' هل كل الأمم اهتمت بحضارات بعضها بنفس القدر الذى اهتم به الأوربيون بالحضارة العربية ؟ أيكون اهتمام الأوربين بالحضارة العربية في إطارالاستفادة العلمية كما استفاد العرب من حضارات من سبقهم ؟ كل هذه الافتراضات قائمة في ميدان البحث العلمي ' والإجابة عنها قد تكون ميسرة الآن ' حركة الاستشراق تجاوزت عشرة قرون ونتاجها الفكرى طوال هذه الفترة قد تكون كافياً لبناء حكم حول طبيعة وأهداف هذه الحركة ' وخاض الباحثون كثيراً في تحديد هذه الأهداف وتناولها في كتب ومقالات متعددة وذهب الدكتور محمد فتح الله الزيادي إلى أنه يمكن إجمال هذه الأهداف في هدفين رئيسين هما : هدف بنائي وهدف هدمي .

الأول : (الهدف البنائي) يتمثل في إقبال المستشرقين على التراث الإسلامي جمعاً و دراسة و تحقيقاً ونشرا وترجمةً بقصد الاستفادة العلمية من علوم ومعارف الأمة العربية التي وصلت أعلى سلّم التقدم العلمي عند قيام حركة الاستشراق ' ولم تكن هذه الاستفادة جوانب مادية فقط ' وإنما شملت جوانب عقدية تمثلت في محاولة التعرف الدقيق على العقيدة التي كانت سببا وراء قيام هذه الحضارة ولذلك تخصص عدد كبير من الأوربين في دراسة القرآن من جميع جوانبه وفي السنة النبوية والفقه والتاريخ الإسلامي وغير ها من المجالات ' ولكن استفادتهم وقفت عند الحد المعرفي ولم تتجاوزه إلى الجانب التطبيقي .

الثاني : (الهدف الهدمي) ويراد به هدم أو اصرا الترابط بين إنسان هذه الحضارة و بين عقيدته وذلك من أجل ألا تتجدد هذه الحضارة التي أريد لها الاندثار ' ليخلو المجال لحضارة الغرب المادية وتحقيقاً لهذا تتابعت الدراسات غير العلمية التي قدمت التراث الإسلامي في شكل مشوه واعتمد على الحذف والتغيير وسوء الاستنتاج ' وتفسير الوقائع على غير حقيقتها وحتى على الكذب والتزوير المتعمداً حياناً (١)

١ـ عبد الرحمان حسن الميداني : أجنحة المكر الثلاثة (دار القلم ' دمشق ' ط١ ' ١٩٧٥ م) ص ٤٧.

Dhaka University Institutional Repository

وذهب كل من الدكتور مصطفى السباعي والدكتور محمود حمدي زقزوق إلى أن للاستشراق أهدافا دينية وسياسية وتجارية وعلمية وأنا أجمل فيما يلي خلاصة تلك الأهداف :

١ـ أهداف دينية :

ولعلّ من أهداف المستشرقين : هي محاولة إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام كدين وعن الشرق كحضارة،وعن العربية كتراث و قومية ، وتحطيم الإسلام من داخله عن طريق تشكيك المسلمين في كتابهم ونبيهم وتراثهم حتى يتم فصلهم عن دينهم وتفتيت وحدتهم؛لأن في تمسكهم بهذا الدين وحدة من شأنها أن تهدد الكيان الغربي ولأن في تمسكم بهذ الدين رقيا وتقدماً وحضارة مادية ومعنوية من شأنها أن تؤثر في مجرى حضارة الغرب المادية الزائفة ' وهذا التخوف والحذر من العقيدة الإسلامية لم يعد سرًا بل أعلن عنه كثير من المستشرقين في بحوثهم ومؤلفاتهم ومجلاتهم العلمية . وهاهي مجلة العالم الإسلامي تقول :" إن شبئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ' ولهذا الخوف أسبابا منها : أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل هو دائماً في ازديادوا تساع ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل من أركانه الجهاد . ولم يتفق قط أن شعبا دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً" (١) وهذا هو الإسلام في المفهوم الغربي ' ومن ثم فإن كل الجهود يجب أن تتوحد لتحويل المسلمين عن التمسك بعقيدتهم ولتحقيق هذا الهدف قاموا با الخطوات التالية :

أولا : التشكيك في رسالة محمد ﷺ ' ويحاولون إبعاد صفة النبوة عن الرسول عليه الصّلاة والسلام ' ويفسرون بعض مظاهر الوحي التي كان يراها الصحابة عند نزول الوحي على النبي بأنها نوع من التّصرع أوالتخيلات الذهنية وأحيانا يرجعونها إلى أمراض نفسية قديمة وغير ذلك من تخبط المستشرقين في تفسير مظاهر الوحي .

ثانيا : التشكيك في دستور الإسلام الخالدوا المعجزة الباقية ـ القرآن الكريم ـ فهم يرون أن محمداً ﷺ استمد القرآن من كتب الأمم السابقة وحين يواجهون بالردود العلمية الصحيحة لايجد الكثير منهم إلا أن يقول : إن القرآن راجع إلى ذكاء محمد ﷺ وعبقريته وقوة بيانه...."

---

١ ـ راجع : د . مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون (دار السّلام ' القاهرة ' ط ا) ص ٢٧ـ٢٨ .

وراجع : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه ' ص ٦٢ ــ ٦٣ .

Dhaka University Institutional Repository

ثالثا : التشكيك فى الدين الإسلامى نفسه ، وأنه ليس دينا منزلاً من عند الله ـ بل هو مستمد من الديانيتن اللتين سبقتا ظهور الإسلام وهما اليهودية والنصرانية ويعللون لذلك بوجود نقاط التقاء بين الديانتين السابقتين والدين الإسلامى ، وهذا ليس بمستغرب فهو راجع إلى وحدة الرسالات ومصدرها الواحد ـ وهو الله تبارك وتعالى .

رابعا : التشكيك فى صحة السّنة النبوية وذلك لماتمثله من دعامة متينة فى صرح الشريعة الإسلامية لكونها المصدر الثانى من مصادر التشريع ، ويستند المستشرقون فى دعوتهم هذه إلى مادخل فى رواية الأحاديث من دس وتحريف متناسين جهود العلماء فى تصحيح السّنة وإثبات مانسب إلى الرسول مما اختلق عليه .

خامسا : التشكيك فى معظم جوانب التراث الإسلامى العلمى الحضارى فهم يرون أن الفقه الإسلامى مستمد من الفقه الرومانى ، ويرون أن اللغة العربية غير قادرة على مسايرة التطور العلمى حتى تظلّ الأمة العربية عالة على المصطلحات الغربية ، وكل ذلك بهدف إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم الفكري والحضاري. (١)

٢ = أهداف تجارية :

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية فى عصر ماقبل الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى فى القرنين ـ التاسع عشر والعشرين ـ فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التى كانت فى طريقها للازدهار . ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسّة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية و الزراعية والبشرية حتى يحسنوالتعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم ـ ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك فى بعض الأحيان يزودون الباحثين بمايحتاجون إليه من مال كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية (٢)

---

١ ـ د .محمود حمدى زقزق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . ص ٧٤ .

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

Dhaka University Institutional Repository

٣ ـ أهداف سياسية :

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جليلة واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين ـ واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد ، وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها ، وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة "(١)

٤ ـ أهداف علمية :

هناك صنف قليل من المستشرقين الذين اتجهوا إلى دراسة الإسلام والتراث العربي والإسلامي دراسة علمية خالصة تجلولهم بعض الحقائق الخافية عنهم وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لايسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إمالجهله بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها ، فيحبون أن يتصورها كما يتصورون مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها .

وهذه الفئة أسلم الفئات كلها في أهدافها وأقلها خطراً ؛ إذ سرعان مايرجعون إلى الحق حين يتبين لهم . ومن هذه الفئة " توماس أرنولد" حيث أنصف المسلمين في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " (٢)

١ـ المرجع السابق : ص ٧٤ ـ ٧٥ .

٢ـ د. مصطفى السباعي : راجع : الاستشراق والمستشرقون ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الخامس : وسائل الاستشراق

نقصد بوسائل الاستشراق كل ما استخدمه المستشرقون من أدوات وطرق لتوصيل أفكارهم ونظرياتهم سواء أكان ذلك للعالم الغربي، أم إلى شعوب العالم الشرقي، وقدتنوعت وسائلهم واختلفت باختلاف الأوقات والظروف ومن تلك الوسائل مايأتى :

١ـ العمل الجامعي :

ويشمل هذا النوع من العمل الذى يكاد يكون السمة الرئيسة للعمل الاستشراقي التدريس، وإنشاء كراسي الدراسات الشرقية، والمعاهد المتخصصة فى مجال اللغات الشرقية، والإشراف على برامج الدراسات العليا، وتنظيم المحاضرات واللقاءات الفكرية المتنوعة، وتاليف الكتب المنهجية والمستهدف بهذا النشاط الفكري ليس العربي وحده وإنما يصل ذلك إلى عقول شبابنا ممن دفعنا بهم إلى التعلم فى المؤسسات الغربية والذين كانوا ولايزالون أكثر الناس تعرضا لحملات الفكر الاستشراقي المضادة للإسلام، وطلابنا الذين هم بحاجة إلى المؤسسات العلمية الغربية لايستطيعون مواجهة أساتذتهم من المستشرقين فيما يوردونه من تحريفات وأغلاط تاريخية ومنهجية ؛ لأن ذلك يجر عليهم سخطا تكون نتيجة الحرمان من مواصلة التعليم أحيانا. وينقل الدكتور محمد فتح الله الزيادي فى كتابه مانصه : " وقدأخبر ني صديق يرأس قسم اللغة العربية بجامعة أكرا أنه درس فى إنجلترا على أستاذ يدعي (فيشر) وحدث أن ألقى هذا المستشرق محاضرة عامة تهجم فيها على الإسلام وعلى الشرق فرد عليه هذا الطالب بأسلوب مؤدب مصححا ماوقع فيه أستاذه من أغلاط، وكانت النتيجة أن هجره أستاذه لمدة شهر كامل، ثم رفض الاستمرار فى الإشراف عليه وبالتالى توجب عليه العودة إلى بلده دون إتمام دراسته" (١)

---

(١) – د. محمد فتح الله الزيادى: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص ٤٨ .

Dhaka University Institutional Repository

ويذكر الدكتور مصطفى السباعى - رحمه الله - فى تلك الجولة التى طاف فيها على جامعات كثيرة فى أوربا سنه ١٩٥٦م ما أخبره به البروفسور إندرسون" من أنه أسقط **أحد المتخرجين من** الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراة فى التشريع الإسلامي من جامعة لندن لسبب واحد، هو أنه قدم أطروحته عن حقوق المراة فى الإسلام وقد برهن فيها أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة، فعجبت من ذلك وسألت هذا المستشرق وكيف أسقطته ومنعته من نوال الدكتوراة لهذا السبب وأنتم تدعون حرية الفكر فى جامعاتكم؟ قال : لأنه كان يقول : الإسلام يمنح المرأه كذا، والإسلام قرر للمرأة كذا فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام؟ ! هل هو أبو حنيفه أو الشافعى حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الإسلام؟!---" (١) وغير ذلك كثير تمتلئ به كتب اهتمت بمثل هذه القضايا.

ونظرا لأهمية التدريس الجامعى فى نشر الفكر الاستشراقى فقد عمل المستشرقون على الدخول فى الجامعات العربية خاصة والشرقية عامة، وشهدت كثير من هذه الجامعات عصرا كان المستشرقون هم رواد التدريس فيها ونذكر على سبيل المثال : بلتيه (٢) الذى درس فى كلية الحقوق بالجزائر - و(هوداس)(٣) الذى عين أستاذ اللغة العربية فى الجزائر.

---

(١) راجع : د. إسماعيل سالم عبد العال: المستشرقون والقرآن، ص ١٦ - راجع: الاستشراق والمستشرقون د. مصطفى السباعى.

(٢) بلتيه...(Peltierer) مستشرق فرنسي له عدد محدود من الأعمال منها تراجم من صحيح البخاري مثل : البيوع والسلم والخيار، والبيوع من المؤطا لمالك ابن أنس انظر : العقيقي المستشرقون ج١، ص ٢١٧.

(٣) Houdas.o، مستشرق فرنسي كبير ولد سنة ١٨٤٠م، وتوفى سنة ١٩١٦ م، اهتم بقضايا المغرب الأقصى ثم عنى بتاريخ السودان ومن أعماله : تاريخ المغرب الحديث، وترجمة كتاب تاريخ السودان لعبد الرحمن التنبكتي انظر : د. عبدالرحمن بدوي(موسوعة المستشرقين) ص ٤٢٩.

Dhaka University Institutional Repository

و (هنري باسة)(١) الذى عين مديرا لمعهد الدراسات العليا فى الرباط وفى الجامعات المصرية كان الإيطاليون : جويدي (٢) وسانتلالاما (٣) ونللينو(٤) والفرنسي **كازانوفا(٥) والبلجيكى جريجوار(٦) والألماني شاخت (٧) وغيرهم كثير.**

---

(١) هنري باسه Passet. H.، أحد أفراد عائلة باسة الاستشراقية الشهيرة التى اهتمت بدراسة الإسلام والمسلمين وما يتعلق منها بقصة البربر لصفة خاصة، عين مديرا لمعهد الدراسات العليا فى الرباط وتوفى سنة ١٩٢٩م، ومن أعماله : تاريخ أداب قبائل البربر، التأثيرات الفينيقية لدي البربر انظر: (العقيقي ٠ المستشرقون) ج١ـ ص ٢٢٧ـ

٢ ـ إنيا تسيو جويدى Ignazioguidi أحد أبرز أعلام المستشرقين الإيطاليين ولد بروما، سنة ١٨٤٤، ودرس اللغة العربية فى جامعاتها، زار عدداً من البلدان العربية و عين أستاذا لأدب العربي فى الجامعة المصرية أتقن اللغة العربية و حاضربها، ومن أعماله : تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ـ انظر : ميثال جحا (الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا) ص ٩٣ـ

٣ ـ سانتلانا David santillana ، من ألمع المستشرقين الإطاليين ولد سنة ١٨٥٥م، و توفى سنة ١٩٣١م، اهتم بالفلسفة الإسلامية، و القانون ـ اشترك فى اللجنة التى أعدت القوانين التونسية ومن أعماله المهمة : الموجز فى الحقوق الإسلامية، و فقا للمذهب المالكى ـ انظر: ميثال جحا (الدراسات العربية والإسلامية) ص ٩١ـ

٤ ـ كارلو نللينو C. Nallino من أشهر المستعربين فى إيطاليا، و لد فى تورينو سنة ١٨٧٢م، رحل إلى البلاد العربية كثيراً، ودرس فى الجامعة المصرية، ومن أبرز تلاميذه فيها الدكتور طه حسين، اختص باللغة العربية والحضارة الإسلامية ومن أشهر مؤلفاته: تاريخ الأدب العربى، و تاريخ الفلك عند العرب فى القرون الوسطى ـ انظر: ميثال جحا (الدراسات العربية والإسلاميةفى أوربا) ص ٩٤ـ

٥ ـ كازانوفا Casanova مستشرق فرنسي كبير، ولد سنة ١٩٢٦م ، رحل إلى مصر و اهتم بها و انتدبته الجامعة المصرية أستاذا لفقه اللغة، له مولفات كثيرة منها : محمد و انتهاء العالم فى عقيدة الإسلام الأصلية ـ انظر: العقيقي ٠ المستشرقون ج١ ، ص ٢٢٥ـ

٦ـ جريجوار Gregoire مستشرق بلجيكى، ولد سنة ١٨٨٨م، عين عميدا لكلية الآداب بالجامعة المصرية من ١٩٢٦ـ ١٩٣٠ م ومن أعماله : الإسلام والملحمة البيزنطية، الأرض بين بيزنطة والإسلام.

٧ ـ شاخت TOSEPH SCHACHT من أشهر المستشرقين الألمان ، ولد سنة ١٩٠٢م ، انتدب للتدريس بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٤م، أحدالذين أشرفوا على دائره المعارف الإسلامية، تخصص فى الإسلاميات وخاصة فى الفقه، نشر وحقق عددا من المخطوطات من أعماله: كتاب الحيل فى الفقه للقزويني كتاب الشفعة للصحوي ، اختلاف الفقها للطبرى ، انظر : د ـ بدوي (موسوعة المستشرقين) ص ٢٥٢ـ

Dhaka University Institutional Repository

وكان" الفرد كارلتون A. Karlton" (١) فى سوريا و زويمر(٢) فى بيروت يشتغل كمدير معهد الدراسات الإسلامية---- تلك القائمة الطويلةمن أسماء المستشرقين الذين عملوا فى الجامعة الشرقية أساتذة و قيا ديين فى مؤسسات علمية، و كان لهم أثر كبير فى خلق أجواء ثقافية جديدة و خلق جيل جديد تشبع بتيار الثقافة الغربية---------- (٣)

٢ ـ تأليف الكتب و المعاجم و الموسوعات :

شغل التاليف مكانا هاما فى نشاط المستشرقين حيث توجهت أقلامهم للكتابة حول كل شيء يتعلق بالشرق لغة وأدباً ودينا و عقيدة و فنونا وتراثا و غير ذلك ففى مجال تأليف الكتب نذكر أن ما يقرب ٦٠,٠٠٠ كتاب وقد ألفت حول الشرق من قبل الغربيين فى الفترة ما بين ١٩٠٠م، إلى ١٩٥٠ م ـ (٤)

زد على ذلك قبل هذه الفترة و بعدها حتى يومنا هذا، ولم تكن هذه المؤلفات ذات طابع واحد فقد كان الكثير منها يمتلىء بالأخطاء المنهجية والعلمية و يتميز بالأحكام المسبقة، خاصة ما كان منها متعلقاً بالدين الإسلامى بصورة أدق و كان بعضها يخلو ماكان من مثل هذه السلبيات و يتسم الروح العلمية المنهجية إلا أن اعتماده على مرجعية غربية كاملة نظرا لضعف اللغة أدى إلى الوقوع فى بعض المزالق أما القليل النادر من هذه المؤلفات فهو ما كانت الأمور معروضة فيه بصورة علمية منهجية صحيحة وهو الذى يدخل فى نطاق أبحاث الدافع العلمى.

---

(١) ..الفرد كارلتون.. (A. Karlton) مستشرق أمريكى معاصر، عمل مديراً لكلية حلب، ثم عين نائباً لرئيس جامعة الدول الأمريكية السورية فى الخارج ـ انظر : د. محمد البهى، الفكر الإسلامى الحديث(دار الفكر) ص ٤٥٠ ـ

(٢) ..زويمر.. (Roemer) مستشرق ألمانى، ولد سنة ١٩١٥م، شغل منصب معهد الآثار الألمانية فى القاهرة خلف بعض الأعمال منها: الصفويون ، و ثائق لتاريخ مصر و إيران فى العصر الإسلامى.

(٣) راجع: د. محمد فتح الله الزيادى: الاستشراق أهدافه و وسائله، ص ٥١ ـ

(٤) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص ٢١٦ ـ

Dhaka University Institutional Repository

أما موضوع المعاجم فقد قام المستشرقون فيه بجهد فريد لا ينكره إلا من جهله، و لم يقف على حقيقته ، فما قام به هولاء في هذا الجانب قد خدم الباحثين كثيراً في مجالات مختلفة و سد فراغا هائلا كانت تعاني منه المكتبة العربية.

وإذا كان لنا من أمثلة على ذلك فلنذكر تاريخ الأدب العربي (١)لـ ,, كارل برو كلمان،، [ت ١٩٥٦] في سبع مجلدات، وتاريخ الأدب العربي لـ هامر برجتشال الذى ترجم فيه لـ ٩٩١٥ أديباً و شاعرا، وهناك معجم فينشك الروسي عمل فيه لمدة ١٥ سنة و توفي ولم يكمله و يشتمل دراسات اللهجات في سوريا ولبنان و فلسطين و معجم فيشر اللغوي الأدبي المقارن باللغات السامية القديمة (٢) وهناك المعجم العام ,, لهوبلر الفرنسي،، و معجم الإسلام (هيوز) والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي وضعه مجموعة من المستشرقين بإشراف ,,و نسنك ومنسج،، و يشمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي و مؤطا مالك و مسند أحمد بن حنبل، و قدتم نشره في سبعة مجلدات ضخمة (٣) ويأتي على رأس هذه المعاجم كلها دائرة المعارف الإسلامية التي ظهرت في الفترة مابين ١٩٣٨-١٩١٣م وعلى الرغم من مآخذ كثيرة فإنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين وأصبحت مرجعا مهما للباحثين وخاصة في مجال الدراسات الإسلامية وترجمت وظهرت في طبعات متعددة (٤)

---

(١) هو سجل للمصنفات العربية المخطوط منها والمطبوع، كتاب أساسي في الدراسات العربية والإسلامية و قد قام بروكلمان بهذا العمل الضخم بمفرده .

(٢) فقد قضى أو جست فيشر (ت ١٩٤٩) أربعين عاما في ,, في جمعه و تنسيقه و تعاون معه عدد من المستشرقين .

(٣) راجع: د. محمد فتح الله الزيادي (الاستشراق أهدافه و وسائله، ص ٥٢ . و راجع: د/ محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٦٦-٦٩ .

(٤) المصدر السابق، ص ٥٣ .

Dhaka University Institutional Repository

٣ ـ العمل الصحفي :

نظرا لما للصحيفة والمجلة من أهمية فى تقديم المعلومات المختصرة بصورة متجددة وانتشار واسع فقد عمل المستشرقون على إرتياد العمل الصحفي بإنشاء العديد من المجلات المتخصصة والعامة وقدقاربت المجلات الا ستشراقية ٣٠٠ مجلة بمختلف اللغات ومنها على سبيل المثال: المجلة الآسيوية الفرنسية ومجلة الجمعية الآسوية الملكية الإنجليزية ومجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ومجلة شؤون الشرق الأوسط ومن أخطرالمجلات ذات الطابع الاستشراقي الحاقد مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها عميد التبشير العالمي (صمويل زويمر)سنة ١٩١١م .

وللمستشرقين الفرنسية مجلة تحمل نفس الإسم وتصدر بنفس الإسم وتصدر بنفس الروح ومنها أيضا صحيفة العلماء التى تصدر فى فرنسا ونشرة المعهد الفرنسي للآثارالشرقية فى القاهرة، وكانت أول مجلة استشراقية متخصصة فى أوربا صدرت على يد ها مر برجشتال فى فينا باسم كنوزالشرق في ١٩١٨-١٩٠٩م.(١)

٤ ـ المؤتمرات الاستشراقية :

من ضمن الوسائل التي ساهم في تنشيط العمل الاستشراقى فكرة المؤتمرات الاستشراقية التي تجمع مائفرق من جهود المستشرقين الموجودين فى أماكن متعددة من أوربا فهذه المؤتمرات كانت فرصة للقاء والتعارف وفرصة أيضا لتوحيد الجهود وتنظيمها وقدكانت ذات مستويين مؤتمرات عامة وأخرى محلية. أما الأولى فقد انطلقت من دعوة وجهها العالم الفرنسي ,, ليون دى دوزنى،، حيث تم عقد أول مؤتمر للمستشرقين سنة ١٨٧٣، م فى باريس وتتابعت بعدها المؤتمرات دوريا إلى الآن ويشترك فى عضوية هذه المؤتمرات مئات العلماء سواء كانوا مستشرقين أم علماء شرقين يدعون كضيوف مشاركين فى كل دورة

وعلى سبيل المثال ضم مؤتمرأكسفورد ٩٠٠ عالم من ٢٥دولة و ٨٥ جامعة و٦٩جمعية علمية وبلغت مجموعات العمل مايقرب من ١٤مجموعة تختص كل واحدةمنها ببحث مجال معين من مجالات الدارسات الاستشراقية .

---

(١)ـ نذير حمدان : فى الغزو الفكري ، ص ٢٥١ وما بعدها.

Dhaka University Institutional Repository

ـ ومن ضمن الأمثلة أيضا المؤتمر السادس والعشرون الذى كان جدول أعماله يتكون من الآتى:

١ علم الآثار المصرية.

ـ٢ـ الدراسات السامية: البابلية والآشورية والدراسات العبرية .

ـ٣ الدراسات الحيثية والقوقازية.

ـ٤ الدراسات التركية .

٥ـ الدراسات الإيرانية.

٦ـ الدراسات الهندية .

٧ـ دراسات جنوب شرق آسيا .

٩ـ الدراسات الإسلامية .

١٠ـ الدراسات الإفريقية . (١)

وقدناقش هذه الموضوعات ١٢٠٠ عالم من شتى بقاع المعمورة ويشارك علماء عرب فى هذه المؤتمرات وأذكر من الذين شاركوا منها عبدالله فكري وحمزة فتح الله وحفني ناصف ومحمد روحي الخالدي وإبراهيم مدكور وغيرهم. (٢)

وإلى جانب المؤتمرات كانت تعقد مؤتمرات إقليمية تضم مشتشرقي بلد معين أو الذين ينتمون إلى لغة واحدة، وكانت بدايتها مؤتمر المستشرقين السوفيات الذى عقد فى لينين غراد عام ١٩٣٧ م وحلقة المستعربين السوفيات التى عقدت بطشقند سنة ١٩٥٨ م وحلقة المستشرقين ببروكسل ٠٠٠(٣) ولعل المرء يلاحظ أن هذه المؤتمرات كانت وسيلة لدفع العمل الاستشراقى الذى خفت حدته بعد رحيل المستشرقين القدامى الذى كان الواحد منهم يتكفل بعمل مايقوم مؤتمر، بل ينتج أكثر من ذلك.

---

(١)ـ المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(٢)ـ د.أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر، ص ١٠٥.

(٣)ـ نذير حمدان (فى الغزو الفكرى) ص ٢٥٨.

Dhaka University Institutional Repository

أمثال : رايسكة ويوهان فوك (١) وبروكلمان، وفيشر وغيرهم ممن تفانوا فى خدمة العمل الاستشراقي أما وقد ظهر جيل آخر من المستشرقين ليس له صبر الأوائل على البحث والإطلاع وليس له غزارة انتاجهم فإن أفضل وسيلة لدفع العمل الاستشراقى هى المؤتمرات التى يجمع نتاجها فى مجلدات تدفع إلى القراء فى مختلف أنحاء العالم وقدصدر عن مؤتمر ليدن أربعة مجلدات وعن مؤتمر فينا خمسة مجلدات ومجلد واحد لكل من مؤتمري ها مبورج و كونبها جن (٢)

٥ ـ المجامع العلمية:

من ضمن ما قام به المستشرقون من أعمال محاولة دخولهم إلى المجامع العلمية العربية، وخاصة اللغوية منها وهي وسيلة من الوسائل التى مكنت المستشرقين من الاتصال المباشر بالعلماء والمفكرين العرب والمسلمين، وساهمت أيضا فى تسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات. ولعله من الجدير بالملاحظة والانتباه المسوغ الذى أباح لهولاء المستشرقين الدخول إلى المجامع اللغوية كأعضاء فاعلين فيها هل هو ضلوعهم فى اللغه العربية تفوق من العرب أنفسهم ؟ أوهو كثرة نتاجهم اللغوي المثمر الذى أفاد العرب وقراء العربية بالجديد الذى لم يكن قد اكتشف من قبل؟ أوهو التعلق بالمنهج الغربي الفكري الجديد الذى أشار إلى طه حسين ومحاولة الاستفادة منه فى تحديث هذه المؤسسات؟ أوهوغزو فكري مباشر على أعلى المستويات قام به المستشرقون تحت وطأة إعجاب وانبهار الشرقيين بالغرب.

إن كل هذه الاحتمالات قائمة وممكنة ولانستطيع ترجيح أحدها ويبقى الجواب الصحيح لدي المسئولين عن هذه المؤسسات الذين سمحوا للمستشرقين بالدخول واكتساب شرف العضوية. فهم وحدهم قادرون على ترجيح هذه الأمور وربما إذا اطلعنا على محاضر ونتائج اجتماعات هذه المؤسسات تبين لنا أن هناك عدم اتفاق على قبول المستشرقين فى هذه المجامع، وقدكانت تحدث بين الفينة والأخرى مناقشات حارة حول عضوية هؤلاء وربما أدت هذه المناقشات فى بعض الأحيان إلى إخراج مستشرق أوأكثر من عضوية هذه المجامع.

---

(١) يوهان فوك (FUCK JHOANN) من أكابر المستعربين الألمان، ولد سنة ١٨٩٤ م، تخصص فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية، درس فى بعض الجامعات الألمانية ، وفى الهند، ومن مؤلفاته العربية: دراسات اللغه واللهجات والأساليب، دور الرواية والرواة فى الإسلام، الدراسات العربية فى أوربا. انظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا، ص ٢١٤-٢١٣. (٢) انظر: د. محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٥٦.

Dhaka University Institutional Repository

و كمثال على من كان له شرف عضوية المجامع اللغوية العربية نذكر المستشرق ,,هاملتون جب،، (١) العضو المؤسس فى مجمع القاهرة.و الدكتور طمسون (٢) رئيس المجمع اللبناني العلمي ، و كارلو نللينو الإيطالى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، و لويس ماسينون الفرنسى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيضا و الفريد جويم عضو المجمع العراقى و آسين بلاسيوس (٣) الأب عضو المجمع السوري وهؤلاء نماذج فقط لقائمة طويلة من المستشرقين الذين انبثوا فى كل المجامع العربية والإسلامية والشرقية عامة، وبعضهم نال عضوية أكثر من مجمع فى وقت واحد . (٤)

٦- إلقاء المحاضرات فى الجامعات والجمعيات العلمية :

تحت وطأة الإعجاب العربي بكل ماهو غربي فى العصر الحديث ومحاولة توثيق علاقة المستشرقين بالجامعات العربية مما جعلهم يستدعون لإلقاء المحاضرات فى الجامعات العربية والإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام فى ديار الإسلام بروح بعيدة عن **الإسلام.**

يقول الأستاذ أبوالأعلى المودودى : „ هذا من تقلبات الدهر و عجائب أمره لقد مر على المسيحيين فى أوربا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس ليتعلموا كتابهم المقدس - التوراة - من علماء المسلمين أما الآن فقد انقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون و أسفاه يرجع إلى أهل الغرب (أوربا و أمريكا) يسألونهم ما هو الإسلام ؟ وما هو تاريخه ؟ وماهي حضارته ؟ ليس هذا فقط بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامى، و كل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين لايجعلونه مادة للدراسة فى كلياتهم و جامعاتهم فقط ولكن يؤمنون به إيمانا راسخا مع أنهم - أعني أهل الغرب - قوم لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم و تاريخهم ولا فى أتفه الأمور،،(٥)

---

(١) هاملتون جب من اشهر المستشرقين البريطانيين ومن مواليد الإسكندرية سنة ١٨٩٥م ، اهتم بتاريخ الأدب العربى، ودرس فى جامعات أوربية وأمريكية، وتحصل على عضوية المجمع اللغوى بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومن مؤلفاته : الفتوحات العربية ، آسيا الوسطى، المدخل إلى تاريخ الأدب العربى، راجع : ميثال جحا : الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا، ص ٥١ وما بعدها. (٢) مستشرق أمريكى ترأس المجمع العلمى سنة ١٨٤٧م، (٣) آسين بلا سيوس (ASIN RALACIOS)أحد أهم المستشرقين الأسبان ولد سنة ١٨٧١م، و توفى ١٩٤٤م لقب بزهرة الإستشراب الإسبانى، اهتم باللغة العربية و تمكن منها، تضلع فى علوم الدراسات الاسلامية و التاريخ وبلغت أعماله كما كبيرا يزيد على مأتين و أربعين عملا من أهم أعماله مختارات فى الأدب العربى..... انظر: د/ ميثال جحا: الدراسات العربيةوالإسلاميةفى أوربا ،ص ١٣٨. (٤) راجع : د/ محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه و وسائله ، ص ٥٨. (٥) - المرجع السابق : ص ٦٥ ــ ٦٦ .

Dhaka University Institutional Repository

٧ ـ الإرساليات الشرقية :

هذه الإرساليات تشبه إلى حد كبير تلك البعثات التى كانت تفد على الأندلس لتلقى العلوم العربية، فالشرقيون تحت شعورهم بالحاجة إلى العلم والمعرفة توجهوا إلى أقطار العالم الغربى طلابا موفدين إلى الجامعات الغربية فى مختلف المجالات، وهؤلاء كانوا مختلفى الأعمار و قليلى الثقافة ولذلك كانوا الوسيلة الجيدة التى تأثرت بالفكرالاستشراقى سلباً أو إيجاباً و كان بعضهم حين عودته إلى بلاده خير مروج لهذا الفكر و خير مدافع عنه،

و معظم التيارات الفكرية الوافدة والنظريات الغربية إنما ذاعت فى مجتمعنا عن طريق طلابنا العائدين من أوربا و أمريكا. وتشتمل هذه الإرساليات أيضاً العاملين فى الحقل الدبلوماسي فى الدول الغربية و كذلك المهاجرين إلى بلاد الغرب طلباً للعمل والاتجار فهؤلاء أيضاً كانوا وسيلة نقل جيدة عبر من خلالها الغزو الفكري إلى عالمنا ، غير أن هؤلاء نتيجة بعدهم بعض الشئ عن مجالات الفكر و الثقافة اقتصر تأثرهم على النواحي السلوكية والأخلاقية فشاعت بيننا عن طريقهم كثير مما لم نكن نعرف من عادات اجتماعية أثرت فى علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة الأباء بالأبناء و غيرها من العلاقات الاجتماعية الأخرى و عن طريقهم أيضا انتشرت بيننا عادات استهلاكية كثيرة و طرق تعامل و أنظمة لهو و مفاتن لم نكن على عهد بها (١)

٨ ـ الإرساليات الغربية :

تشمل هذه الإرساليات كل ما احتجنا إلى الاستعانة به من خبرات فى مختلف المجالات مثل الخبراء العسكريين و خبراء النفط و مستشارى التعليم وفنى الصناعات وغيرهم وتشمل كل ما قدم إلى عالمنا من شركات أجنبية أيا كان نشاطها الذى تزاوله فهذه الشركات هى مؤسسات غربية تمارس أدورا متعددة،فإلى جانب عملها المهنى تؤدى دورا استعماريا وسيا سيا وفكريا وتشمل الإرساليات الغربية أيضا البعثات الدبلوماسية الغربية فى دول العالم الشرقي وما يتبعها من مؤظفين وعمال وهذه الإرساليات لها علاقه بالمستشرقين. وهكذا سار تأثير هذه الإرساليات عبر خيوط مختلفة ليلتقي فى النهاية شكلا تغييرا جوهريا فى سلوكياتنا ومجريات تفكيرنا وعقائدنا (٢)

---

(١) ـ الاستشراق أهدافه و وسائله ، ص ٦٠-٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

Dhaka University Institutional Repository

٩ ـ الإرساليات التنصيرية :

لايوجد مكان فى العالم الشرقي إلا غزته الإرساليات التنصيرية، وأقامت فيه مؤسسات طبية و تعليمية متعددة وهذه بدون شك كانت مراكز علنية تستغل حاجة الإنسان لإحداث التغيير العقائدي الذي هو وسيلة لإحداث بقية التغيرات فى شخصية الإنسان الشرقي، لقد لعبت الإرساليات التنصيرية أدوارا رئيسا فى التسلسل إلى مؤسساتنا التعليمية فى شكل مستشارين تربويين أو مخططي مناهج أو موجهين أو غير ذلك، و قامت بدور كبير أيضاً فى التأثير فى سياسات الكثير من الدول و خاصة الفقير منها واستطاعت الدخول إلى المجال الإعلامي بما أنشأته من إذاعات و صحف و كل ذلك ساهم بدور فعال فى إنجاح برامج الغزو الفكري للعالم الشرقي واستطاع المنصرون من خلال أساتذتهم المستشرقين أن يلونوا الحياة الشرقية بكل ما يريدون لتكون المحصلة فى النهاية التغريب بكل صوره و أشكاله أو الاستغراب بمعناه السلبي فقط.(١)

---

(١)ـ الاستشراق أهدافه ووسائله، ص ٦٢.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل السادس : أصناف المستشرقين

إن الدراس لهذا الموضوع سوف يجد أمامه فى أغلب الافتراضات ثلاثة أصناف من المستشرقين :

أ ـ صنف كتب فى علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية مبتعداً بذلك عن المنهج العلمي ، ومتأثراً فى كل ما كتب بروح العداء التي زرعتها فيه الكنيسة .

ب ـ صنف كتب بروح علمية محاولاً إفادة قومه بما يكتب عن هذه الحضارة ونتيجة لسيطرة الروح العلمية عليه ، وابتعاده عن تأثير الكنيسة ، فقد أكن الحب والإعجاب للإسلام كشريعة ودين ، ولكنه لم يسلم ، وقد يسجّل على هذا الصنف وقوعه فى بعض الأخطاء غير المقصودة نتيجة عدم اتقان اللغة العربية وفهم أسرارها .

(ج)ـ صنف كتب بروح علمية صادقة ، ودرس الإسلام دراسة عميقة حتى اهتدى إلى اعتناق الإسلام ، وأصبح سيفا باراً من سيوف الإسلام ، وهى يدافع عنه بكل ما أوتي من إمكانات ، ويرد الشبه والمكائد التى يثيرها أعداء الإسلام ، وهى مهمة تخلي عنها الكثير من مسلمي الوراثة الذين ورثوا الإسلام عن آبائهم وأجدادهم . (١)

ويذهب بعض الباحثين إلى أن المستشرقين يمكن تصنيفهم إلى ثلاث فئات : فئة قدمت للعالم أبحاثا قيمة عميقة وفي نفس الوقت كانت عادلة فى حكمها متزنة فى دراستها ، منصفة فى نظرتها فأشادت بالإسلام وبالرسول وبحضارتنا العربية الإسلامية . وهناك فئة ثانية تعمدت الإساءة حينما أمسكت بالقلم لدراسة تاريخنا وحضارتنا ، وإن كانت فى نفس الوقت قد توصلت إلى أبحاث ذات قيمة علمية ـ أما الفئة الثالثة فقد وقعت فى المحظور ، ولم تنصف الإسلام وتاريخه وحضارته ، ولكن بدون عمد أوقصد إما الجهل بالعقيدة ونظمها ، أوقصور فى البحث ، أو لعدم التمكن من اللغة العربية . (٢)

---

(١)ـ راجع : د . محمد فتح الله الزبادى : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه . ص ٦٧ .

(٢)ـ راجع : د. على الخربوطلي : المستشرقون والتاريخ الإسلامى . ص ١٢١ .

Dhaka University Institutional Repository

وأما الدكتور محمود حمدي زقزوق فقد قسّم المستشرقين إلى ست فئات مختلفة ويقول : إن المستشرقين فئات مختلفة تتراوح بين التعصب والإنصاف . فإذا تجاوزنا من لهم ميول تبشيرية خفية أوسافرة نجد أن المستشرقين العلمانيين ينقسمون إلى فئات مختلفة :

١ـ فريق من طلاّب الأساطير والغرائب ، من هؤلآء الذين افتروا على الإسلام واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة ولم يكن لهذا الفريق فى سوق العلم نصيب . وقد ظهر هذا الفريق فى بداية نشأة الاستشراق وا ختفى بالتدريج .

٢ـ فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم فى خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية .

٣ ـ وفريق من المتغطرسين الذين أخدتهم العزّة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية ، فراحت أقلامهم تقطر حقداً وعداوة وطعنا فى الإسلام من أمثال "بدويل "و "بريد" "وسيل" من القرن الثامن عشر ، وقد كان كتابات بعضهم مثل "سيل" أثر كبير فى الغرب لمدة طويلة . ويتساوى مع هؤلاء فى الحقد والعداوة للإسلام مجموعة من الملحدين الذين ينالون من الإسلام نيلهم من النصرانية . . .

٤ـ فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي ، ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب ، فراحو يتلمسون نقاط ضعف فى الإسلام ، ويشككون فى صحة الرسالة الإسلامية ، وفى التوحيد الإسلامي وفى القرآن من حيث مصدره أو نصّه ، وفى الحديث من حيث صحّته ، وفى قيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، وفى قدرة اللغة على التطور . . "

٥ـ وهناك فريق من المستشرقين التزم فى دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين وقد أدي الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام .

٦ـ وهناك فريق من المستشرقين توفر على دراسة اللغة العربية ، وفقه اللغة والأدب العربي ، أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك ولهؤلاء بحوث قيمة مفيدة . (١)

---

(١) انظر : د. محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . ص ٧٦.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل السابع : خدمات المستشرقين وأعمالهم

ومن تعاليم الإسلام وآدابه السمحاء الحكم بالعدل وإقامة الوزن بالقسط حيث ـ يقول القرآن الكريم : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ' وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً " ﴾ (١)

ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنأن قوم على ألاّ تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (٢) وقال أيضا :﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان﴾ (٣)ـ وقد شرحت سالفا أهداف المستشرقين وبعض الجوانب السلبية التى تغلب على بحوثهم و دراساتهم، فإن تعليم القرآن والمنهج العلمي فى البحث يتحتمان عليّ أن أذكر الجوانب الإيجابية أيضاً فى هذه الدراسات والتى تتمثل فى إحياء جانب من التراث العربي والإسلامي والمحافظة على جانب كبير منه فى المكتبات الأوربية بغض النظر عن هدف هذه المحافظة .

وبهذ الصدد يقول الشيخ الندوي : " لذلك أعترف بكل وضوح وصراحة أن عدداً من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية ' وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم ' وبذلوا فيه جهوداً ضخمة ' ويكون من المكابرة والتقصير ألاينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها . وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التى لم ترضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة ' وأصبحت مصونة من الوراثة الجاهلين وعاهة الأرضة ' وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية ' لها مكانتها وقيمتها ' صدرت لأول مرّة بفضل جهودهم وهمتهم وقرت بها عيون العلماء فى الشرق " (٤)

---

(١)ـ [النساء : ٥٨] (٢)ـ [سورة المائدة : ٨] (٣)ـ [سورة الرحمن : ٩]

(٤) أبوالحسن على الحسنى الندوى : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ' ص ١٣.

Dhaka University Institutional Repository

فقد أنشأ الغربيون منذ القرن الرابع عشر للميلاد مدارس لتعليم اللغة العربية فى جامعاتهم ـ ونشأ عن ذلك الرغبة فى تداول الكتب العربية واقتنائها ' والتنافس فى الاحتفاظ بالآثار التى أنتجتها القرائح العربية ' وحين أنشئت أول مطبعة فى مدينة فانوسنة ١٥١٤م .كان أوّل ما طبع فيها القرآن وكتب الطب والفلسفة والطبيعة باللغة العربية ' فى سنة ١٥٩٣م طبع قانون ابن سينا فى الطب مع كتاب النجاة ' وقد أنشأت معظم الأمم الأوربية والأمريكية مطابع عربية طبعت عليها عشرات من كتب العرب النفيسة ' ودلوا قومهم على فضل العرب ونوهوا بحضارتهم ونبوغ أفرادهم . وقد جمع الغربيون فى كل دولة وصلوا إليها معظم نفائس المخطوطات العربية وعنوابها عناية شديدة ' ورتبوها ونشروا فيها فهارسها ' وأخرجوا بعضها مطبوعاً واحتفظوا بالبعض الآخر مفهرساً ومبوباً بدقة فائقة (١) وبهذا الصدد يقول الأستاذ محمد فتح الله الزيادي: "ولقد رأيت بنفسي كيفية الاعتناء بهذه الآثار حتى رأيت ذات مرّة مستشفىٰ للمخطوطات يعالج فيه كل مخطوط أصابه تمزّق أو أخفىٰ الدهر جزءاً من معالمه وهذه بالطبع خدمة جليلة للتراث العربي؛لأننا نحن العرب لم نستطع القيام بهذه الخدمة ' ولو لا جهود الغربيين فى ذلك لضاع جزء كبير من تراثنا بين عابث لايعرف قيمته وغير مبال لا بهمه بقيت هذه النفائس أوضاعت" . (٢)

---

(١) راجع : محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ،(القاهرة ' مطبعة لجنة التاليف ' ط٣) ص ٦٥ .

(٢)ـ انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه . ص ٧١ .

Dhaka University Institutional Repository

أهم أعمال المستشرقين :

١ـ جمع المخطوطات العربية :

اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل بلاد الشرق الإسلامى . وكان هذا العمل مبنيا على وعى تام بقيمة هذه المخطوطات التى تحمل تراثا غنيا فى شتى مجالات العلوم ، وكان بعض الحكام فى أوربا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية فى أوربا وتنشيطها ، ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م تزايد نفوذ أوربا فى الشرق ، وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات. وكانت الجهات المعنية فى أوربا ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق. فعلى سبيل المثال أرسل "فريدرش فيلهلم الرابع " ملك بروسيا " ريتشا رد ليبسيوس " إلى مصرعام ١٨٤٢م ـ وهينريش بترمان عام ١٨٥٢م إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية ، وقد تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة وغير مشروعة . وقد لقيت هذه المخطوطات فى أوربا اهتماماً عظيماً ، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها عناية فائقة وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً ... (١)

وقد قام مثلاً "الوارد" (Ahlwardt) بوضع فهرس للمخطوطات العربية فى مكتبة برلين فى عشرة مجلدات بلغ فيه العناية فنّا ودقّة وشمولاً وقد صدر هذا الفهرس فى نهاية القرن الماضى ، واشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط . وقدقام المستشرقون فى الجامعات والمكتبات الأوربية كافّة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة. وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية فى مكتبات أوربا بعشرات الآلاف بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف .

---

(١) راجع : د. محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى. ص ٦١ .

(٢) راجع : العقيقى : المستشرقون ج ٣. ص ٣٥٢ وما بعدها.

Dhaka University Institutional Repository

وهناك دراسات للمستشرقين عن هذه المخطوطات في مجالات عديدة وعلى سبيل المثال قامت باحثة من المستشرقين بإعداد بحث عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم في القرن السادس عشر قال عنه الشيخ أمين الخولي بعد أن سمعه أثناء حضوره لمؤتر المستشرقين الدولي الخامس والعشرين :

"لقد قدمت السيدة " كراتشكو فسكى " بحثا عن نوادر مخطوطات القرآن في القرن السادس عشر الميلادى وأني أشك في أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه المخطوطات وأظن أن هذه مسألة لايمكن التساهل في تقديرها . (٢)

٢ـ التحقيق والنشر :

ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها ' بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ' ولا حظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها ' وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها ' وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحاً مفيداً .

وهكذا استطاعوا أن ينشروا عدد اكبيرا جدا من المؤلفات العربية كانت عوناً كبيراً للباحثين الأوربيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق وقد عرفنا الكثير من كتب التراث محققا ومطبوعاً على أيديهم ومن بين هذه الكتب نذكر ـ على سبيل المثال لاالحصر ـ نشرهم سيرة ابن هشام والاتقان للسيوطى والمغازى للواقدي والكشاف للزمخشرى ـ وتاريخ الطبري ' كتاب سيبويه والاشتقاق لابن دريد' والأنساب للسمعاني ' ومعجم الأدباء لياقوت. وتجارب الأمم لابن مسكوية وفتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكيم ' واللمع لأبى نصر السراج والبديع لابن المعتز وحي بن يقظان لابن طفيل ' والمختصرفى حساب الجبر ' والمقابلة للخوارزمى ' والملل والنحل للشهرستاني. وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسفي . وفتوح الشام للواقدى ' والكامل للمبرد ' والجمهرة لابن دريد وأخبار النحويين البصريين للسيرافي' وكتاب المناظر لابن الهيثم ' الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى والأحكام السلطانية للماوردى ' وفضائح الباطنية للغزالى ـ وتاريخ اليعقوبي '

Dhaka University Institutional Repository

والفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة ، والتعريفات للجرجاني وطبقات الحفاظ للذهبي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وتهذيب الأسماء للنووي وصحيح البخارى والمقتضب لابن جني ، ومقالات الإسلاميين للأشعرى ، والوافي بالوفيات للصفدي والتيسير فى القراءات السبع لأبي عمر وعثمان الداني ، والرد الجميل على مدعي ألوهية المسيح بصريح الإنجيل للغزالي ، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة والأغاني للأصفهاني ، والأوائل للسيوطي ، والطبقات لابن سعد ، وعيون الأخبار لابن قتيبة والفقه الأكبر لأبي حنيفة ـ وعدد هائل من دواين الشعر العربي فى عصوره المختلفة (١)

٣ـ الترجمة :

ولم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية بل قاموا أيضاً بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات اللأوربية كافة ، فقد نقلوا إلى لغاتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلقات وتاريخ أبى الفداء وتاريخ الطبرى ، ومروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ المماليك للمقريزي ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، والإحياء والمنقذ للغزالى ، وغير ذلك من مئات الكتب فى اللغة والأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتعددة ، هذا فضلا عما ترجم فى القرون الوسطى من مؤلفات العرب المسلمين فى الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من علوم .

ومما يجدر بالذكر أن القرآن قدتمت ترجمته لأوّل مرّة في القرن الثانى عشر . وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتي الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوربية كافّة ، قد مهدوا لترجماتهم بمقدمات وضعوا فيها تصوراتهم عن الإسلام ، بذلك أعطوا للقارئ من باديئ الأمر ـ

---

(١)ـ المرجع السابق ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

Dhaka University Institutional Repository

- تصورهم الذى لايتفق فى معظم الأحيان مع الحقائق الإسلامية. بل قد يصطدم مع هذه الحقائق اصطداماً جوهرياً .وفيما يلى بيان تقريبي بعددالترجمات المعروفة التى تمت فى عدد من اللغات الأوربية من قبل غير المسلمين :

١ـ فى اللغة الألمانية	١٤ ترجمة
٢ـ فى اللغة الإنجليزية	١٠ ترجمات
٣ـ فى اللغة الإيطالية	١٠ ترجمات
٤ـ فى اللغة الروسية	١٠ ترجمات
٥ـ فى اللغة الفرنسية	٩ ترجمات
٦ـ فى اللغة الأسبانية	٩ ترجمات
٧ـ فى اللغة اللاتينية	٧ ترجمات
٨ـ فى اللغة الهولندية	٦ ترجمات (١)

وذكر الدكتور حسن المعايرجي ـ وهومهتم بموضوع ترجمات القرآن ـ وقد أحصى حتى الآن ترجمات القرآن الكريم فى مائة وإحدى وعشرين لغة فى أنحاء العالم . (٢)

٤ـ التاليف :

تعددت مجالات التاليف فى الدراسات العربية والإسلامية لدي المستشرقين وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق فى قرن ونصف (منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب ـ (٣)

---

(١)ـ راجع : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . ص ٦٥ .

(٢)ـ المرجع السابق . ص ٦٥ .

(٣)ـ إدوارد سعيد : الاستشراق . ص ٢١٦ .

Dhaka University Institutional Repository

لقد ألف المستشرقون فى التاريخ العربي والإسلامي وفى علم الكلام وفي الشريعة وفى الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي وفي تاريخ اللغة العربية ' وأدابها ، ولم يتركوا مجالاً من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلاّ ألفوا فيه فبعض مؤلفاتهم قيّمة ' ذات فائدة علمية للباحثين وأخرى تزخر بالطعن فى الإسلام ، وتمتلئ بالأكاذيب التى ليس لها فى سوق العلم نصيب .

وسنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض المؤلفات ذات القيّمة العلمية كنماذج للمؤلفات المفيدة :

تاريخ الأدب العربي : ألفه المستشرق الألمانى "كارل بروكلمان" وهو كتاب أساسي فى الدراسات العربية والإسلامية لايستغنى عنه باحث فى الداراسات العربية والإسلامية ' ولايقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدوّنات الإسلامية . فهو سجل للمصنفات العربية ' المخطوط منها والمطبوع ' ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين وقد قام "بروكلمان" بهذا العمل الضخم بمفرده . (١)

ـــ دائرة المعارف الإسلامية : (Encyclopaedia of Islam)

على الرغم مما لنا نحن المسلمين على هذه الدائرة من مآخذة كثيرة فإنها تعدّ ثمرة من ثمار التعاون العلمى الدولى بين المستشرقين ' وقد تم إصدارها فى طبعتها الأولى بالإنجلزية والفرنسية والألمانية فى الفترة من عام ١٩١٣م إلى ١٩٣٨م. وقد تولت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجى الجامعة المصرية منذ عام ١٩٣٣م وظهرت طبعات متعددة وأصبحت مرجعا مهما للباحثين وخاصة فى مجال الدراسات الإسلامية. (٢)

ـــ المعاجم :

للمستشرقين باع طويل فى مجال المعاجم والقواميس اللغوية . وقدسبق أن أشرنا إلى إنجاز أول قاموس لاتينى عربيّ فى القرن الثاني عشر الميلادي ' ونذكر في هذا الصدد أيضاً المعجم العربى اللاتينى الذى ألفه "جورج فيلهلم فرايتاج [ت ١٨٦١م] ذلك المعجم الذى لايزال يستعمل حتى اليوم . وهناك مستشرقون يفنون أعمارهم فى إعداد مثل هذه المعاجم ' وحسبنا أن نشير هنا إلى

---

(١)ـ راجع : د/ محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري' ص ٢٢ـ ٦٨.

(٢)ـ المرجع السابق ' ص ٦٨.

Dhaka University Institutional Repository

معجم اللغة العربية المرتب حسب المصادر فقد قضي" أوجست فيشر" [ت١٩٤٩] أربعين عاما فى جمعه وتنسيقه وتعاون معه عدد من المستشرقين . (١)

ـ ونخص بالذكر هنا أيضاً المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذى يشتمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي ، ومؤطا مالك ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل . أشرف الأستاذ ونسنك . (A.J. wensinck) على ترتيبه وتنظيمه مع لفيف من المستشرقين ، ونشره الدكتور فى سنة ١٩٣٦م .والاستفادة منه سهلة ميسورة جدًا وقد جاء هذا الكتاب فى سبعة مجلدات كبار. (٢)

ـــ وكذالك المعجم المفهرس العام التفصيلي لونسنك الذى وضع الكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة وكتب السّيرة والمغازى المشهورة ورتب كتابه على المعاني والمسائل العلمية والأعلام التاريخية ، ورتب عناوين الكتب على حروف المعجم وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ فؤاد عبد الباقي وسمّاه "مفتاح كنوز السنة" وقدم له العلاّمة السيّد رشيد رضا ، والعلاّمة أحمد محمد شاكر (٣)

ـــ ومن المعاجم التى وضعت لفهرست القرآن الكريم أيضاً كتاب "نجوم الفرقان فى أطراف القرآن" للمستشرق الألمانى " فلو جل " وهو من أقدم المعاجم التى ظهرت فى هذا الفن ، وقد طبع فى ليبسك سنة ١٨٤٢م. (٤)

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٩ .

(٢) راجع : أبو الحسن على الحسن الندوي : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين و الباحثين المسلمين . ص ١٤ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٤ .

(٤) د.محمد فتح الله الزيادي : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، ص ٧٢ .

Dhaka University Institutional Repository

وإلى جانب المعاجم كان هناك عمل آخر خدم التراث العربي خدمة جليلة على سبيل المثال : المستشرقة مارية نلّينو التى جمعت ما وجدت من متفرق شعر النابغة الجعدي ' وطبعته فى ديوان مع ترجمته إلى الإيطالية ' وكذلك المستشرق الألمانى "رايسكه" الذى نشربا لعربية تاريخ أبي الفداء وترجمه إلى اللاتينية فى خمسة مجلدات ونقل إلى اللاتينية ' " مقامات الحريرى" "ومعلقة طرفة" وأذكر أيضا المستشرق النمساوي برجشتال" الذى كتب بالألمانية "تاريخ الأداب العربيية " فى سبعة مجلدات ' وكتب تاريخ الدولة العثمانية فى عشر مجلدات (١)

والبروفيسور- ت - و - آرلند . (T.W.Arnold)صاحب الكتاب القيم : الدعوة إلى الإسلام -(Thepreach ing of Islam.)واستانلى لين بول (Stahley Lanepeol) صاحب كتاب صلاح الدين الأيوبي(Sala din)والعرب فى الأندلس - (Moorsinspain) والدكتور اسفرنجر صاحب المقدمة الإنجلزية النفسية لكتاب الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى وغيرها من المؤلفات والخدمات المخلصة للموضوع المتجردة - فى أغلب الأحوال - عن العصبية الدينية ' وهذه أمثلة قليلة ذكرتها كنموذج واعتراف بفضل المستشرقين ومساهماتهم فى جمع التراث العربي والإسلامي والمحافظة عليه وتحقيقه وترجمته إلى لغاتهم سواء كان بقصد خدمة الإنسانية عامّة أو بقصد إثراء الثقافة الغربية . (٢)

---

(١) راجع : انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، ص ٧٢.

(٢)- راجع : العلامة السيد أبو الحسين على الحسن الندوي : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ص ١٣.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثامن : التعريف ببعض المستشرقين المشهورين

لايعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولافى أىّ وقت كان ذلك ولكن المؤكد ـ كما أشرنا إلي ذلك فى مبحث تاريخ الاستشراق ـ أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ، ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم ، وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ، ولم ينقطع منذذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام، واللغة العربية، بل درسوا جميع مايتعلق بالشرق ؛ دياناته وعاداته وثقافاته وحضاراته و تقاليده وجغرافياته وأشهر لغاته ، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعني به المستشرقون ، ويعد القرن التاسع عشر والقرن العشرون عصر الازدهار الحقيقى للحركة الاستشراقية، فتعددت مجالات التاليف في الدراسات العربية والإسلامية لدي المستشرقين وبلغ عددما ألفوه عن الشرق فى قرن ونصف (منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب (١) ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا ألفوا فيه .

وعدد هائل من المجلات والدوريات التى تزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات (٢) والتى تصدر من كل العواصم والبلدان الغربية من قبل المستشرقين أو تحت إشرافهم و رئاستهم. و يبدو من المستحيل استقصاء كل المستشرقين الذين كتبوا ضد الإسلام وتراثه حقداً و كراهية من نشأة الاستشراق إلى الآن، لأنهم من فئات مختلفة و جنسيات متنوعة و أزمان شتى. و فيما يأتي نقدم كنموذج أسماء بعض المستشرقين من المتعصبين والمعتدلين و أهم آثارهم :

---

(١) إدوارد سعيد : الاستشراق. ص٢١٦. (٢) د. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون . ص ٣٦.

Dhaka University Institutional Repository

بعض المستشرقين المتعصبين:

ـ أ. ج. أربري (A.J. Arberry)

إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، و من محرري ,, دائرة المعارف الإسلامية،، و كان يعمل كأستاذ بجامعة كمبردج، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية و في إنجلترا ' ومن كتبه :الإسلام اليوم ، صدر في عام ١٩٤٣م . و مقدمة لتاريخ التصوف، صدر في عام ١٩٤٧م. والتصوف ، صدر في عام ١٩٥٠م، و ترجمة القرآن ، صدر في عام ١٩٥٠م'(١)

ـ الفرد جيوم (A. Geom)

إنجليزي معاصر اشتهر بالتعصب ضد الإسلام ، حاضر في جامعات إنجلترا و أمريكا، وتغلب على كتابته و آرائه الروح التبشرية، ومن كتبه: الإسلام، ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثيرممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

ه. أ. ر. جب (H.A.R. Gibb)

أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين، كان عضوا بالمجمع اللغوي في مصر، و أستاذا للدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية، من كبار محرري و ناشري ,, دائرةالمعارف الإسلامية،، له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة ' ومن كتبه: طريق الإسلام ألفه بالاشتراك مع آخرين' و ترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور، و الاتجاهات الحديثة في الإسلام، صدر في عام ١٩٤٧م، و ترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور .

ـــ س .م. زويمر (S.M. Zweimer)

مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام مؤسس مجلة ,, العالم الإسلامي،، الأمريكية التبشرية ، مؤلف كتاب ,, الإسلام تحد لعقيدة ،، صدر في سنة ١٩٠٨م ، ناشر كتاب ,, الإسلام،، وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١م. بلكناؤ في الهند، و تقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون و قفا باسمه على دراسة اللاهوت و إعداد المبشرين .(٢)

---

(١) راجع : د/مصطفي السباعي : الاستشراق و المستشرقون' ص : ٣٦ . (١)- المرجع السابق،ص: ٣٧

Dhaka University Institutional Repository

ـ أ. ج. فينسينك (A.J, Wensink)

عدو لدود للإسلام و نبيه، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطيب حسين الهواري مؤلف كتاب ,, المستشرقون والإسلام ،، صدر فى سنة ١٩٣٦م وحدث ذلك بعد أن نشر فينسنك رأيه فى القرآن والرسول مدعيا أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية و الفلسفية التى سبقته، انظر : المستشرقون والإسلام ص : ٧١ وما بعدها ،و له كتاب تحت عنوان عقيدة الإسلام، صدر فى سنة ١٩٣٢م. (١)

ـ جو لدزيهر (Goldziher) (١٨٥٠ ـ ١٩٢١م) .

مستشرق مجري يهودي، عمل أستاذ بجامعة بودابست و توفى بها، وأهديت مكتبته بعد وفاته إلى الجامعة العبرية فى فلسطين، رحل إلى بعض البلاد العربية، وتعرف على أهل العلم فيها و عرف بعدائه للإسلام ، وتعتبر أبحاثه ومؤلفاته مرجعاً لمعظم الباحثين الغربيين فى ميدان الدراسات الإسلامية خلف الكثير من الأعمال منها : كتاباه المترجمان : العقيدة والشريعة فى الإسلام، مذاهب التفسير الإسلامي، توجيه النظر إلى علم الأثر لطاهر الجزائرى ، وحقق بعض المخطوطات منها فضائح الباطنية للغزالي . (٢)

ـ اندرسون :

إنجليزي ، يحاضر فى الشريعة الإسلامية فى جامعة لندن، كان يصرح علانية بهدفه التنصيرى، و لايكتم كراهيته الشديدة للإسلام، ومن أثاره : العالم الإسلامي ضمنه كل اعتراضات القرون الوسطى النصرانية على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ و يخرج منه بنتيجة أنه : ,, لايمكن أن يكون هناك شك على أية صورة فى أن محمداً قد تمثل أفكاراً من التلمود و بعض المصادرالتلمودية والأبوكرافية (أجزاء من الإنجيل مشكوك فيها) . أما بالنسبة للنصرانية فإن هناك احتمالا طاغياً بأن محمداً قد استمد إيحاءه منها " (٣).

---

(١)ـ المرجع السابق ، ص ٤٢ (٢)ـ خير الدين الزركلي: الأعلام (ج ١، بيروت، ط ٣) ص ٨٠.

(٣)ـ عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية (ط ١، ١٩٩١م) ص ٤٢.

Dhaka University Institutional Repository

ـــ ريتشارد بل:

إنجليزي، من رجال الدين، درس القرآن الكريم و تاريخه دراسة وافية متوالية، و أول كتبه عن هذه الدراسات أكد فيه العلاقات النصرانية بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن آثاره : يوحنا الدمشقي و اعتناق الإسلام، ومن هم الحنفاء ؟ وأصل عيد الأضحى، ومحمد والرسول السابقون . (٢)

ـ وليم بدويل : (١٥٦١ ـ ١٦٦٣م)

إنجليزى، عين مدير السانت أثليرج، و عاون على ترجمة التوراة أساء فهم الإسلام و أساء إليه بتعصبه عليه تعصبا ذميماً. من أثاره ترجمة رسائل القديس يوحنا من العربية إلى اللاتينية و العهد الجديد ـ الكتاب المقدس ـ اللقاء الروحي. (٢)

ـ د.س. مرجوليوث (D.S. Margoliouth)

انجليزي متعصب ضد الإسلام ومن محرري ,, دائرة المعارف الإسلامية" ، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي فى دمشق، ومن آثاره : التطورات المبكرة فى الإسلام، صدر عام ١٩١٣م، محمد ومطلع الإسلام" صدرفى سنة ١٩٠٥م ، الجامعة الإسلامية ' صدر فى سنة ١٩١٢م .(٣)

ر.أ. نيكولسون (R.A. Nickolson)

كان من أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية ، تخصص فى التصوف الإسلامي والفلسفة، وكان عضوا بالمجمع اللغوي المصري وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحي و يصفه أيضا بالمادية و عدم السمو الإنساني، ومن كتبه : متصوفو الإسلام والتاريخ الأدبى للعرب. (٤)

---

(١)ـ نجيب العقيقى : المستشرقون(ج ٢)ص ٩٣ ـ ٩٤،

(٢)ـ على بن إبراهيم النملة : المستشرقون والتنصير (ط ١ ، مكتبة التوبة ، ١٩٩٨م) ص ٦٣.

(٣)ـ د. مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون، ص ٤٥.

(٤)ـ المرجع السابق ، ص ٤٥.

Dhaka University Institutional Repository

ـ بروكلمان (Karl. Borcklmann) (١٨٦٨ـ ١٩٥٦)

مستشرق ألماني كبير اهتم باللغات الشرقية، و بالأخص اللغة العربية، و درس الآرامية والسريانية والعربية والحبشية، و أيضا درس على يد نولدكه ومارتن فيلي، و تعاون مع إدوارد سخاوي في تحقيق طبقات ابن سعد، عمل مدرسا للغة العربية في معهداللغات الشرقية في برلين كما عمل أستاذاً في عدة جامعات أوربية، و اشتهر في فقه اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، و كتب في اللغة السريانية، و أصدر المعجم السرياني سنة ١٨٩٥م، و كتب في اللغة التركية مجموعة الكتب القيمة ومن انتاجاته : تاريخ الأدب العربي، و تارخ الشعوب الإسلامية. (١)

ـــ هنري لامانس (Henry Lammens)

مستشرق ، وراهب من أصل بلجيكي معروف بعداوته الشديدة للإسلام. قال عنه الدكتور بدوي: إنه النموذج السئ جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، عاش فترة طويلة في بيروت معلما في الكلية اليسوعية ومديرا لمجلتي المشرق، والتبشيرترك عددا كبيرا من الأعمال تدور معظمها حو ل السيرة النبوية والخلافة الأموية (٢)

بعض المستشرقين المعتدلين :

ـ هادريان ريلاند (Hardrian Roland) (ت ١٧١٨)

كان أستاذا للغات الشرقية في جامعة أوتر شت بهولندا، ومن إنتاجاته العلمية : الديانة المحمدية صدر في جزأ ين باللغة اللاتينة (١٧٠٥م) لكن الكينسة في أوربا و ضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها.

ـــ يوهان ج. رايسكة (U.J. Reiske) ١٧١٦ـ ١٧٧٤م

أول مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائسا ومات مسلولا وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا .

---

(١) انظر : عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٨ .

Dhaka University Institutional Repository

ـ سلفستردى ساسي ت ١٨٣٨م **(Silvestredesacy)**

اهتم بالأدب والنحو كثيراً مبتعداً عن الحوض فى الدراسات الإسلامية و إليه يرجع الفضل فى جعل باريس مركزاً للدراسات العربية و كان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوى.

ـــ توماس أرنولد (١٨٦٤ـ ١٩٣٠م)

مستشرق انجليزى ومن آثاره ، الدعوة إلى الإسلام الذى نقل إلى التركية والأردية والعربية.

ـــ غوستاف لوبون :

مستشرق و فيلسوف مادي، لايؤمن بالأديان مطلقاً ، جاء ت أبحاثه و كتبه الكثيرة متسمة بانصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله و عدم تقديره.

ـــ زيجرهونكه :

اتسمت كتابها بالإنصاف و ذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب فى مولفها الشهير(شمس العرب تسطع على الغرب) ـومن المستشرقين المعتدلين: جاك بيرك، أنا ماري شمل، و كارلايل، ورينيه جينو، والدكتور جرينيه، وجوته الألماني (١).

. (٢) راجع: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة (الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، ط ٢ ، ١٩٨٩م) ص ٣٥.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل التاسع : مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية

يعتبر هذا الموضوع من أخطر المواضيع وأهمها فى ميدان الدراسات الاستشراقية؛ ذلك أنه الوسيلة الوحيدة للتعرف على دراسات المستشرقين من زاوية منهجية صرفة دون النظر الى حسنات دينية أو نوازع عرقية كما هو المتبادر دائما عند الحديث عن الاستشراق وقضاياه . فالنظر فى موضوع المنهج الاستشراقي ليس معناه الرد على المستشرقين فيما كتبوا، أو مناقشاتهم فيما نشروا، إنما نعني به دراسة السبيل الذى سلكوه للوصول إلى ما وصلوا إليه من أراء مدى مطابقتها لقواعد المنهج العلمي السليم الذي لاتختص به أمة عن أخرى ولاعلاقة له بدين أو شريعة منزلة.

ورغم أهمية هذا الموضوع إلا أنه يتميز بصعوبة بالغة قد تقربه من الاستحالة إن أردنا التزام المنهج العلمي الصحيح، وتتمثل هذه الصعوبة فى ضخامة النتاج الاستشراقي الذى يصل إلى (٦٠) ستين ألف كتاب فى فترة وجيزة يقدر بخمسين سنة إضافة إلى ذلك تعدد اللغات المستخدمة فى هذا النتاج بشكل يستحيل متابعته دون الاعتماد على الترجمة وهى ـ كما نعلم ـ وإن توافرت فهي لا تقدم الوجه الصحيح والأمثل للأصل. (١)

ومن أجل الوصول إلى تعرف صحيح على منهجية البحث الاستشراقي يجب دراسة وتقصي كل الكتابات الاستشراقية أو فمعظمها وهذا أمر صعب جدا وفيما يبدو لي غير ممكن، وأمام ذلك فإننا نريد الوصول إلى تصور عام من خلال دراسة جزء من نتاج بعض أعلام المستشرقين الذين نتصور أنهم تربعوا على عرش الدراسات الإسلامية فى العالم الغربي فترة طويلة من الذين حتى صارت آراؤهم وأفكارهم المرجع الأول لكثير من المستشرقين المعاصرين. وهذا فيما أرى الحد الأدنى الذي يمكن التثبت به انطلاقا من أن ما لايدرك كله لا يترك جله .

---

(١) راجع : د. محمد فتح الله الزيادى : الاستشراق أهدافه ووسائله. ص ١١٤ .

Dhaka University Institutional Repository

إن منهج البحث الا ستشراقي فيما يتراء ى لى يتحكم فيه عاملان رئيسان هما :

١ــ عـامـل فـطـري طبـعـي ويتمثل فى العجز عن امتلاك ناصية اللغة و خاصة مجازاتها و أسرارها الـكـامنة وراء الألفاظ، فاللغة العربية بما حوته من غزارة ألفاظ وسعة معان ودلالات تشكل عائقا أمام هؤلاء المستشرقين فى الوصول إلى فهم وإد راك هذه المعانى خاصة حين يتعلق الأمر بفهم نص قرآني فإن الموضوع يزداد صعوبة والوصول إلى فهم حقيقي للآيات أمربعيد المنال بالنسبة للمستشرقين.

ويـضـاف إلـى ذلك انـعـدام الـخـلـفية الثقافية الكافية فى التخصص المدروس، فالمستشرقون الـمتـعـامـلـون مـع الـدراسـات الإسلامية لم يعايشوا هذا التخصص فى أصوله الأولى الأصلية، وإنما تتـلـمـذوا على مصادر ثانوية لاتفي بإعطائهم مرا دهم فى التزود بالثقافة المطلوبة وربما كانت سببا فى إبعادهم عن المنهج العلمي الصحيح . (١)

٢ـ العامل الثاني هو عامل طاري ء يكمن فى الموروثات الثقا فية الغربية عند المستشرقين الذين هـم جـزء مـن مـجـتـمـع غربي يقع فى دائرة الصراع العرقي، والديني مع المسلمين وهذه الخاصية التى يتـصـف بـهـا غـالبية المستشرقين لا تمكن فيما أعتقد من الالتزام بمنهجية علمية سليمة، لأن الانفلات مـنـهـا فـى تـصـوري يعني الانفلات من مجتمع وثقافة، وتاريخ وهذا ليس بمقدور البشرا التخلص منه، ومن هنا كانت المآخذ المنهجية على كتابات وأبحاث المستشرقين التى يمكن إجمالها فيمايلى :

١ـ الافتراضات المسبقة :

منهـا يهـد كيـان الـمـنـهـجية العلمية أن يدخل الباحث بمسلمات ثابتة يحاول إخضـاع بحثه لتأكيـدهـا، والـصـحـيـح علميا أن يتوجه البحث لاختبار فرضية متوقعة يمكن أن تثبت أو تنفي حسب ما تمليه الحقيقة العلمية هذا هو المنطق العلمي، ولكن المستشرقين الدارسين للإسلام بحكم مخالفتهم العقدية له لا يستطيعون التخلص من مسلماتهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس نبيا مرسلا، وأن القـرآن الـكـريم ليس كتابا منزلاً ، وأن العرب ليسوا جنسا حضا ريا مؤهلا للقيام بدوري حضاري إنسـانـي، وقـد أثرت هذه المسلمات فى توجهاتهم البحثية فجعلتهم يحاولون الوصول إلى عدم جدة الرسالة الإسلامية، و اعتمادها على مصادر قديمة، واتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بآخرين تعلم مـنـهـم، ونـقـل ما نقل ثم تراهم يتحدثون عن تأثر الرسول ﷺ بالبئية وإصابته بالصرع تارة أخرى إلى غير ذلك من الأراء التى لسنا فى مجال حصرها أو منا قشتها.(٢)

---

(١) راجع : الاستشراق أهدافه ووسائله، ص ١١٨ . (٢) ـ المرجع السابق : ص ١١٦.

Dhaka University Institutional Repository

ويكفي أن نعلم أن هذا التوجه الاستشراقي سبب فى كل الآراء الخاطئة التي صاحبت الفكر الاستشراقي وسببت فى حساسية المسلمين تجاهه كما أنه كان مصدر كل تهمة وجهت إلى الإسلام والمسلمين وبعد عن الحقيقة، وتضليل للرأى العام، وتحريف للفكر الإنساني وإذاكان لنا أمثلة على ذلك وهى كثيرة لاتحصى - فإننا ندرك قول ,,ها ملتون جب،، (١) فى كتابه بنية الفكر الديني فى الإسلام : أن الإسلام جاء ليضفي الصبغة الدينية على تلك الأحيائية العربية القديمة التى يقصد بها تلك العقائد الروحية الخرافية كالسّحر والتنجيم والكهانة (٢)

ونذكر أيضا كثيرا من أراء ,,جولدزيهر،، ومنها قوله عن المفسرين أنهم يسدون مايكون فى التعاليم النبوية من ثغرات ويشرحونها فى أغلب الحالات شرحا غيرواف أي أنهم يفسرونها معتبرين اشتمالها على مالم يخطر على بال واضعيها من أفكار. ومنها أيضا تأليفه كتاب (دراسات محمدية) لإثبات فكرة مسبقة هى أن الأحاديث الموجودة لدينا اليوم مختلقة وموضوعة وهى نتيجة للتطور السياسى الذى طرأ على العالم الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

٤ ـ الإدعاء المتعمد :

يقول الدكتور محمد فتح الله الزيادي : حاولت أن أخفف كثيرا من لهجتى لعنونة هذا الموضوع؛ لأن الكثير من الباحثين حين يصف ذلك يقول عنه (الكذب والتزوير والافتراء المتعمد) إلى غير ذلك من المصطلحات التى لاتناسب مقام البحث العلمى، وإن كانت تناسب من يخون المنهجية العلمية ، والغرض من إيراد هذا العنوان هو ماوقع فيه الكثير من المستشرقين من ذكر روايات لم يقل بها أحد، أو إيراد أحاديث أو نصوص تفسيرية ونسبتها إلى غير قائلها فى محاولة للوصول إلى تشويه متعمد للحقيقة العلمية ولإخفاء جرائمهم لايشيرون إلى مصادرهم وعدم ذكر المصادر وحده خروج عن منهج البحث العلمى السليم فما بالك إذا أضيف له التحريف والاختلاف؟

---

(١)ـ هاملتون جب، من أشهر المستشرقين البريطانيين، ومن مواليد الإسكندرية سنة ١٨٩٠م ، اهتم بتاريخ الأدب العربي ودرس فى جامعات أوربية وأمريكية كبيرة تحصل على عضوية المجمع العلمي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومن انتاجاته : الفتوحات العربية فى آسيا الوسطى، المفصل إلى تاريخ الأدب العربي، تفسير التاريخ الإسلامي ... انظر ميثال جحا (الدراسات العربية ، ص ٥١ وما بعدها. (٢)ـ المرجع السابق ، ص ١١٦. (٣)ـ(١) المرجع السابق، ص . ١١٧

Dhaka University Institutional Repository

ولن يكون هناك جهد كبير لإحضارشواهد على هذه السمة الاستشراقية التى تغص بها كتبهم خاصة مشاهيرهم الذين ملكوا ميدان الدراسات الإسلامية فى العالم الغربي، من ذلك مثلا تلك الافتراءات المتوالية التى غزت ميدان الفكر الأوربي والتي تناولت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، والتى يأتي على رأسها كتاب المرتد سلمان رشدي والكتاب الذى أشار إليه جريدة (لاريبو بليكا) بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢٧م بعنوان (النبيات الإحدى عشرة) للكاتبة الصحفية ,, إيلينا قوتشاردي،، الذي يمتلئ للكثيرمن الافتراءات حول طريقة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم ونواياه.

ومن هذا الجانب أيضا تزوير الوقائع التاريخية ونذكر منه ماقاله المستشرقون (إيفريد والباجى) حول فتح موسى بن نصير لسرقسطة بحد السيف وأن المسلمين أنزلوا بأهلها من الويلات شيئا كثيرا حيث ذبحوهم بالسيف وأشعلوا النار فى البلد وقتلوا الشبان والرضيع بالحراب ونشر والخراب والجوع فى المنطقة كلها، ويكفي دليلا على اختلاقه انفراده بهذا الخبر دون غيره من المؤرخين(١) ويشارك فى هذا الاتجاه مستشرقون آخرون أمثال ,,خوسيه كون دى،، و,,لويس غاردو،، و,,نبرة دارجون،، و,,كوديرا،، دون إشارة إلى مصادرهم فى ذلك. (٢)

٣ ـ الخطأ فى الاستنتاج:

يحكم فى الاستنتاج العلمي عوامل متعددة بعضها علمي محض، وهو عادة مايقود إلى نتائج صحيحة وبريئة وبعضها الآخر غير علمي عادة مايكون مصدره الهوي والميول الذاتية، وهو ما يفسر أحيانا بعدم الموضوعية ودارس الاستشراق سيجدأمامه الكثير من هذه الاستنتاجات التى جانبت الصواب بقصد أوبدونه.

ولكن نجد الفرق واضحاً بين الأخطاء المقصودة و غير المقصودة انطلاقاً من الفكرة ذاتها، فالتى لاقصد فيها عادة ما يكون مصدرها العجز العلمي لغويا كان أو ثقافيا أو حتى ذهنياً، والمقصودة هى تلك التى تفوح منها رائحة المخالفة المذهبية أو الدينية أو العرقية، ومن خلال الشواهد يمكن التعرف على ذلك .

ومن هذه الأخطاء نذكر مايورده ,,مونتجمرى وات،، عن آيات الاستئذان حيث يفسر ذلك بأنه دلالة على تدني المستوى الأخلاقى الذي ساد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، و من ذلك أيضا ما يذكره ,,شاخت،، من أن السنة تحث على إعطاء الزكاة للسراق، والزناة، والأغنياء واستنتج ذلك من حديث رواه البخارى. (٣)

---

(١) راجع : د. مصطفى الشكعة : منهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية، ج/٢ص ٢٩٧ .

(٢) راجع : الاستشراق أهدافه ووسائله، ص ١١٨ ـ ١١٩. (٣) المرجع السابق، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

Dhaka University Institutional Repository

٤ـ توارث الآراء :

من عيوب المنهجية الاستشراقية الاستناد إلى مرجعية غربية مطلقة فيما يتعلق بالدراسات العربية والإسلامية فالمستشرقون يتوارثون آراء معينة ينقلها أحدهم عن الأخر دون مراجعة أو تدقيق خاصة تلك المسائل التى لها علاقة بالقرآن أو النبي أو السنة أو غيرها مما له صلة بها، و هذا الأمر سبب فى أن تكون هناك ما يشبه المصادر الثابتة فى حركة الاستشراق تمثلت فى تربع بعض المستشرقين على عرش الدراسات الإسلامية حتى صارت آراؤهم لاتناقش وإنما يتلقفها غيرهم من المستشرقين لترويجها فقط دون أن يمروا بدر استها، و ربما ساهمت ظروف معينة فى تلميح بعضهم ليتبوأوا هذه المكانة، و نذكر منهم ,,جولد زيهر،، و ليفى اشترواس ،وماسينيون، وريتان ودي ساسي و غيرهم كثير، و كمثال على ذلك ماذكره الدكتور فيجانا من قصة محتواها أنه عثر على ترجمة سريانية للقرآن الكريم جاء بعده مرجليوت بأقل عام ليقرر أن ,,فيجانا،، عثر على نسخة سريانية عريقة فى القدم مشيرا إلى وجود خلافات ذات بال فى المخطوطات القديمة. (١)

٥ـ التجزئة :

أى تجزئة الأمور و غياب النظرة الكلية فى الحكم على الأشياء وفى التعامل مع بعض القضايا، و خاصة عند الحديث عن الأمور الفقهية، فهم يميلون إلى رأي دون اعتبار بقية الأراء كالميل إلى مذهب و إغفال البقية أو عدم الالتفات إلى المشهور و المتفق عليه من الأراء، و التركيز على ما ضعف منها و تظهر هذه التجزئة أيضاً في الاستشهادات المقطعة التى يستخدمها المستشرقون بغية تحقيق أغراض معينة، و من ذلك مثلاً ما فعله ,,مرجليوت،، حين استشهد بقول الرسول ﷺ إنما حبب إلى من دنياكم النساء والطيب دون ذكر بقية الحديث وهو . (جعلت قرة عيني فى الصلاة) وهذا القطع للحديث يحقق أمرين :

١ـ إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصورة الجنسية التى يحاول المستشرقون وضعه فيها.

٢ـ عدم ذكر الصلاة لإبعاد السامعين عن تقدير مكانتها كما يراها الرسول صلى الله عليه وسلم.!! (٢)

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢١ .(٢) المرجع السابق، ص ١٢١-١٢٢.

Dhaka University Institutional Repository

٦ ـ عدم الدقة فى استعمال المصطلحات:

المستشرقون يستخدمون المصطلحات ذات العلاقة بالإسلام دون دقة بقصد الإساءة و التشوية إلى الدين و الفكر الدينى، ومن ذلك مثلا استعمالهم لمصطلح الإسلام حين التعبيرعن المسليمن، و شتان ما بين المصطلحين فى المعنى، ولكن الغرض واضح يتجلى فى تقديم الإسلام من سلوك المسلمين و تصرفاتهم ومن ذلك أيضاً استعمال مصطلح المحمدية كأن الإسلام دين ينتمى إلى فكرة محمد و إنشائه.

و يضاف إلى هذا نفى عربية بعض المصطلحات و نسبتها إلى لغات أخرى ، من ذلك مصطلح (قرآن) الذى يرى ,,بلاشير،، أنه غير عربى بل هود خيل من لغات أخرى مجاورة دون أن يكون هناك سند منطقى واضح، ومثل ذلك ما فعله ,,شاخت،، حبال مصطلح ,,الزكاة،، الذى يرى أنه عبرى دخيل فى العربية و ليس أصلا فيها.

و كالتعبير بمصطلح العرب ثم الانتقال إلى مصطلح المسلمين كما يفعل الكثيرمن المستشرقين ومنهم ,,مونتجمرى وات،، و كذلك استعمال ,,كايتانى،، بمصطلح النبى تارة ثم محمد تارة أخرى ثم المصلح فى موضع آخر. (١)

٧ ـ استخدام صيغ الشك :

يكثر فى المنهج الاستشراقي للتعبير عن الحقائق التاريخية والدينية بصيغ الشك أو الظن، ولذلك تكثر فى أبحاثهم كلمة (من الممكن) (ظن) (يبدو) (لعله) إلى غير ذلك من تعابير الظن وعدم اليقين ومن ذلك مثلا قول,, كارل بروكلمان،، : و أعلن محمد ماظن أنه سمعه كوحي من عند الله (٢)و لايخفى على الباحث الأثر الذى أحدثته كلمة ,,ظن،، فى السياق العام للعبارة والمتتبع لمثل هذه القضايا سيجد منها الكثير فى أبحاثهم و دراساتهم. (٣)

---

(١)ـ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية. ص ٣٠. (٢)ـ المرجع السابق: ص،١٢٢.

(٣)ـ المرجع السابق : ص ١٢٢.

Dhaka University Institutional Repository

٨ ■ التعميم :

و يتحقق هذا المنهج باستخدام كلمات غير علمية ودقيقة كلفظ (كل) الذى لايمكن استعماله منهجيا ولاوفق منطق إحصائى يعتمد التأكد من جزئيات الموضوع، ومثل هذا يمكن أيضا أن يرد حين ذكر القاعدة أو الرأى دون إيراد شواهد أو أدلة علمية، من التعميم أيضا عدم ذكر المصادر والمراجع المعتمدة فى البحث، ومنه كذلك تعمد عدم ذكر من يستشهد بأرائهم كأن يقال : و يذكر بعض العلماء أو قد قال ذلك بعض الباحثين أو المفكرين دون أن يشار إلى نماذج منهم ، مثل هذا المنهج يفقد صفة العلمية؛ لأنه يفقد الدقة واليقين و يميل إلى المراوغة وهذه صفات تهد أساس البحث العلمي، والمنهج الاستشراقي حافل بالكثير من هذه النماذج، لأنه فى معظمه بحث غرضي يستهدف الوصول إلى أفكار و آراء محددة قد لا تكون لها صلة بالمنطق العلمي، أو الواقع العلمي. ولذلك فاللجوء إلى التعميم يساعد فى الوصول إلى المراد ولتأكد من بعض نماذج هذا النوع من المنهج يمكن الرجوع إلى كايتاني فى مقدمة (حوليات الإسلام) و يرجع أيضا إلى ,,يوليوس فلها وزن،، فى كتابه (الدولة العربية وسقوطها و غير هؤلاء كثير لايتسع المقال لذكرهم (١)

(١) راجع : المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل العاشر : ملاحظات على آراء المستشرقين

من خلال أهداف المستشرقين وآرائهم عن الإسلام ونبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاليمه وتراثه ، ومن واقع ما لهم من آراء أخرى تسير فى الاتجاه نفسه نستطيع أن نستخلص الأمور التالية :

١ـ الاستشراق من بين شتى العلوم الأخرى ـ لم يتطور كثيراً فى أساليبه ومناهجه . وفى دراسته للإسلام لم يستطع أن يحرر نفسه تماما من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم الذى انبثق منه الاستشراق أساساً ولم يتغيّر شيء من هذا الوضع حتى اليوم باستثناء بعض الشواذ (١) ومن الواضح فى هذا الصدد أن صورة العصور الوسطى للإسلام قد ظلت فى جوهرها دون تغيير ، وإنما نضت عنها الثياب القديمة لأجل أن تضع ثياباً أقرب إلى العصر . وتتعدد علائم الإصرار على الأفكار العتيقة سواء فيما يتعلق بالقرآن أو ما يتعلق منطقيا بالعقيدة والشريعة والتاريخ فى الإسلام " (٢)

ولا يفوتنى أن أذكر أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو ـ وهى هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية ـ تستكتب المستشرقين بوصفهم متخصصين فى الإسلاميات للكتابة عن الإسلام والمسلمين فى الموسوعة الشاملة التى تصدرها اليونسكو عن تاريخ الجنس البشري وتصوره الثقافي والعلمي !!

"وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو. والمهم ما فيها من مجافاة للحقائق التاريخية وتهجم على نبي الإسلام وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الإساءات التى ليست إلا وحياً لتقاليد موروثة وامتداد للروح الصليبي ، وهو عمل كان ينبغي أن تتنزه عنه هذه المؤسسة الكبيرة "؛ (٣)

---

(١)ـ راجع : د . محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . ص ١١٤ .

(٢)ـ الدكتور البهى : الفكر الإسلامى الحديث . ص ٥٩٨ .

(٣)ـ (١)ـ الدكتور عبد الجليل شلبى : الإسلام والمستشرقون (القاهرة ١٩٧٧) ص ٣ـــ٤ .

Dhaka University Institutional Repository

ويتساءل المرء لماذا ؟ ولعل تفسير ذلك يعود إلى أن الإسلام كان يمثل بالنسبة لأوربا صدمة مستمرة فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة . وحتى نهاية القرن السابع عشر كان "الخطر العثماني" رابضا عند حدود أوربا ويمثل ـ فى اعتقادهم ـ تهد يداً مستمرا بالنسبة للمدنية النصرانية كلها. (١)

ومن هنا يمكن فهم ما يزعمه (موير) من : " إن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية والحقيقة " وما يدعيه "فون جرونيباوم " من أن الإسلام ظاهرة فريدة لامثيل لها فى أىّ دين آخر أوحضارة أخرى . فهو دين غير إنساني وغير قادر على التطور والمعرفة الموضوعية وهو دين غيرخلاق وغير علمي واستبدادي"(٢) وهكذا ينضح الحقد الدفين على الإسلام باستمرار . بمثل هذهالافتراء ات التى ليس لها فى سوق العلم نصيب .

٥ـ يعطي الاستشراق لنفسه فى دراسته للإسلام دور ممثل الاتهام والقاضي فى الوقت نفسه . فبينما نجد مثلا أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط ولا يوضع موضع الشك أسس المجتمع الذى يدرسه ' نجد الاستشراق يعطي لنفسه حق الحكم بل وحتى الاتهام والرفض للأسس الإسلامية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامي . وذلك ناتج عن نوايا مسبقة لايمكن بحال من الأحوال أن تكون نوايا علمية صافية كما يدعي المستشرق "رودى بارت" . (٣)

٦ـ يعد الاستشراق أسلوبا خاصّا فى التفكير يبني على تفرقة أساسية بين الشرق والغرب . (فالشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) كما قال الشاعر الاستعمارى المشهور كبلنج (kipling):"فالغربيون عقليون ومحبون للسّلام ومتحررون ومنطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية ' أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شيء". (٤)

---

(١)ـ المرجع السابق ' ص ١١٧ . (٢)ـ إدوارد سعيد : الاستشراق . ص٨٩.

(٣)ـ راجع : الدكتور / محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى' ص ١١٨ .

(٤)ـإدوارد سعيد : الاستشراق . ص٧٩.

Dhaka University Institutional Repository

ولكن هناك حقيقة هامّة يتجاهلها المستشرقون ببساطة ' وهى أن الحضارة الغربية ـ التى يصفونها باعتزاز بأنها حضارة نصرانية ـ مبنية فى الأصل على تعاليم رجل شرقي وهو المسيح عليه السلام' وعلى ما نقلوه عن العرب من علوم عربية ومن تراث قديم تطور على أيدي العرب وهذه الحقيقة تجعل هذه التفرقة المبدئية إلى شرق وغرب والتى يعتمد عليها الاستشراق أمراً مخالفاً للمنطق . فالنصرانية دين شرقي . والزعم بأن الغرب متقدم لأنه يدين بالنصرانية ' والشرق متخلف لأنه يدين بالإسلام زعم لا أساس من العلم ولا من الواقع ' فاالتقدم الذى يشهده الغرب اليوم فى مجال العلم و التكنو لوجيا لا علاقة له بالنصرانية كدين والتخلف الذى يعاني منه الشرق لا يحمل الإسلام وزره فهذا التخلف كما تقول مالك بن نبي : ـ يرحمه الله ـ " عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لالتمسكهم به كما يزعم الزاعمون " (١)

٧ ــ يعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامى وعلى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالمسيح فى نظر النصارى ـ هو أساس العقيدة ولهذا تنسب النصرانية إليه . وقد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام واعتبروا أن محمداً صلى الله عليه وسلم ـ يعنى بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للنصرانية ؛ ولهذا أطلقوا على الإسلام اسم " المذهب المحمدي" (Mohammedanism) وأطلقوا على المسلمين وصف "المحمد يين" .

ولكن هناك سببا آخر لاستخدام هذا الوصف لدي الكثير منهم وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد' وليس من عند الله . أما نسبة النصرانية إلى المسيح فلا تعطى هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله. وتتم مقارنة أخرى بين محمد والمسيح يكون المسيح فيها هو المقياس . فمحمد مزواج وشهواني فى مقابل المسيح العفيف الذى لم يتزوج ' ومحمد محارب وسياسي أما يسوع فهو مسالم مغلوب على أمره و معذب يدعو إلى محبة الأعداء وهكذا . (٢)

٨ ـ إن الإسلام الذى يعرضه هؤلاء المستشرقون ـ المتحاملون على الإسلام ـ فى كتبهم هو إسلام من اختر اعهم ' وهو بالطبع ليس الإسلام الذى ندين به كما أن محمداً الذى يصورنه فى مؤلفاتهم ليس هو محمد الذى نؤمن برسالته وإنما هو شخص آخرمن نسج خيالهم (٣)

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق ـ فى دراسته للإسلام ـ ليس علما بأىّ مقياس علمي ' وإنما هو عبارة عن أيد يولو جية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وإفتراء ات .

---

(١)ـ مالك بن نبيه : مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى .(القاهرة ' ١٩٧١ م)ص ٧٦ .

(٢) راجع : الدكتور / محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكر ية للصراع الحضارى. ص ١٠٧

(٣) راجع : الدكتور البهى : الفكر الإسلامى الحديث . ص ٥٧٠ .

Dhaka University Institutional Repository

الباب الثاني : القرآن الكريم

الفصل الأول : التعريف بالقرآن الكريم

هذا الفصل ينقسم إلى ثلاثة مباحث : المبحث الأول حول معنى القرآن لغة واصطلاحاً. والمبحث الثاني حول أسماء القرآن والمبحث الثالث حول أوصافه .

المبحث الأول : معنى القرآن لغة واصطلاحاً.

أ ـ معنى القرآن لغة :

لم تتفق كلمة العلماء حول لفظ "القرآن " لامن حيث الدلالة ولامن حيث الاشتقاق أوالعلمية . لقد ذهب العلماء فى لفظ القرآن مذاهب ' فهو عند بعضهم مهموز وعند بعضهم الآخر غير مهموز ' فمن رأى أنه بغير همز الشافعىؒ ' والفراء (١) والأشعري (٢)

أ ـ يقول الإمام الشافعىؒ : إن لفظ القرآن المعرف بأل ليس مشتقاً ولا مهموزاً بل ارتجل ووضع علما على الكلام المنزل على النبى ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ فالقرآن عند الشافعي " لم يؤخذ من قرأت ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرىء قرآنا ولكنه اسم للقرآن ' مثل التوراة والإنجيل ". (٣)

ب ـ ويقول الفراء : إنه مشتق من القرائن ' جمع قرينة ' لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فكأن بعضها قرينة على بعض وواضح أن النون فى " قرائن " أصلية (٤)

ج ـ ويقول الأشعري ومن تبعه فى رأيه : إنه مشتق من "قرن الشيء بالشيء " إذا ضمه إليه ؛ لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض . (٥)

---

(١)ـ الفراء هو أحد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين فى اللغة ' اسمه يحى بن زياد الديلمى ويكنى أبازكريا له كتاب فى معانى القرآن ' وتوفى سنة ٢٠٧ .و فيات الأعيان . ج٢' ص٢٨٨ .

(٢)ـهو الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري الذى نسب إليه الطائفة الأشعرية توفى سنة ٣٢٤ ' راجع : وفيات الأعيان . ج١' ص ٣٤٢ .

(٣)ـ الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج/٢ ص ٦٢ .

(٤)ـ جلال الدين السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن (ط ٣. ١٩٤١م ج١)ص٨٧ .

٥ ـ بدرالدين الزركشى : البرهان فى علوم القرآن(ج ١)ص ٢٧٨ .

Dhaka University Institutional Repository

والقول بعدم الهمز فى هذه الآراء الثلاثة كاف للحكم ببعدها عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة .

وممن رأى أن لفظ "القرآن" مهموز : الزجاج (١) و اللحيانى (٢) وجماعة .

أ ـ يقول الزجاج : إن لفظ "القرآن" مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع . ومنه قرأ الماء فى الحوض إذا جمعه ؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السّابقة (٣)

ب ـ ويقول اللحياني : إنه مصدر مهموز بوزن الغفران ، مشتق من قرأ بمعنى تلا ، سمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر (٤)

والأخير أقوى الآراء وأرجحها فالقرآن فى اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه.﴾ (٥)

ويقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : " وعلى الرأي المختار فلفظ القرآن مهموز ، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا دخلته "أل" بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف " (٦)

ب ـ معنى القرآن اصطلاحا :

ويذكر العلماء تعريفاً له يقرّب معناه ويميزه عن غيره فيعرفونه بأنه : "هو كلام اللّٰه المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب فى المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر المتعبّد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس" (٧)

وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين .

---

(١)ـ الزجاج هو إبراهيم بن سرّى ويكنى أبا إسحاق ،صاحب كتاب معانى القرآن توفى سنة ٣١١ .انظر : القفطى : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج١، ص ١٦٣ .

(٢)ـ هو أبو الحسن على بن حازم اللغوى المشهور توفى سنة ٢١٥ .

(٣)ـ بدر الدين الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ، ج ١، ص ٢٧٨ .

(٤) ـجلال الدين السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن، ج١،ص ٨٧ .

(٥)ـ [القيامة : ١٧ ـــ ١٨] (٦)ـ الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ، ج١، ط ٣،ص ٧ .

(٧)ـ محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن. ص ٦ .

Dhaka University Institutional Repository

المبحث الثاني : حول أسماء القرآن :

للقرآن الكريم أسماء عديدة كلها تدل على رفعة شأنه وعلومكانته وعلى أنه أشرف كتاب سماوي على الإطلاق .

وقد سماه الله بأسماء كثيرة ، منها :

١- "القرآن " قال تعالى: ﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للتى هى أقوم﴾ (١)

٢- " الكتاب " ﴿.... لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكر كم ﴾ (٢)

٣- "الفرقان" ﴿... تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (٣)

٤- "الذكر" ﴿... إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٤)

٥- " التنزيل "﴿... وإنه لتنزيل ربّ العالمين ﴾(٥)

وهذه الأسماء هي الشائعة المشهورة . غير أن بعضهم بالغ فى تعداد ألقاب القرآن حتى ذكر منها الزركشى خمسة وخمسين نقلاً عن القاضى شيذ له (٦) ولاريب أنه خلط فيها بين التسمية والوصف .. (٧)

وقد غلب من أسمائه "القرآن " و "الكتاب" قال الدكتور محمد عبد الله دراز : " روعي فى تسميته " قرآنا" كونه متلوا بالألسن ، كما روعي فى تسميته "كتاباً" كونه مدوناً بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه .

---

(١)-[الإسراء: ٩] (٢)-[الأنبياء: ١٠] (٣)-[الفرقان: ١] (٤)-[الحجر: ٩]

(٥)-[الشعراء : ١٩٢] . (٦)- هو الفقيه الشافعي أبو المعالي عزيزى بن عبد الله . مؤلف " البرهان فى مشكلات القرآن " توفى سنة ٤٩٤ راجع : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٤٠١ .

٧- د. صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن . ص ٢١ .

Dhaka University Institutional Repository

وفى تسميته بهذ ين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لافى موضع واحد ' أعني أنه يجب حفظه فى الصدور والسّطور جميعاً ' أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى' فلا ثقة لنا بحظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ' المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة ' ولاثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ماهو عند الحافظ بالإسناد الصحيح المتواتر . وبهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيّها ' بقي القرآن محفوظاً فى حرزحريز ' إنجازاً لوعد الله الذى تكفّل بحفظه حيث يقول: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السّند". (١)

المبحث الثالث : أوصاف القرآن :

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة ' منها :

١- "نور" قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس قدجاء كم برهان من ربكم ' وأنزلنا إليكم نوراً مبينا﴾ (٢)

٢- " هدى" و "شفاء" و "رحمة " و موعظة " ﴿... ياأيها الناس قد جاء تكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدي ورحمةً للمؤمنين ﴾(٣)

٣- "مبارك" ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ﴾ (٤)

٤- " مبين" ﴿... قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين ﴾ (٥)

٥- " بشري" ﴿مصدّقا لما بين يديه وهدي وبشرى للمؤ منين ﴾ (٦)

٦- "عزيز" ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاء هم ' وإنه لكتاب عزيز ﴾ (٧)

٧- " مجيد" ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ (٨)

٨- " بشير و " نذير" ﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً ﴾ (٩)

وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني القرآن .

---

(١)- النبأ العظيم (طبعة دارالقلم بالكويت)ص ١٢ – ١٣ . (٢)- [النساء: ١٧٤] (٣)- [يونس : ٥٧] (٤)- [الأنعام : ٩٢] . (٥)- [المائدة : ١٥]. (٦)- [البقرة : ٩٧] (٧)- [فصلت : ١٥] . (٨)- [البروج : ٢١] (٩)- [فصلت : ٣ – ٤].

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : الفرق بين القرآن والحديث القدسي :

سبق تعريف القرآن ولكي نعرف الفرق بينه وبين الحديث القدسي نذكر تعريف الحديث النبوي والحديث القدسي .

الحديث في اللغة : ضدّ القديم ، ويطلق ويراد به كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السّمع أو الوحي في يقظته أو منامه ، وبهذا المعنى سمّي القرآن حديثاً ، ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ (١) وسمّي ما يحدث به الإنسان في نومه : ﴿وعلّمتني من تأويل الأحاديث﴾ (٢)

والحديث في الاصطلاح : ما أضيف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة . (٣)

معنى الحديث القدسي : والقدسي : نسبة إلى القدس ، وهي نسبة تدل على التعظيم ، لأن مادة الكلمة دالة على التنزيه ، والتطهير في اللغة فالتقديس؛ تنزيه الله تعالى . والتقديس : التطهير ، وتقدّس : تطهّر ، قال الله تعالى على لسان ملائكته : ﴿ ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك﴾ (٤) أي نطهّر أنفسنا لك ،

والحديث القدسي في الاصطلاح : هو ما يضيفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه على أنه من كلام الله ، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده ، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مسنداً إلى الله عزوجل فيقول : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربّه عز وجل ... " أو يقول : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : قال الله تعالىٰ ـ أو يقول الله تعالى ... " (٥)

مثال الأوّل : "عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ـ فيما يرويه عن ربّه عزوجل : " يد الله ملأى لايغيضها نفقة ، سحّاء الليل والنهار ... ، (٦)

ومثال الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه . " (٧)

---

(١)ـ [النساء : ٧٨] . (٢)ـ [يوسف ١٠١]. (٣)ـ مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص ٢٠ .

(٤)ـ [البقرة : ٣٠] . (٥)ـ المرجع السابق ، ص ٢١ . (٦)رواه البخاري في صحيحه ، المجلد الثاني، (باب قول الله : لما خلقت بيدي) (أصح المطابع ، ديوبند، ١٤١٥هـ)ص ١١٠٢ . (٧)رواه البخاري . ج٢ ، باب (قول الله ويحذركم الله نفسه) الناشر (أصح المطابع ، ديوبند، ١٤١٥هـ)ص ١١٠١ .

Dhaka University Institutional Repository

هناك عدّة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي أهمها :

١ ـ إن القرآن الكريم كلام الله أوحي به إلى رسول الله ﷺ بلفظه ، وتحدى به العرب ، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله ولا يزال التحدي به قائماً فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين . بخلاف الحديث القدسي فإنه لم يقع به التحدّي والإعجاز .

٢ـ إن القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى، فيقال : قال الله تعالى. والحديث القدسي ـ كما سبق قد يروي مضافا إلى الله تعالى ، وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيقال : قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى وقد يروي مضافاً إلى رسول الله ، وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو المخبر به عن الله فيقال قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عزوجل .

٣ـ والقرآن الكريم جميعه منقول با التواتر ، فهو قطعي الثبوت . والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد ، فهي ظنية الثبوت . وقد يكون الحديث القدسي صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً .

٤ـ والقرآن الكريم من عند الله لفظاً ومعنىً ، فهو وحي باللفظ والمعنى . والحديث القدسي معناه من عند الله ، ولفظه من عند الرسول ﷺ ـ على الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ ؛ ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين .

٥ ـ والقرآن الكريم متعبد بتلاوته ، فهو الذى تتعين القراءة به فى الصلاة ﴿ فاقرأو ما تيسّر من القرآن ﴾ (١) وقراءته عبادة يثيب الله عليها بما جاء فى الحديث : " من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول " الم " حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " (٢)

والحديث القدسى لا يجزى ء فى الصّلاة ، ويثيب الله على قراءته ثواباً عاما فلا يصدق فيه الثواب الذى ورد ذكره فى الحديث على قراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات . (٣)

---

(١)ـ [المزمّل : ٢٠] . (٢)ـ رواه الترمذى عن ابن مسعود وقال : حديث حسن صحيح .باب ما جاء فى من قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر (ج٢ ، الناشر شركة مختار ، ديوبند ، الهند ، د . ت) ص ١١٩.

(٣)ـ انظر : مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث : مكانة القرآن وفضائله :

لم يحدث فى تاريخ البشرية أن أمة من الأمم اعتنت بكتابها السماوي كما اعتنت هذه الأمة المحمدية. ولم نسمع عن كتاب مقدس نال من الحفظ والرعاية والإجلال والإكبار ' كما ناله هذا الكتاب المجيد . ولاعجب أن ينال القرآن العظيم هذه المنزلة الرفيعة. ويحتل من نفوس المسلمين تلك المكانة الجلية ؛ ذلك لأن الأحداث التى رافقت نزول هذا الكتاب المقدس . تجعله يتبوأ مكان الصدارة بين جميع الكتب السّماوية . ويفوق كل ما جاء به الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هداية وإصلاح . وتربية وتعليم وسمو وتشريع ' ولقد أحسن وأبدع من قال :

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أهدى وأقوم قيلا

لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفى القنديلا (١)

لقد تسابق الفصحاء والبلغاء والحكماء والشعراء فى وصف هذا القرآن ' وسردمحا سنه وفضائله ' ولكننا لا نجد أبلغ ولا أسمى من وصف صاحب الرسالة محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول : " كتاب الله ' فيه نبأ ما قبلكم ' وخبر ما بعدكم ' وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ' من تركه من جبّار قصمه الله ' ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلّه اللّه ' هو حبل اللّه المتين ' وهو الذكر الحكيم ' وهو الصراط المستقيم ' وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ' ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق (٢) على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه' وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ...﴾ من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ' ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم". (٣)

وقد أنزل الله تعالى القرآن ليكون دستوراً للأمة ' وهداية للخلق وليكون آية على صدق الرسول' وبرهانا ساطعاً على نبوته ورسالته وحجة قائمة إلى يوم الدين تشهد بأنه تنزيل الحكيم الحميد بل هو " المعجزة الخالدة " التى تتحدى الأجيال والأمم على كرّ الازمان ومرّ الدهور.

---

(١) محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن . ص ٨٥ (٢) أى لا يبلى ولا تذهب حدّته على كثرة القراءة والترداد .

(٣) رواه الترمذى فى باب " فضائل القرآن "(ج ٢ ' الناشر شركة مختار ديوبند ' الهند ' د.ت) ص ١١٨ .

Dhaka University Institutional Repository

وقد وردت آثار كثيرة فى فضائل القرآن منها ما هو متعلق بفضل التعلم والتعليم ، ومنها ما هو متعلق بالقراءة والترتيل ومنها ما له علاقة بحفظه وترجيعه كما وردت آيات عديدة فى كتاب الله عزوجل تدعوا المؤمنين إلى تدبره وتطبيق أحكامه ، وإلى الاستمتاع والإنصات عند تلاوته وفيما يلى نذكر بعض هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تدل على فضائله .

بعض الأيات التى تدل على فضائل القرآن : =

١ـ قال تعالى :﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ (١)

٢ـ وقال تعالىٰ : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون﴾ (٢)

٣ـ وقال تعالىٰ : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٣)

٤ـ وقال تعالىٰ : ﴿ ذٰلك الكتاب ، لاريب فيه فيه هدى للمتقين ﴾ (٤)

٥ـ ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ (٥)

٦ـ ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ (٦)

٧ ـ ﴿ يا أيها الناس قد جاء كم برهان من ربّكم ، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ (٧)

٨ ـ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٨)

٩ـ ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (٩)

١٠ـ ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ (١٠)

١١ـ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (١١)

١٢ـ ﴿إنه لقرآن كريم ، فى كتاب مكنون ، لا يمسّه إلاّ المطهرون تنزيل من رب العالمين ﴾ (١٢)

---

(١) ـ [فاطر: ٢٩] (٢)ـ [الأعراف : ٢٠٤]. (٣)ـ [محمد : ٢٤]. (٤)ـ البقرة : ٢] . (٥)ـ [البقرة : ١٢١] (٦)ـ [البقرة : ١٨٥] (٧)ـ [النساء : ١٧٣] (٨)ـ [النساء : ٨١] . (٩)ـ [يوسف : ١ـ٢]

(١٠)ـ[النحل : ٨٩] (١١)ـ[الإسراء : ٨٨] (١٢)ـ]الواقعة : ٧٧]

Dhaka University Institutional Repository

بعض الأحاديث الشريفة التى تدل على فضائله :

١ ـ عن عثمان بن عفان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " خيركم من تعلم القرآن وعلّمه " (١)

٢ـ وقال أيضاً " الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه (أى تصعب قراءته عليه لعىّ لسانه) وهو عليه شاق له أجران " (٢)

٣ـ وقال أيضاً : أشراف أمتى حملة القرآن " (٣)

٤ـ وقال أيضاً : "اقرأو : القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " (٤)

٥ـ وقال أيضاً " إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ..... " (٥)

٦ ـ وقال أيضاً مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيّب..." (٦)

وينبغى للدارس لعلوم القرآن أن يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه ، ويكون غرضه من وراء العلم رضوان الله والدارالآخرة لاحطام الدنيا ، وأن يعمل بما فيه ليكون حجة له يوم القيامة فقدصحّ فى الحديث الشريف : " القرآن حجة لك أو عليك " (٧)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : " من لم يقرأ القرآن فقد هجره ، ومن قرأ القرآن ولم يتدبّر معانيه فقد هجره ، ومن قرأه وتدبره ولم يعمل بما فيه فقد هجره"(٨) يشير بذلك إلى قوله تعالىٰ ﴿ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ (٩)

---

(١) رواه البخارى ،

(٢) رواه مسلم ،

(٣) رواه الترمذى ،

(٤) رواه الترمذى ،

(٥) رواه الشيخان ،

(٦) رواه مسلم ،

(٧) رواه مسلم ،

(٨) محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن، ص . ٨

(٩)ـ [الفرقان : ٣٠]

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع : القرآن معجزة محمد الخالدة

وقد جرت حكمة الله الأزلية ، أنه يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات والدلائل الواضحات والحجج والبراهين الدامغة. التى تدل على صدقهم، وعلى أنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير . وقد خص الله - تبارك وتعالى - نبينا - ﷺ - بالمعجزة العظمى (القرآن) ذلك النور الرباني والوحي السماوي الذى ألقاه على قلب نبيه قرآنا عربيا غير ذي عوج يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، والذي أحيا به أجيالامن العدم كانت في عداد الموتي فأحياها الله بنور هذا القرآن ، وهداها أقوم طريق وانتشلهامن الحضيض ، فجعلها خيرأمة أخرجت للناس ، وصدق الله حيث يقول : ﴿أومن كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون ﴾ (١)

لقد أحيا القرآن أمما وأوجد مجتمعا، وألف جيلا لم يعرف له التاريخ مثيلا فأخرج من العرب الذين كانوا رعاة الإبل و الغنم سادة الشعوب والأمم فملّكهم الدنيا حتى حكموا أقاصي المعمورة ، وكل ذلك بفضل هذا القرآن معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين، وفى ذلك يقول أمير الشعراء :

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له وأنت أحييت أجيالا من العدم (٢)

ولئن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزات حسية تتناسب مع العصر والزمان الذى بعثوا فيه كمعجزة موسى - عليه السلام - حيث كانت (اليدو العصا) لأنه بعث فى زمن كثر السحرة واشتهر فيه السحر، وكذلك معجزة عيسى - عليه السلام -

---

(١) - [الأنعام : ١٢٢]

(٢) - راجع : محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن. ص٨٥ ـ ٨٦.

Dhaka University Institutional Repository

حيث كانت بإحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و الإخبار عن بعض المغيبات' **لأنه بعث** في عصر كثر فيه الطب والحكمة، و ظهر فيه الأطباء البارعون فأتاهم عيسى بن مريم بما أدهشهم و أعجزهم من شفاء المرضى و إحياء الموتى و إبراء العمى البكم الصم.

و إذا كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات (مادية حسية) فإن معجزة محمد بن عبد الله معجزة (روحية عقلية) و قد خصه الله بالقرآن معجزة العقل الباقي على الزمان ، ليراها ذو والقلوب والبصائر فيستنيروا بضيائها و ينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر فقد ورد عن سيد المرسلين أنه قال ﴿ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر' و إنما كان الذي أو تيته و حيا أو حاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً. (١)

هذا الوحي السماوي الذي ألقاه الله على قلب نبيه الأمين هو معجزة الإسلام الخالدة و حجته الباقية تقوم على فم الدنيا شاهدة بصدق الرسول، ناطقة بعظمة الإسلام و خلود هذا الدين، بينما ذهبت المعجزات الحسية، ومضت مع أحداثها الكونية و تلاشت من الوجود بعد و فاة الأنبياء الكرام الذين أتوابها فلم يعد لها وجود و بيان إلا في هذا القرآن الذي أخبر عنها، فكان له الفضل الأعظم عليها سابقاً و لاحقا' و لله در القائل (شوقي) حيث يقول :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت و جئتنا بكتا ب غير منصرم

آياته كلمـــا طال المدى جـدد يزينهن جمال العتق والقدم (٢)

وقال العلامة الزرقاني: وهنا نلفت النظر إلى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة قد كتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيام، ولم يمت بموت الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، بل هو قائم على فم الدنيا يحاج كل مكذب و يتحدى كل منكر، و يدعو أمم العالم جمعاء إلى مافيه من هداية الإسلام و سعادة بني الإنسان، ومن هذا يظهر الفرق جليا بين معجزات نبي الإسلام و معجزات إخوانه الأنبياء ـ عليهم أزكى الصلاة وأتم التسليم ـ فمعجزات محمد في القرآن وحده آلاف مؤلفة، وهي ممتعة بالبقاء إلى اليوم و إلى ما بعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) رواه البخاري. (٢) راجع : التبيان في علوم القرآن ، ص ٨٧.

Dhaka University Institutional Repository

أما معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد، قصيرة الأمد، ذهبت بذهاب زمانهم وماتت بموتهم، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا فى خبر كان، ولا يسلم شاهد له بها إلا هذا القرآن، وتلك نعمة يمنها القرآن على سائر الكتب والرسل، وما صح من الأديان كافة قال تعالى: ﴿و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه.....﴾(١) و قال عزّ اسمه: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله، وملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله.... ﴾(٢) (٣)

و يقول الشيخ / محمد البناء ما نصه: ,, و إذا كان قد جرت خوارق للعادات على يد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير القرآن كما ورد فى صحاح السنة فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتحد بها بل كان التحدى بالقرآن و حده ؛ و لهذا كان القرآن معجزة الرسول التى تؤيد رسالته ، تشرق فى قلوب الذين اتبعوه من المؤمنين ،، (٤)

ورسالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاملة خالدة ' لأنها خاتمة الرسالات فكانت الحكمة أن تتفق معجزته مع نوع رسالته، إذ كل نبى سبق كان يأتى برسالة لقوم بأعيانهم و تنتهى بمايأتى بعدها من الرسالات، ولم يكن من الممكن أن تكون معجزة خاتم الأنبياء أمرا حسيا يراه جماعة حين يقع، فإذا لحق الرسول بالرفيق الأعلى انقضى ذلك الأمر المحسوس و لايراه أحد من **بعده: لأن الأمور** المحسوسة لاتتفق مع نوع هذه الرسالة ولامع خلودها لقد كان القرآن معجزة للناس جميعا، ولذلك جاء من نوع آخر غير نوع المعجزات السابقة، و قد جاء للدنيا بعد أن اكتملت المدارك البشرية و ارتقى الفكر الإنسانى؛ لأن رسالة سيد نا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وافت البشرية بعد أن أدركت رشدها ، وتكامل النمو العقلى فى مجموعها، فكانت معجزته تدرك بالعقل، ولاتحتاج إلى أى نوع من الحس فهى معان خالدة، يدرك سموها الإنسانى فى كل الأجيال، وهى معجزة يخاطب بها الناس جميعا،، (٥)

---

(١)ـ المائدة : ٣٨. (٢)ـ البقرة : ٢٨٥ . (٣)ـ راجع : مناهل العرفان ' ج٢ ' ص ٢٣٢ .

(٤)ـ الصابوني : التبيان فى علوم القرآن . ص ٨٨. (٥)المرجع السابق : ص ٨٨ ـ ٨٩ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الخامس : خصائص القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز ، المنزل على النبي ﷺ ـ المكتوب فى المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، ومن خلال تعريف القرآن ، والتدبر والتأمل فى آياته نستنتج بعض خصائصه ونذكرها فيما يلى بإيجاز .

١ــ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وليس كلام البشر :

ومعنى ذلك هو كلام الله القائم بذاته تعالى ، وهو صفة قديمة من صفاته ، متضمن لجميع معاني الكلام ، محيط بما لا يتناهى من المعلومات ، ومعنىٰ كلام الله المتضمن لجميع المعانى هو اشتماله على الألفاظ الدالة على ما فى النفس وعلى مدلول العبارات وهي المعاني التى فى النفس. (١) إنه صحيفة إلهية ؛ ولذلك فهى بريئة من الغلطات الإنسانية والسقطات البشرية ، واختلاف القياسات البشرية إنها الصّحيفة الإلّهية الأخيرة ؛ ولذلك فهي غنية عن كل زيادة وإلحاق وتكميل ومحفوظة من كل تغيير وتبديل وتحريف وهى صحيفة عالمية شاملة وكاملة فهى فى غير حاجة إلى ملحق وتتمة واستدراك . (٢) ولأجل أنه صادر من علم الله لا يوجد فيه تناقض ولا اختلاف ولا تصادم فإنها من صفات الجهل، أو طروء الزيادة فى العلم والنقصان أو الغفلة والنسيان أو الكذب والاختلاف ـ وهو بريء من كل ذلك ، منزه من كل شائبة منه فلا جرم أن يكون كلامه الصادر منه بريئاً من كل تعارض محفوظاً عن كل اختلاف، حيث قال تعالىٰ :﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٣)

---

(١)ـ انظر : الإمام الغزالى : المستصفى من علم الأصول (ج١، ط ١ ، المطبعة الأميرية الأيرية سنة ١٣٢٢هـ) ص ١٠٠.

(٢)ـ انظر : أبو الحسن علي الحسني الندوي : المدخل إلى الدراسات القرآنية (ط٢ ، ١٩٩٤م المجمع الإسلامى العلمي لكناؤ) ص ٣٧ .

(٣) ــ (النساء : ١٢)

Dhaka University Institutional Repository

٢ـ القرآن الكريم معجز :

معناه هو الذي لا يستطيع البشر تقليده أو الإتيان بشيء يشبهه ، خاصّة أن الله سبحانه وتعالي تحدى به العرب الذين هم أهل فصاحة وبلاغة وبيان للإتيان ولو بسورة منه فما قدّروا .... (١) الإعجاز القرآني ثابت بالنص الصريح لأن الله تحدى به قوماً فى زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة وقول الشعر والفصاحة فسفّه أحلامهم ، وقصّر معقولهم فعجزوا عن الإتيان بمثله . قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن. لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (٢)

٣ـ القرآن الكريم مكتوب فى المصاحف ومنقول إلينا بالتواتر :

أنه مكتوب فى المصاحف ؛ لأن الصحابة بالغوا فى الاحتياط فى نقله حتى أهملوا تدوين الحديث فى بداية الأمر كي لا تختلط به وجمعوه فى عهد أبى بكر الصديق . وعندما اختلف القراء فى تلاوته جمع مرة ثانية فى عهد الخليفة عثمان الذى محا الأحرف الستة التى أنزل بها القرآن ، وأبقى على الحرف السابع وهو حرف قريش أى لغتها ، وهو الحرف الذى نقرأبه إلى يومنا هذا . وأنه منقول إلينا بالتواتر ؛ لأنه بهذه الصفة يستحيل فيه الكذب أو النسيان أو الغفلة ، وقد تواتر الصحابة على نقله عن الرسول وحفظوه فى صدورهم ، وعيّن له الرسول كتبة يكتبون الآيات التى تتنزل عليه وبالتالي وصل إلينا صحيحاً خالياً من الخطأ والتدليس والتبديل . (٣)

---

(١)ـ الإمام الغزالي : المستصفي من علم الأصول . ص ١٠١ . (٢) [الإسراء: ٨٨]

(٣)ـ انظر : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية . ص ٣٠٤ .

Dhaka University Institutional Repository

٤ـ القرآن قطعي غير مشكوك فيه إطلاقا :

ومن أكبر مزاياه التى هي من معجزاته وآياته التى تفوق طوق البشر هو أنه علم قطعي يقيني جازم . قال تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ (١) ﴿وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ﴾ (٢) ﴿وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٣) ومصدر هذا القرآن هو علم الله الذى يعلم الغيب والشهود وهو الوحي الإلهي الذى لايعترضه شيء من عوارض البشر إن هذا المصدر بريء من كل نقص واختلال ، أوشك والتباس أوظن وتخمين (٤)

٥ـ القرآن محكم ومفصّل :

إن القرآن الحكيم واضح كل الوضوح ، محكم كل الإحكام مبين كل بيان في أصول الدين وكلياته وأسسه ومبادئه ، وفى جميع الأمور التى تمسّ إليها حاجة الإنسان فى فلاح دنياه وسعادته فيها وفى نجاته وسعادته فى الآخرة .لا يحتمل القرآن فى ذلك إيهاماً ولاغموضاً . ولم يدع فيه تفصيلا ولا تفسيراً إلاّ أودعه فيه . (٥)

قال تعالى : ﴿ أفغير الله أبتغى حكما ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصّلا﴾ (٦) ﴿ ولقد جئنا هم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٧) ﴿ وما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدي و رحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٨)

---

(١)ـ [البقرة : ٢]. (٢)ـ [يونس : ٧] (٣) انظر : ابو الحسن على الحسنى الندوى : المدخل إلى الدراسات القرآنية . ص ٩ وما بعدها . (٥) المرجع السابق ، ص ١٦ـ١٧ (٦) [الأعراف : ٥٢] (٧)ـ [الأنعام : ١٤١] (٨)ـ [يوسف : ١١١]

Dhaka University Institutional Repository

٦ـ القرآن فرقان :

القرآن فارق بين الحق والباطل . والخير والشر والنور والظلام وهى سمته المميزة التى أصبحت علامة عليه بل علما يطلق عليه ويعرف به . قال تعالى : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (١) إن الفارق الأصيل والحاجز السميك الذى أقامه القرآن الكريم ، إلى أن تقوم الساعة ، بين الهداية والضلالة ، والإيمان والكفر والإسلام والجاهلية ، ورضا الله وغضبه ، وبين الظن واليقين ، والحلال والحرام فارق مميز ، يعجز عن نظيره تاريخ الصحف السّماوية ، والتعاليم الدينية عبر العصور والأجيال ، فالفارق الذى أقامه بين التوحيد والشرك ـ على سبيل المثال ـ وما استبعد فيه من أدنى الاحتمالات وأضعف الشبهات ، وأخفى المزالق ، إنه فارق يدل على إعجازه وأنه من الله : ﴿قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ (٢) ﴿يميز الله الخبيث من الطيب ﴾ (٣)

٧ـ القرآن مصدر للكتب الإلهية السابقة ومهيمن عليها :

ينبغي عند هذه النقطة أن يلاحظ ثلاثة أمور :

أ ـ أن أصول الدين وكلياته الأساسية قدر مشترك بين جميع الكتب السماوية والديانات السماوية ، وقد صرح بذلك القرآن الكريم فى عدة مواضع منها : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ (٤)

ب ـ أن الصحف السماوية السابقة على القرآن المهيمن . كانت مؤقة بزمن محدود . وبقيت إلى زمن محدود . فلم تكن فيها صحيفة دائمة البقاء ولا مستمرة الحفظ والصّيانة .

ج ـ أن القرآن الكريم كتاب الله الأخير وهو الصحيفة الأبدية الشاملة لأصول الدين كلها ، ولن تزال مصونة محفوظة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . (٥) قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٦)

---

(١)ـ [الفرقان : ١] (٢)ـ[البقرة : ٢٥٦] . (٣)ـ [الأنفال : ٣٧] (٤)ـ [المائدة : ٤٨ .]

(٥) راجع : المرجع السابق . ص ١٩ ـ ٢٠ (٦) [الحجر : ٩]

Dhaka University Institutional Repository

٨ـ القرآن يهدي إلى سبل السّلام ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور:

قال تعالى : ﴿ قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوا السّلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (١) . ﴿ هو الذ على عباده آيات بينات يخرجكم من الظلمات إلى النور ، وإن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾ (٢)

إن القرآن الكريم يفتح للحياة الإنسانية بجميع شعبها وميادينها ، تلك السّبل الم المستوية الواضحة التى تخلو من كل المطبات والنتوئات والمزالق والأخطار ، ولا تعبر عو السبل أفضل وأجمع من سبل السلام إنها من تلك الكلمات المصطفاة التى لاتفسّر بغير الكلمات والألفاظ. (٣)

٩ـ ومن خصائص القرآن الإخبار بالغيب :

فهو يحتوي على أخبار وتاريخ الأمم السابقة التى لا نعلم أحوالها ، وكذلك أحوال وعبادتها ، والأنبياء المبعوثين لها ، وتصرفاتهم تجاه أولئك الرّسل ومجازاتهم طبقاً لتصرفاتهم يخبرنا عن كثير من الأمور المستقبلية التى لانزال نجهلها . وتضمنا للعديد من العلوم والم والمكتشفات التى تو صلنا الآن إلى بعضها ، والأخرى مازالت فى طىّ الكتمان .

وبيان ذلك اشتمال القرآن على تحقيق الكثير من القضايا ، والمسائل العلمية والتاريخية ا تكن معروفة زمان نزوله ، ثم اكتشفها البشر بعد النظر والتحقيق والبحث فيها ، خاصة الم المتعلقة بطبيعة الكون وتايخ البشر ، والسنن التى أجراها الله وسيّربها الكون كتأثير الرياح على الأشجار وكانفصال الأرض عن الكواكب الأخرى مصداقا لقوله تعالى ﴿ أولم ير الذين كفر السّموات و الأرض كانتا رتقا ففتقنهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حىّ أفلا يؤمنون ﴾ (٤) و العديد من الآيات الدالة على كروية الأرض ، ودوران الأفلاك مع بعضها فى الفضاء وفقاً ل محكم دقيق .

---

(١)ـ المائدة : [١٥ ـــ ١٦]. (٢)ـ الحديد : ٩ . (٣)ـ راجع : المرجع السابق . ص ٢١ ـــ ٢٢ .

(٤)ـ الأنبياء : ٣٠ . (٥) انظر : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، ص ٣٠٤ ـــ ٣٠٥ .

Dhaka University Institutional Repository

١٠ـ ومن خصائص القرآن وفاؤه بحاجات البشر :

نزل القرآن فى أمة ترسخ تحت أعباء الجاهلية ، وقد اكتست من الجهل سربالاً بعقائد منحرفة ، وتشريعات ضالة و أخلاق رذيلة ومجتمع متفكك العرى لاسياسة توحد صفوفهم ولا مصلحة اقتصادية تربط بينهم ، ديدنهم توارث الأحقاد والعداوات وشأنهم إشعال الحروب يهضمون حق المرأة كل الهضم ويسترقون أحرار الرجال بلاحق ، ويكبلون العقول ويقيدون الأفكار .

نزل القرآن و هم على هذه الجاهلية ، وجاء واقياً بحاجات هذا المجتمع . أصلح العقيدة بالتوحيد ، وأصلح العبادات بأرشادهم إلى ما يزكى النفوس ويطهر القلوب ، وأصلح الأخلاق، فبين فضائلها وكشف رذائلها. أصلح المجتمع بإزالة الفوارق الاجتماعية وأرشدهم إلى (لافضل لعربى على عجمى إلابالتقوى) (١) وأصلح سياسة البلاد فى الداخل بالحكومة الإسلامية العادلة وفى الخارج بإقامة علاقات سياسية تحفظ حقوقهم هناك . (٢)

وأصلح المال والاقتصاد فأمر بالزكاة والصدقة وحرّم الربا ، وحث على الزراعة ، والصناعة والحرفة والعمل والانتاج وحذّر من البطالة ، وأعطى المرأة حقوقها فى المال وفى البيع والشراء وفى اختيار الزوج . وفى الإرث وغير ذلك ، حتى بواها منزلة لم تعط مثلها فى كل المجتمعات وفى كل الأديان ووضع للحرب شروطها ووضح مبادئها وغاياتها ـ وأمر بالوفاء بالمعاهدات وآثر السلم عليها ، وحث على عتق الرقاب وحذر من الجور عليهم ، وفوق هذا كله جاء بالحرية أى الحرية الحقة

وقد حاولت دول عظمى ـ بميزان القوة المادية ـ أن تقضى على مشاكلها أو على بعضها ، وأنفقت على علاج بعضها الملايين وعجزت وفى التشريعات مازالو يتخبطون ، يشرعون ثم يرجعون ويطالبون ثم ينكسون ما اهتدوا الصواب ، وما عرفوا الطريق ، ولا يمكن علاج هذه المشاكل كلها إلا بالقرآن ، وفى هذا أكبر دليل وأقوى حجة وأنصح برهان على أن فى القرآن وفاءً بحاجات البشرية كلها ، لو كانوا يفقهون . (٣)

---

(١)ـ سنن الدارمي . ج ١، ص ٤ .

(٢) راجع : د. فهد بن عبد الرحمن الرومى : خصائص القرآن (مكتبة التوبة . ط ١٠، ٢٠٠٠م)ص ٧٣ ــ ٧٤ .

(٣) ـ انظر : المرجع السابق ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

Dhaka University Institutional Repository

١١ـ ومن خصائص القرآن أنه لايصادم الحقائق العلمية :

إن المؤيد للتفسير العلمي والمعارضين له أيضاً كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم و لن يصادم حقيقة علمية لم يقولوا هذا عن عاطفة مجردة ، ولم يقله أتباع القرآن فحسب وإنما قاله أو لئك وقاله خصومه أيضاً بعد أن تناولوا آيات عديدة منه وقلبوها دراسة وتأملا وتدبّرا ، ونظروا فيما بين أيديهم من النظريات والحقائق العلمية ، حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه .

وعرض القرآن كثيراً من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السمٰوات والأرض ، وخلق الإنس والجن والملائكة ، وسوق السّحاب وتراكمه ، ونزول المطر ، وجريان الشمس والقمر ، وتحدث عن الكواكب والنجوم والصعود فى السماء ، وعن أطوار الجنين وعن النبات والبحار والجبال وماتحت الثرى وعرض لمعارف شتى وعلوم متعددة ، ومع هذا كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته ولم يصادم جزئية من جزئياته مما بوّأ القرآن مكانةً لم يشارك فيها كتاب من قبله ولا من بعده . فما من كتاب عرض لمثل ما عرض له القرآن الكريم إلا وكشف الزمن زيفه ، وأبطلت الحقائق العلمية الثابتة خطأ نظرياته حاشا القرآن الكريم ، فمازالت آياته عالية لا يبطلها شيء من ذلك لا شيء إلاّ لأنها كلام من وسع كل شيء علماً وكفي بهذا إثباتاً لخاصة من خصائص الفرآن • (١)

١٢ ـ ومن خصائصه أنه متعبد بتلاوته :

أي أن قراءته وتدبر آياته وأحكامه ، والامتثال لأوامره ، والامتناع عن نواهيه من الأمور الاعتقادية التى يثاب عليها المسلم أو يعاقب عليها طبقاً لتصرفاته تجاه تلك الأحكام .

هذه هى أهم خصائص القرآن الكريم ، وقد تعرض لها المستشرقون بحثاً ودراسة ، وأوردوا عليها مطا عن عدة ، حاولوا من خلالها التشكيك فى صحة القرآن الكريم ، وقد سيته وصدوره عن الله وحاولوا الطعن فى جمعه وكتابته ، ونفى إعجازه ومعرفته بالغيب ماضياً ومستقبلاً. هذه القضايا سنشير إليها فى دراستنا هذه محاولين إيراد شبهات المستشرقين عليها ثم الردود العلمية على هذه المطاعن طبقا لأدوات البحث ومراجعه المتوفرة لدينا .

---

(١) ـ انظر : المرجع السابق . ص ٧٥ ــ ٧٦ .

Dhaka University Institutional Repository

الباب الثالث : موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى و كتاب الإسلام الأول الذى تقوم على أساسه عقائد الدين الإسلامي وشريعته، وتنبثق منه أخلاق الإسلام وآدابه، فإذاثبت أنه وحي الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإن الإيمان به يصبح أمراً لامفر منه.

ومن أجل ذلك اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديما و حديثاً إلى محاولة زعزعة الاعتقاد فى صحة القرآن و فى مصدره وقد بذل الوثنيون جهدهم فى مقاومة فكرة أن القرآن وحى من عند الله فزعموا أنه ﴿ إفك افتراه وأعانه عليه قوم أخرون﴾ (١) وأنه﴿..... أساطيرالأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ (٢) وأن محمداً ﴿.....يعلمه بشر.....﴾ (٣) أو أن القرآن قول ساحر أو كاهن وكانوا يهدفون من وراء ذلك كله إلى إبطال القول بأنه وحي السماء إلى محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشر.

وقد حذا المستشرقون المتحاملون على الإسلام فى موقفهم من القرآن حذومشركي مكة وبذلوا محاولات مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله ، وإنما هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ورددوا أحيانا الاعتراضات التى قال بها الوثنيون قديما رغم دحض القرآن لها.

وقد تعرض المستشرقون للدراسات القرآنية من مختلف جوانبها ، وأور دوا مطاعن عدة حاولوا من خلالها التشكيك فى صحة القرآن الكريم وقد سيته وصدوره عن الله وحاولوا الطعن فى جمعه و كتا بته ونفى إعجازه وإخباره بالغيب ماضيا ومستقبلا وإيراد مصادر عديدة له قسموها بين المصادر الخارجية والداخلية وحالوا التشكيك فى إظهار ناسخه ومنسوخه ، والتفرقة بين خصائص مكيه ومدنيه ، وإيراد الشبهات على فواتح السور القرآنية ومحكمه ومتشابهه، كل ذلك من أجل معارضته من أساسه ونقض أحكامه

---

(١) - [الفرقان : ٤] (٢) - [الفرقان : ٥] (٣) - [النحل : ١٠٣] .

Dhaka University Institutional Repository

والتدليل على بشريته والطعن فى ظاهرة الوحي الإلهي و وصف الرسول بصفات دميمة عند تلقى ذلك الوحى من خالقه وإرجاع هذه الظاهرة إلى الأمراض النفسية والبشرية ونفي الاتصال الخفي بين النبي وخالقه عن طريق الوحي والإلهام.وهذه القضايا سنتناول إن شاء الله بحثا ودراسة محاولين إيراد بعض شبهات المستشرقين كنموذج ثم الردعليها حسب ما توفرلدي من أدوات البحث والدلائل النقلية والعقلية والبراهين الساطعة ، وسنقسم هذا الباب إلى الفصول الآتية :

الفصل الأول : المستشرقون وموقفهم من مصدر القرآن الكريم

الفصل الثانى : المستشرقون والوحي الإلهي.

الفصل الثالث : المستشرقون وجمع القرآن وترتيبه وكتابته.

الفصل الرابع : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم.

الفصل الخامس : المستشرقون وقضية نزول القرآن على سبعة أحرف.

الفصل السادس : المستشرقون والقرآن المكي والمدني.

الفصل السابع : المستشرقون والنسخ القرآني.

الفصل الثامن : المستشرقون وفواتح السور القرآنية.

الفصل التاسع : المستشرقون ولغةالقرآن الكريم.

الفصل العاشر : المستشرقون وخطورة القرآن الكريم.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الأول : المستشرقون و موقفهم من مصدر القرآن الكريم

يؤمن المسلمون إيماناً مطلقاً بأن مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى الذى أنزله على النبى مدة البعثة ، وهذا الإيمان من الأمور التعبدية الاعتقادية التى لامجال للشك فيها.

أما المستشرقون فهم لايؤمنون بالمصدر الإلهى للقرآن الكريم لإرجاع مصادر القرآن إلى عدة عوامل داخلية وخارجية حاولوا البرهنة عليها ما استطاعوا فلم يفلحوا وفيما يلى سنتناول بعض تلك المطاعن والشبهات التى أوردها المستشرقون حول مصادر القرآن الكريم ثم نأتى الردود العلمية عليها.

ويرى المستشرق المجرى "جولدزيهر" (Goldziher)أن الرسول خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها فى قرارة نفسه وهو منطوى تأملاته أثناء عزلته واختلطت هذه الأفكار بما يلاحظه من قساوة الحياة واضطهاد الفقراء، وطغيان الأغنياء بمكة فتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب إلى قومه منذرا إياهم بمايؤدى بهم إلى ضلالهم من الخسران المبين أى أنه أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مربيا لشعبه أى منذره ومبشره "(١)

ويصف "جولدزيهر" وصف القرآن ليوم القيامة وأهوالها والكوارث التى ستنجم عن حدوثه وإنذاره بنهاية العالم، وبيوم الغضب والحساب وانتهى إلى نتيجة مفادها أن مايبشربه الرسول والمتعلق بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا وأقام عليها هذا التبشير ولقد أفادمن تاريخ العهد القديم - وكان ذلك فى أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء - ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصيرالأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا فى طريقهم، وبهذا انضم محمد إلى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم (٢)

---

(١) -جولدز يهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام (ترجمة محمد يوسف موسى وأخرين، دار الرائد العربى، بيروت) ص ٧. (٢)- المرجع السابق ، ص ٩.

Dhaka University Institutional Repository

ويذهب " مونتجمرى وات،، (M.Watt)" إلى أن السور القرآنية الأولى التى تتحدث عن الوحدانية تضع القرآن فى مرتبة الوحدانية اليهودية المسيحية نظراً لمفاهيمه عن الله الخالق ، ويوم البعث والحساب أما السور القرآنية الأخيرة فإنها تقترب كثيراً إلى التعاليم الإنجيلية القديم منها والحديث (١)

ويرى المستشرق الفرنسى "بلاشير،، (Blachere)" أن التشابه الحاصل فى القصص القرآنى مع القصص اليهودى المسيحى يعزز بشرية القرآن وتأثره بالعوامل الخارجية ، خاصة أنه قداستنتج هذا التاثير المسيحى واضحا فى السور المكية الأولى ، والناتج عن تلك العلاقات المستمرة التى كانت تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة (٢)

وذهب المستشرق الفرنسى,, كلمان هوار،، (K.Huoar) إلى أن المصدر الرئيس للقرآن هو شعر أمية بن أبى الصلت للتشابه الكبير بينهما فى الوحدانية ووصف الآخرة ، وقصص أنبياء العرب القدماء وزعم هذا المستشرق أن المسلمين قد محوا شعرأمية وحرموا إنشاده ليستأثر القرآن بالجدة ، وليصبح النبى هو المنفرد بالوحي الإلهي. (٣)

وذهب المستشرق "بور،، (Power') مذهب "هوار" حيث ذكر أنه يوجد تشابه بين شعر "أمية " والقرآن فإن ذلك يدل على أن الرسول أخذ من 'أمية ' لأنه أقدم من الرسول (٤)

وأورد المستشرق ,,تسدال،، (Tisdal) شبهات الناقدين لمصدر القرآن الكريم و اتهامه فى مصدره الإلهي منها أبيات منسوبة إلى ,,امرى ء القيس،، و تحتوى على بعض التعبيرات القرآنية ، مثل:

دنت الساعة وانشق القمر　　عن غزال صاد قلبي و نفر

أحور قد حرت فى أوصافه　　ناعس الطرف بعينيه حور

بسهام من لحاظ فاتك　　تركتنى كهشيم المحتظر (٥)

---

(١) ـد. ساسى سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ص ٣٢٠ـ

(٢)ـ المرجع السابق، ص ٣٢١.(٣)ـالمرجع السابق ، ص ٢٢١، (٤) ـ ديوان أمية المقدمة، تحقيق مزدرش شولتيس، د، ت.

(١)ـ التهامى نقره: القرآن والمستشرقون ، بحث فى مناهج المستشرقين فى الدراسات العربيةو الإسلامية ج/١ مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ص ٣٤.

Dhaka University Institutional Repository

ويذهب المستشرق الأب ,,هنرى لامانس،، (H. Lammens) إلى القول بأن محمداً عندما بلغ الثلاثين من عمره مر بأزمة دينية خانقة التجأ بسببها إلى الوحدة والعزلة والتأمل ، تلتها مرحلة الأحلام والرؤيا المضطربة متقززاً من مادية قريش و مشمئزاً من عبادتها للأوثان فاعتنق الوحدانية و آمن بالبعث والحساب ووجد نفسه متفقاً فى هذه المتعقدات مع اليهود والنصارى و اعتقد أنه مادام ليس هناك إلا إلـه واحد فليس هناك إلا وحى إلهى واحد، و على العرب ألا يبقوا خارج هذا الإطار، فاعتقد أنه مدعو لنشر هذه الحقائق بين أبناء جلدته و بلغتهم ، وهو دور متواضع محدد فى صياغة الوحى العالمى باللغة العربية.مطوع وفقاً لحاجيات و ظروف كل شعب. (١)

و ألف ,, سيد رسكى،، (Siderskey) و- كتاباً أطلق عليه " أصول الأساطير الإسلامية فى القرآن و فى سير الأنبياء،، حاول أن يرجع القصص القرآنى إلى المصادر اليهودية والمسيحية و تناول قصة خلق آدم و نزوله من الجنة و قصة إبراهيم والتلمود، قصة يوسف و قصة موسى و قصة عيسى و قصص دواؤد و سليمان، و حاول إرجاع كل آية قرآنية تناولت إحدى هذه القصص إلى كتاب ,, الأغداه (Agadah) العبرى و الأناجيل المسيحية المختلفة، و قد استند فى دراسته هذه إلى ما كان يذيعه المستشرق ,, كليمان هوار،، من أن القرآن مستقى، جمعيه من المصادر اليهودية والمسيحية، وأكد له فى رسالة مرفقة بمقدمة هذا الكتاب أنه سيجد المصادر الحقيقية للقصص القرآنى والتى استقى منها مخبرو ,, محمد،، معلوماتهم. (٢)

ويقول ,, جورج سيل،، (G, Sale) ،، فى مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعانى القرآن التى صدرت عام ١٧٣٦ م ما يأتى:

,,أما أن محمداً كان فى الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيس له فأمر لايقبل الجدل، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التى حصل عليها من غيره فى خطته هذه **لم تكن معاونة** يسيرة، و هذا واضح فى أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك ،، (٣)

---

(١) ـ انظر د. ساسى سالم الحاج : الظاهرة الإستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية. ص ٣٢٢.

(٢) ـ انظر : المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(٣) ـ د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٨٣.

Dhaka University Institutional Repository

ويرى ,, ريتشارد بل،، (Richard Bell) مؤلف كتاب مقدمة القرآن أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قد اعتمد فى كتابته للقرآن على الكتاب المقدس وخاصة على العهد القديم فى قسم القصص. فبعض قصص العقاب كقصص عاد و ثمود مستمدمن مصادر عربية .

ولكن الجانب الأكبر من المادة التى استعملها محمد ليفسر تعاليمه و يدعمها قد استمده من مصادر يهودية و نصرانية، و قد كانت فرصته فى المدينة للتعرف على مافى العهد القديم أفضل من وضعه السابق فى مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية فى المدينة و عن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل (١)

ومن مجموع الأراء السابقة و غيرها التى لم نشر إليها نستنتج أن المستشرقين يرجعون مصدر القرآن إلى عاملين رئيسين أحدهما داخلى وهو مستمد من أعراف الجاهليين و دياناتهم ومن أوامره أولى الأمر ومن أحكام ذوى الرأى والمكانة العالية بين أقوامهم و الأخر خارجى وهو مستمدمن تعاليم الديانتين ـ اليهودية والمسيحية.

ونحن لا ننكر و جود بعض الأحكام والقوانين أمثال : صوم يوم عاشوراء، والاختتان، والاغتسال من الجنابة، والطواف بالبيت والتلبية، والوقوف بعرفة، و رمى الجمرات،والزواج والصداق والطلاق و بعض أحكام الميراث و غير ذلك الناتجة عن أعراف الجاهلين فى التشريع الإسلامى، ولا يضير الرسول الإبقاء على القوانين الصالحة سواء تلك المنظمة للعبادات أو المعاملات طالما كانت هذه الأحكام تتناسب و فلسفة التشريع الإسلامى لتحقيق مقاصده التى أنزل من أجلها ولا يمكن أن نستنتج من الإبقاء عليها تأثرالرسول بها باعتبارها أموراً استمدها من بيئته و لمن يوح بها الله إليه فى محكم كتابه.

ولو كان الأمر خلاف ذلك لأبقى على سائر القوانين والأعراف الجاهلية ولما حرم بعضاً منها وأباح بعضها الأخر، ولكن التشريع يراعى دوما مصالح الناس والعباد التى شرعت الأحكام لمصلحتهم فتبقى الأحكام الصالحة وتبطل الأحكام الفاسدة لتعارضها ومصلحة الجماعة.

---

(١)ـ انظر : المرجع السابق، ص ٨٤.

Dhaka University Institutional Repository

إن الإسلام احتفظ بالعديد من أعراف الجاهليين و تشريعاتهم؛ لأنها صالحة للتطبيق؛ ولأنها ليست محل انتقاد من الجماعة ولأنها تحقق مصالح من شرعت هذه الأحكام لهم. ولأنه عند ما ألغى الفاسد منها فإنه قد راعى هذه التعاليم الإلّهية التى جاء ت بالرسالةالمحمدية للقضاء على الاستغلال، والفساد، و الظلم، بأشكاله و ألوانه المختلفة، فهو قد هذب مناسك الحج ـ فألغى طواف العرى ، وأزال الأصنام و هذب الزواج، فأبقى على النظام الصحيح الذى ينسجم والفطرة البشرية، و ألغى الفاسد منه الذى يؤدى إلى اختلاط الأنساب و زرع البغضاء والعداوة بين أفراد المجتمع، و نظّم الطلاق، و سن تشريعات تحفظ حق المرأة فى النفقة والحضان. وهذه التشريعات جميعها سواء أكانت عبادات أم معاملات شرعت لتنظيم المجتمع الإسلامى الذى يسعى إلى تحقيق المساواة والمحبة بين أفراد المجتمع البشرى بكامله. ولايمكننا التسليم من خلالها بشبهات المستشرقين من أن الإبقاء عليها و إقرارها يعنى تشكيلهاالمصادرالقرآن الكريم والأحكام الإسلامية المنبثقة من مصادر التشريع الأخرى والتى استشفوا من خلالها بشرية القرآن و إنكار ألوهيته (١)

إن عقيدة الحنفاء غامضة خاصة فيما يتعلق بوجود الله ووحدانيته، ليس هناك كتاب معين يتبعون أحكامه، كما أن تصرفاتهم يغلب عليها الطابع الخلقى أكثرمن الطابع الدينى، و قوم هذه هى عقائدهم المضطربة لا يمكن أن تكون أحكامهم و تصرفاتهم من المصادر الرئيسية للقرآن الكريم الذى يحتوى على تعاليم و أحكام واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض، شرعت لتنظيم الإنسانية جمعاء فى عباداتها و معاملاتها، ولايمكن الركون إلى آراء من اعتقد أن المجتمع العربى كان متديناً قبل الإسلام من خلال هذه الجماعة الغامضة، ولا يمكن تصديق ما ذهب إليه ,,رينان،، من أن الواحدانية كانت قائمة فى الجزيرة العربية قبل مبعث الرسول و أن ما جاء به محمدليس إلا امتداداً للحركة الدينية التى كانت سائدة فى عصره ، وهى حركة الحنفاء، ذلك أن تعاليم و عقائد الحنفاء تتميز بالغموض، والإبهام أولاً، و أنهم كانوا قليلى العدد بحيث لم يكن لهم ذلك التأثير الكبير على البيئات التى كانوا يعيشوان فيها ثانياً. و أن بعضا منهم مثل ,,أبى عامربن صيفى،، المعروف بالراهب، و أمية بن أبى الصلت قد قاو ما الدعوة الإسلامية بالسيف والقلم إذ لو كانت عقائدهم مما تضمنه القرآن لما عارضوه ثالثاً. (٢)

---

(١)ـ انظر : د. ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية ، ص ٣٢٦ـ٣٢٧.

(٢)ـ المرجع السابق : ص ٣٢٨ ــ ٣٢٩

Dhaka University Institutional Repository

وأما إدعاء ,, كليمان هوار و بور،، من أن أحد مصادر القرآن الكريم هو شعر أمية بن أبى الصلت فهو إدعاء لايسنده أساس علمى صحيح، ولايرتكز على قاعدة علمية لا يمكن دحضها، ذلك أنه لايمكننا أن نستنتج صحة هذا الشاعر لمجرد و جود فروق بين ما جاء فيه وما جاء فى القرآن من تفصيل بعض القصص و لاننتهى أبداً إلى تلك النتيجة التى أرادها هذا المستشرق من أن صحة شعر أمية يستلزم أن يكون النبى قد استعان به قليلاً و كثيراً فى نظم القرآن، كما أن صحة هذا الشعر واستعانة النبى به فى نظم القرآن قد حملتا المسلمين على محاربة شعر أمية و محوه ليستأثر أثر القرآن بالجدة وليصبح أن النبى قد انفرد بتلقى الوحى من السماء.

وأما ما ذهب إليه ,, كليمان هوار ،، و أصحابه من أن مصدر القرآن الكريم هو شعر أمية بن أبى الصلت أو استقاؤه من الحنيفين الذين يؤمنون بإله واحد، خاصة "ورقة بن نوفل" واتصاله قبل البعثة ببعض اليهود والنصارى الموجودين بمكة واقتباسه الكثير من أقوالهم ومعارفهم وقبل ذلك تردده على الراهب بحيرى' وأضرابه من القساوسة المسيحيين الموجودين على أطراف الجزيرة العربية الذين اعتزلوا الحياة فى أديرتهم و كنائسهم ، وعاشوا حياة تقشفية بجوار الأعراب الذين حاولوا تنصيرهم- وإطلاعه على معارفهم ومعلوماتهم والكتب المقدسة القديمة التى يشرون لها، فإننانرى هذه الحجج لاتصمد أمام النقد العلمى الجاد.

وبيان ذلك أن الحنفاء وهم تلك العصبة من العرب التى لم تعبد الأصنام واعتقدت بوحدانية الله، ولكن لم يستطع أحدمن الباحثين القدماء منهم أوالمحدثون أن يبين شرائعهم ويعرف معتقداتهم حق المعرفة ولايدرى أحدهم تصورهم لخالق الكون والحياة بعد الموت و ذهب المفسرون المسلمون مذاهب شتى فى تأصيل هؤ لاء الناس وبيان عقائدهم ولم يجمعوا على رأى معين حولهم ، الأمر الذى زاد شأنهم غموضا ولبسا . وإن كان ملخص أرائهم لايخرج عن أقوال أربعة أشار إليها الإمام الرازى فى تفسيره الكبير والطبرسى ،، فى بيانه وأول هذه الأراء: أنها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد، وثانيها: أنها أتباع الحق عن مجاهد . وثالثها: أنها أتباع إبراهيم فيما أتى من الشريعة التى صار بها إماماً للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام. ورابعها: أنها الإخلاص لله وحده والإقراربالربوبية والإذعان للعبودية. (١)

---

(١)- الطبرسي : مجمع البيان ،ج١، ص ٢١٥ ومابعدها.

Dhaka University Institutional Repository

نعم إن شعر أمية بن أبى الصلت ملىء بالحكم والمواعظ الدينية، وهى أراء قريبة من الإسلام (١) كما أنه ملى ء بقصص الأنبياء، وبوصف يوم القيامة والجنة والنار ولكن كيف حدث التشابه بينه وبين القرآن الكريم؟ فهل تأثر أمية بالقرآن فأخذ عنه؟ أو أخذ القرآن الكريم من أمية؟ أو أخذ الإثنان ـ أمية والقرآن ـ من مصدر ثالث وهو الكتاب المقدس بقسميه القديم والحديث؟ ومن هنا نكون أمام فروض ثلاثة يتحتم علينا تحليلها للبرهنة على هذا التشابه ـ

أما عن الفرض الأول ، وهو تأثر أمية بالقرآن فإن الأمريقضى معرفة تواريخ شعرأمية، و تعيين أوقات نظمه، و حصرالمدة الزمنية التى قال فيها شعره، بحيث لا تتعدى السنة التاسعة للهجرة لوفاته خلالها انتهاء ولاتشمل الفترة السابقة للبعثة ابتداء ومن الصعوبة بمكان تحديد الشعر الذى قاله أمية قبل البعثة و إبانها حتى السنة التاسعة للهجرة ويصبح هذا الافتراض باطلا. (٢)

ـأما بالنسبة للافترض الثانى ، وهو تأثر القرآن بشعر أمية فهوا فتراض من الصعب اتباعة وهو الآخر ، إذلو كان الأمر كذلك لما سكتت عنه قريش وهم الذين اتهموه مراراً باستقاء معلوماته من غلام نصرانى اسمه ,, جبر،، والذى أشار إليه القرآن صراحةً بقوله : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى، وهذا لسان عربى مبين﴾ (٣)

وأما الافتراض الثالث والقاضى بأخذ الإثنين – أمية والقرآن ـ من مصدر ثالث وهى الكتب اليهودية والمسيحية وتفسيرها فإنه يرد عليه بنفس الحجة الداحضةللافتراض الثانى، وهو عدم سكوت قريش على هذا وهم قد أجهدوا أنفسهم فى تلمس مصادر النبى التى افتر ضوها فى المسيحيين الموجودين بمكة ثم إن هذا التشابه ليس من نوع مايحصل عن أخذ شخصين مستقلين من مورد معين ، وإنما هو من قبيل مايحدث من اعتماد أحد الشخصين على الآخربدليل ورود أمور فى القرآن لم ترد فى التوراة أوالإنجيل، ولكنها وردت فى شعر أمية ، يضاف إلى ذلك تلك الشكوك التى تحوم حول صحة شعر أمية ، ذاته خاصة أن الناقدين له أثبتوا أنه منحول نظم فى العصر الإسلامى.(٤)

---

(١) ـد.على جواد، المفصل(ج ٦)ص ٤٨٩ ـ (٢)ـ انظر: المرجع السابق، ج ـ٦ ، ص ٤١٨ .

(٣) –[سورة النحل : ١٠٣] (٤)ـ د.طه حسين: فى الأدب الجاهلى(ج ١ ، ط ٣، ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين) ص ١٥٤ .

Dhaka University Institutional Repository

فإذا أضفنا إلى ذلك كله ماذهب إليه الدكتور "طه حسين" في معرض رده على شبهة "كليمان هوار،، من أن هذا المستشرق وأمثاله يشكون في صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجهود، فلايرون في السيرة مصدرا تاريخيا صحيحا وإنما هي حسب قولهم طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيقين فكيف يقفون من شعر أمية موقف المستيقن المطمئن ؟ (١) لأدركنا خطل هذا الرأي وعدم استناده إلى قاعدة علمية صحيحة، وإنماهو تخرص وافتراض واستنتاج لاسبيل إلى إثبات حجته.

فإذا تركنا هذالرأي الخطل، وحللنارأئ من يقول بتأثر النبي بورقة بن نوفل الذي وصفه بعض المستشرقين من ان السرالكبير في ثقافة محمد الكتابية والإ نجيلية ترجع إلى وجود هذالعالم المسيحيي، ابن عم السيدة خديجة وهو الذي زوجها إياه ، وأن الأثار قد أجمعت على أنه قدتنصر، وترجم التوراة والإنجيل إلى العربية ، وعاش محمد في جواره خمسة عشرعاما قبل مبعثه، وبو ساطته حصل على معظم معلوماته ومعارفه (٢)

لوجدنا أن هذه الرواية لاتستقيم وما أوردته المصادر الإسلامية التي أجمعت مع التفاسير المختلفة وكتب الأحاديث المعروفة، أنه قرأ الكتب ، وعد من جملة المتنصرين ، ومات على دينها ، وأشارت هذه المصادر جميعا إلى مجيء خديجة إليه رفقة النبي بعدنزول الوحي عليه بغارحراء، وسؤاله عن رأيه فيما رآه ، وجواب ورقة عنه من تمنيه أن يكون حيا عندما يخرجه قومه لينصره نصرا مؤزرا ، ووصفه لما نزل عليه "بالناموس الأكبر الذي نزل على من كان من قبله من الأنبياء و لكن هذه الأخبار لم تذكر إسلام ورقة واعتناقه المبادىء الإسلامية باستثناء "المسعودي" الذي يزعم أنه مات مسلما، وأنه مدح النبي. (٣)

ـ (١) ـ تهامي نقرة، مناهج المستشرقين ، ص ٣٧ـ

(٢) ـ المرجع السابق ،ص ٣٧.

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٢ وما بعدها.

Dhaka University Institutional Repository

ورواية المسعودى رواية ضعيفة انفردبها وحده دون سواه من المؤرخين لأدركنا الشك فى هذه الروايات جميعا إذلايعقل أن يكون ورقة استاذا للنبى قبل مبعثه، ثم يأتى إليه النبى بعد نزول الوحى عليه للمرة الأولى لاستشارته فيما حصل له من رؤيا، ويتنبأله ورقة بأن قومه طاردوه من مسقط رأسه وأنه لويدرك ذلك الزمان فسينصره نصرا مؤزرا.

ويبقى ورقة على قيد الحياة سنين ، وتنتشر الدعوة الإسلامية رويدا رويدا، ثم يموت دون أن يعتنقها ـ ثم كيف تستقيم هذه الرواية من أساسها إذا افترضنا أن ورقة هوالذى هيأالنبى للدعوة الإسلامية، وأمده بمعارفه ومعلوماته لنشردينه الجديد ، ثم يتنبأله بأن قومه سوف يخرجونه من مكة، لأنه فى هذه الحالة إما أن يكون قدقرأصفة النبى ودعوته فى الكتب المقدسة، وهذا فتراض صحيح طالما أشار القرآن إلى وجود صفة النبى فى الكتب اليهودية والمسيحية، ولكن هذه المصادر لاتشير إلى ما سيحدث للنبى من فتنة مع قومه بعد بعثته فيكون تنبؤورقة بإخراج الرسول تزيدا لاندرى كيف عرف به يضاف إلى ذلك أن ورقة لو كان متأكداً من نبوة النبى وصدقة رسالته وانطباق وصف الكتب المقدسة السابقة عليه القرآن على لامن بدعوته ، وناصره نصراً مؤزراً، ولكن معظم المصادر لم تؤكد إسلام ورقة سوى المسعودى كما ذكرنا علما بأن "ابن كثير" فى البداية والنهاية ذكر أنه عاش زمن البعثة وكان يمر بمكة فيرى بلالا وهو يعذب يعذبه المشركون برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء، ويضربونه يريدون منه أن يشرك بالله، يأبى إلا أن يقول : أحد أحد ، فيرثى ورقه لحاله ويقول : أحد أحد والله يا بلال والله لئن قتلتموه فأنتم من الخاسرين ولأتخذن قبره حناناً.(١)

وأخيراً لوسلمنا برواية اصطحاب خديجة الرسول لورقة بعد نزول الوحى عليه للمرة الأولى بحراء لتأكد من هذه الظاهرة التى حصلت له، فإن الأمر لا يتعدى مٰاذكرته هذه الرواية ، ولا يمتد إلى تتلمذ النبى عليه مدة خمس عشرة سنة قبل البعثة، واستقاء معلوماته ومعارفه منه وإنما هو تخرص، وضرب من القول لايسنده دليل صحيح فتكون هذه المزاعم باطلة من أساسها.

. (١) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١، ص ٢٢٦.

Dhaka University Institutional Repository

وإذا ما انتقلنا إلى تلك الروايات التى يرددها المستشرقون من أن الرسول قد استقى معلوماته من بعض اليهود والمسيحيين المقيمين بمكة، فإننا نرد عليهم بأن اليهود وجدوا إبان تلك الحقبة فى يثرب ولا وجود يذكرلهم بمكة أما النصارى فقد وجدوا فعلا بمكة عند ظهور الإسلام وهم جماعة من الغرباء قدموا إليها لأسباب منها : الرق ، الاتجار التبشير ، واحتراف بعض الصناعات البدائية كصناعة السيوف والحدادة والنجارة ، وكان بعض هولاء الغرباء ممن حصلوا على معارف وثقافة لابأس بها ، وكانوا يقرأون ويكتبون فاستعملهم تجار قريش فى ضبط بضاعتهم وتجارتهم وربما كان بعض منهم ملما بالكتب المقدسة القديمة وإلى هؤلاء نسب المستشرقون مصدر القرآن الكريم بحجة اختلاط النبى بهم واغترافه المعلومات من مصادرهم. نحن نجد أن قريشا قد سبقت المستشرقين فى هذه الشبه أكثر من ألف عام حينما أشار القرآن إلى ذلك فى الآية : ١٠٣ من سورة النحل ورده المقنع عليهم بأن هذا الشخص أعجمى لايحسن اللسان العربى الذى أنزل به القرآن.

ولو تتبعنا الرويات التى قيلت عن هذا الشخص لرأينا اضطرابها، واختلافها فهى الأخرى ودعنا نرجع إلى تفسير الطبرى الذى يورد روايات متضاربة عن اسم هذا الشخص ، فتارة يدعى سلمان أوسيار، وتارة يطلق عليه اسم جبر، أويعيش، أو بلعام، طبقا للأسايند المختلفة (١) بل إن قريشا لم تكتف باتهام الرسول باتصاله بهذا الشخص فقط ، ولكنهم ذكروا طائفة أخرى من هؤلاء الناس كان على علاقة بهم وذلك طبقا لما أورده القرآن بقوله: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه أعانه عليه قوم أخرون﴾ (٢)

ويذهب المفسرون إلى أن هؤلاء الناس هم يعيش، أوعداس مولى حويطب بن عبد العزى، وسيار مولى العلاء بن الحضرمى ، وجبرمولى عامر وأخرون ، كانوا كتابين يقرؤون التوراة أسلموا وكان الرسول يتعهد هم فقيل ما قيل (٣)

---

(١)- انظر : الطبرى، تفسير الطبري ج ١٤، ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) -[الفرقان : ٤]

(٣)- الطبري ، تفسير الطبري ،ج، ١٨ ص ١٣٧ وما بعدها.

Dhaka University Institutional Repository

وأما من زعم من المستشرقين أن الرسول قد تلقى تعاليمه الدينية عن بحيرى الراهب فهو قول عارمن الصحة هو الأخر ذلك أن لم يكن لهذا الراهب أثر فى التاريخ لو لم يذكره مؤرخو السيرة النبوية وأجمع هؤلاء المؤرخون على أن هذا الشخص هوراهب متبتل عاش فى ديره على أطراف الجزيرة العربية مثل بقية زملائه الذين اتخذوا من هذه الأماكن القصية ملاذالهم ، وكان ديره يقع فى طريق تجار قريش إلى الشام، وكثيرا ماتأوى هذه القوافل التجارية إلى ديره للراحة من وعثاء السفر فيضيفها، ويزودها بالماء القراح وذكر المؤرخون أن الرسول لما بلغ اثنتى عشرة سنة من عمره، خرج عمه أبوطالب فى قافلة تجارية إلى الشام، ولما تهيألذلك تعلق به الرسول ، فرق له عمه واصطحبه معه وهو غلام صغير، ولما وصلت القافلة "بصرى" من أرض الشام" كان بها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية فلما نزلت قافلة قريش عليه صنع لهم طعاما كثيرا، ودعا القوم إلى ضيافته ، فحضروا جميعا سوى الرسول الذى خلفه عمه لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة ، فأصر ,,بحيرى،، على حضوره لأنه شاهد علامات النبوة عليه وبعد تناول الطعام، سأل ,,بحيرى،، الرسول عدة أسئلة عن حاله فى نومه وهئيته، وأموره ورسول الله يخبره نيقن ,,بحيرى،، أن هذا الغلام سيكون له شأن كبير فى مستقبل الأيام ، فحذر عمه من كيد اليهود له وأمره بالرجوع به إلى مكة حين يفرغ من تجارته بالشام. (٢)

وانتهت الأخبار إلى هذه النقطة لكن المستشرقين أولوا هذه الأخبار وذهبوا بها مذاهب شتى منها :

أن الرسول كان يردد على هذا الراهب إبان سفره للتجارة عند ما أصبح شابا، وأنه استقى منه العديد من الحكم والمعارف الدينية، وأنه كان أحد مصادره لتأليف القرآن الكريم ، ويتبين خطل هذا الرأى من عدة وجوه منها :

أن الرسول لم ير بحيرى إلا مرة واحدة وللحظات بسيطة، وهو طفل صغير ولا يعقل أن يستقى منه شيئا من المعارف والمعلومات فى هذه الفترة الوجيزة وفى هذه السن اليافعة !!

- وثبت أن الرسول لم يسافر للتجارة إلا مرة واحدة بعد أن أصبح شابا وذلك عند ما استأجرته خديجة لتجارتها.

---

(١)- النويري: نهاية الأرب، ج ١٦، ص ٩١ ومابعدها.-

Dhaka University Institutional Repository

واتفقت الروايات على عدم مروره ببحيرى هذه المرة، ولم يشر الأخباريون ومؤرخوا السيرة إطلاقا إلى عودة الرسول إليه مرة ثانية إذا صدقنا برواية التقاء الرسول ببحيرى رفقة أبى طالب فإن الأحداث تنبئنا بأنه عاد إلى التجارة وهو قريب السن من الخامسة والعشرين؛ لأنه تزوج بخديجة فى هذا العمر أى بعدعودته من تجارته بالشام فيكون بحيرى قدقضى نحبه خلال هاتين الفترتين لأنه كان كبير السن عندما مربه الرسول للمرة الأولى، والأسئلة التى لاإجابة لها من قبل المستشرقين عن هذا التأثير تتحدد فى الأمور التالية:

كيف يتأثر الرسول بهذا الراهب وقدرآه والتقى به مرة واحدة وهو فى الثانية عشرة من عمره؟ وكيف يتسني له أن يتلقى منه المعارف والقصص والأحكام والمواعظ والأوامر و النواهى الواردة فى القرآن الكريم.

وهو يمر بهذا الراهب مرور الكرام حتى ولو فرضنا التقائه به مرة ثانية؟ وكيف لايلاحظ موافقوه من تجار قريش التقاء الرسول به والمكوث معه أياما وليالى طويلة، وهو يغترف من معين هذا الراهب العلمى؟ وكيف يتسنى له ذلك وهو أمى لا يتمكن من تسجيل تلك المعلومات وتدوينها للاستعانة بها فى تاليف كتابه ؟! (١)

إن سائر المصادر الداخلية التى جهد المستشرقون فى بيانها ، وتأصيلها باعتبارها مصادر للقرآن الكريم لاتصمد أمام النقد الجدى ، والبحث المتأنى والموضوعية العلمية. وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يكون حال المصادر الخارجية التى زعم هؤلاء الباحثون أن الرسول قد تأثر بها فى تذبيح كتابه؟

يقصد المستشرقون بالمصادر الخارجية للقرآن الكريم الحكم، والمواعظ، والمبادئ، والأوامر، والنواهى، والقصص الواردة فى كتب التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى وأجهدوا أنفسهم فى تلمس الأحكام والقصص الواردة بها ومقابلتها بتلك المنصوص عليها فى القرآن ، واستخدموا فى ذلك منهج المطابقة والمقابلة.

---

(١)- انظر : د. ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٣٣- ٣٣٤.

Dhaka University Institutional Repository

نعم هناك العديد من التشابه بين الديانات السماوية فيما يتعلق بالتوحيد والمعتقدات، وإنكار عبادة الأصنام، وتقرير بعض الأحكام التعبدية وإقرار بعض العقوبات الجنائية، ورواية بعض القصص المتعلقة بالرسل السابقين والأمم البائدة، والسبب فى ذلك أن هذه الكتب المقدسة جميعها مصدرها الله، إذ يعتقد المسلمون جميعا أن مرجعها إلى الله الذى أوحى بها إلى الأنبياء ليبلغوابها الأقوام السابقة كما بلغ بها نبى الإسلام فيكون مصدر هذا التشابه واحدا لأنها صادرة من مصدر واحد هو الله الذى أنزل الديانات السماوية الثلاث وكيف يتسنى لنا أن نساير المستشرقين فى تحليلاتهم التى تذهب إلى إنكار الوحى الإلّهي على محمد ونفى مصدرا القرآن الإلّهي، والتشديد على بشريته بينما العديد منهم. يؤمنون بالرسالات السماوية الأخرى من يهودية ومسيحية ويجوز لنا أن نقبل تحليلاتهم المليئة بالشكوك فى هذه المسائل الاعتقادية لوأنكروا مسألة الوحى الإلهى والإيمان الغيبى، ونفى الرسالات السابقة على الإسلام. أماأنهم يؤمنون بالديانات السماوية الأخرى ويصدقون الرسل الذين بشروا بها. وأذا عوها فى الآفاق، ثم ينصب نفيهم على الرسالة المحمدية فيكونون قدحادوا عن جادة الصواب. (١)

وأما ما قال المستشرق الألمانى "تيود رنولد كه،، (T.Noldeke)" الذى حاول من خلال دراسته العميقة " لتاريخ القرآن" إيجاد مصادر خارجية للقرآن الكريم ووصل إلى نتيجة مفادها أن القصص القرآنى حافل بالمؤثرات اليهودية التى انتقلت إلى العرب شفاها عن طريق اليهود المقيمين فى المدن العربية، وكذلك عن طريق العرب المتنصرين(٢) إلا أن السؤال الذى لاإجابة عنه هو: كيف تجد بعض التعاليم والقصص اليهودية والمسيحية سبيلها إلى الرسول العربى فيتأثربها، ويقتبسها، ووضعها فى كتابه، بينمايهمل الأخرى ؟ وكيف تمكن الرسول من الإطلاع على الكتب القديمة خاصة كتاب "الأغاداة" اليهودى بينما أجمع المسلمون قديما وحديثاً على أمبته وعدم معرفته القراءة والكتابة؟

400908

(١) ـ انظر : المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٢)ـ المرجع السابق، ص ٣٤٥-٣٤٦.

ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয় গ্রন্থাগার

Dhaka University Institutional Repository

ويؤكد "مونتجمرى وات" هذه النقطة الأخيرة عندما يقول : إن من يدعى من علماء الغرب بعدم أمية محمد، لأنه تاجر ماهر فلايعقل وهو بهذه الصفة أن تأثير الأناجيل على القرآن كما يبدو للعيان يؤكد أن محمدا لم يقرأ مطلقا الإنجيل بل ومن المؤكد أيضا عدم إطلاعه على أى كتاب آخر ولكن ربما انتقلت إليه تلك المعارف شفاها. (٢)

إن انتقال الروايات الشفوية لاتستقيم فى عملية الاقتباس المدعى بها فى القرآن من قبل الكتب المقدسة القديمة ، لأن القرآن حافل بالقصص والمواعظ والشرائع والمعتقدات فى غاية التفصيل والترتيب، والدقة، ولا يعقل أن يتم نقل هذه المعارف جميعا عن طريق الرواة ، لابد من أن يتضاربوا فى نقل هذه الروايات ، ويتناقضوا فى إيراد العقائد والشرائع المنقولة شفويا، ومن هنا يحق لنا أن نقرر بكل موضوعية أن الدين الإسلامى لايمكن أن يكون نتاجا بسيطا للمؤثرات الخارجية وأن المصدر الأول والوحيد للقرآن هو الله وحده دون سواه.

وقدتناول الدكتور محمد عبد الله دراز ـرحمه اللهـ فى دراسته القيمة (مدخل إلى القرآن) جميع الافترضات المتعلقة باحتمال وجود مصدر بشرى للقرآن ـ وناقشها مناقشة علمية وأظهر زيفها وبطلانها ، وانتهى إلى القول بأن: ,, جميع سبل البحث التى وقعت تحت أيدينا وناقشناها ثبت ضعفها وعدم قدرتها على تقديم أى احتمال بطريق طبيعى أتاح له (أى للبنى) فرصة الاتصال بالحقائق المقدسة، ورغم الجهد الذهنى الذى نبذله لتضخيم معلوماته السمعية ومعارف بيئته، فإنه يتعذر علينا اعتبارها تفسيراً كافياً لهذا البناء الشامخ من العلوم الواسعة والمفصلة التى يقدمها لنا القرآن فى مجال الدين والتاريخ والأخلاق والقانون والكون ..." (٢).

---

(١)ـ المرجع السابق ، ص ٣٤٦.

(٢)ـ د ـ محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن (دار القلم، الكويت، ١٩٧٤م) ص ١٦٥.

Dhaka University Institutional Repository

ويحق لنا أن نسأل الذين يجادلون فى مصدر القرآن ويرون أنه ماخوذ من النصرانية واليهودية أومن البيئة العربية.

- ما المانع أن يكون القرآن وحياً أصيلا مأخوذا من النبع نفسه الذى اغترفت منه الديانات السماوية الصحيحة؟

- ما المانع أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحى الإلهى الذى أقام الاتصال بين السماء والأرض على مدى تاريخ البشرية ؟

-لماذا تحرمون على الإسلام ماتبيحونه لليهودية والنصرانية؟ هل هو التعصب الأعمى أم هى الكراهية لهذا الدين الذى جاء مصححا لما طرأ على الديانات السابقة من أوهام وأباطيل ، وكاشفا لوجه الحق فيها؟

ـ هل مبدأ جواز اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحى مبدأ مسلم به أم لا؟ إنه إذا كان هذا المبدأ مسلما به فلامعنى لأن تحتكره اليهودية والنصرانية وتمنعه عن الإسلام، وإذا لم يكن مسلما به فلا مجال للديانات جميعها ؟ !ـ

لقد جاء القرآن بما هو أعلى وأوسع وأكمل، من كل المعلومات التى كانت لدى بحيرى ,, الراهب،، ولدى كل النصارى واليهود فى شتى بقاع العالم. وجاء القرآن مصدقا لما نزل على موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من حيث كون الكتب التى نزلت عليهم، هى فى الأصل وحى من عند الله ، كما جاء القرآن مهيمنا على هذه الكتب وحاكما عليها، فذكر القرآن أن اليهود والنصارى أوتوا نصيبا من الكتاب ، وأنهم نسوا حظا مماذكروا به، وأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، كما بين القرآن الكريم كثيرا من القضايا الكبرى التى كانت موضع خلاف بينهم فى العقائد والأحكام والأخبار. (١)

هناك العديد من الأمثلة التى خالف فيها القرآن ما وردمن أخبار فى كل من العهد القديم والجديد. فهل أخذ محمد ذلك من الرهبان فى رحلته التجارية إلى الشام؟ وهل كان كفار مكة يسكتون عن ذلك لوعرفوا أن محمدا استقى معلوماته من اليهود والنصارى؟

---

(١)ـ انظر : السيد محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، القاهرة، ١٣٥٤هـ. ص ١٠٩ ـ

Dhaka University Institutional Repository

لقد زعم الزاعمون أن الذى يعلم محمدا هو عبد رومى كان يصنع السيوف فى مكة، فرد عليهم القرآن الكريم زعمهم قائلا: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى، وهذا لسان عربى مبين﴾ (١)

وحتى المعلومات التى ذكرت فى القرآن ، وكان لها أصل فى كتب اليهود أو النصارى لم يكن محمد ولاقومه يعلمون شيئا عنها : ويشير القرآن إلى ذلك بعد قصة نوح مثلا:

﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وماكنت تعلمها، أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (٢) و بعد قصة يوسف يقول القرآن : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ (٣)

كما أن هناك من أخبار القرآن مالم يكن يعرفه أهل الكتاب ـــ فقد ذكر القرآن الكريم بعد قصة زكريا ولادة مريم عليهما السلام وكفالته لها قوله تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذيلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون﴾ [آل عمران: ٤٤] (٤) فمن أين أخذ محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك ؟ إنه وحى السماء، فالإسلام ليس دينا تابعاً لأى دين آخر، ولكنه الدين الذى أراد الله أن يكون خاتم الأديان، وأخر حلقه فى قصة اتصال السماء بالأرض لهداية البشر، وقد أعلن القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : ﴿.... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ...﴾ (٥)

ومن هنا تجلى أما منا بعد منا قشة علمية وواسعة بأن المصدر الأول والوحيد للقرآن الكريم هو الله وحده دون سواه ـ فإذا كان الأمر كذلك وهى قضية إيمانية لاتمس بالنسبة للمسلمين فمارأى المستشرقين حول الوحى الإلهى الذى نزل بموجبه القرآن الكريم باعتبار الله هو مصدره الوحيد هذا ما سنقوم بدراسته فى الفصل القادم.

---

(١) - [النحل : ١٠٣] ،

(٢) - [هود : ٤٩] (٣) - [يوسف، ١٠٢]

(٤)- راجع : الوحي المحمدي . ص ١٠٦ . (٥) - [المائدة : ٣]

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : المستشرقون والوحي الإلّهي

وصلنا في المبحث السابق إلى نتيجة علمية مفادها ' أن مصدر القرآن الكريم هو الله تعالىٰ ' وأنه أنزله على النبي عن طريق الوحي لا عن طريق آخر سواه ولكننا كيف نستطيع فهم ظاهرة الوحي الإلّهي ؟ وماخصائصها ؟ وكيف إثباتها عقلاً وشرعاً ؟ وما موقف المستشرقين من هذه الظاهرة غير العادية ؟

ونحن كمسلمين نعتقد الوحي الإلّهي ' ونسلم به ' وبأساليبه ' ونؤمن كذلك بالاتصالات الروحية بالملكوت الأعلى ' واستمداد معارفنا من الله عن طريق ليست مألوفة لدينا . ولكننا لا نستطيع إثبات هذه باعتبارها مسائل اعتقادية غيبية ' ليست خاضعة لمناهج المستشرقين المتصفة بالمادية ' والتي لاتعترف بالقضايا الغيبية .

والوحي طبقاً لعلماء المسلمين : " هو إبلاغ الله سبحانه وتعالىٰ ـ عن أمور و قضايا ومعارف لمن اختاره الله لذلك ' واصطفاه لتلقى رسالته ' بطرق خفية وسرّية لا يعرفها البشر ' ولايستطيعون اكتناه أسرارها ؛ لأنها ليست خاضعة لمعارف البشر العادية وليسوا معتاديها أيضاً " (١)

ويختلف الوحي طبقاً للوسيلة التي يختارها الله لإيصاله إلى من اختاره من عباده ' فمنه الكلام بين الله وأحد بني البشر كما حصل للنبي موسى ـ عليه السلام ـ ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب من اصطفاه ' فيهب له العلم والمعرفه والهداية . ومنه ما يجيء عن طريق الرؤيا الصادقة ' ثم يتحقق وقوعه. ومنه ما نكون عن طريق أحد الوسائط كإرسال الله جبريل بالوحي إلى النبي مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين﴾ (٢) اتفق معظم المفسرين كابن جرير الطبري (٣) وأبي عبد الله محمد القرطبي (٤)

---

(١)- انظر : د. مسعود سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية ' ص ٣٥١.(٢)-[الشورى : ١٩٣].

(٣)- الطبري : تفسير الطبري ' ج ٣' ص ١٦١ ـ ١٤٢ (٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ' ج ٢' ص ١١٨.

Dhaka University Institutional Repository

وابن كثير (١) ' برواية مسندة إلى عائشة أنها قالت أول ما ابتدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ' ثم حبب إليه الخلاء ' فكان فى غار حراء يتعبّد فيه الليالى ' حتى فاجأه الحق' فأتاه جبريل بالرسالة ' وأقرأه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ' وبلغ الجهد بالرسول حتى عاد مرتجفا خائفاً إلى زوجته ' مشفقا على نفسه ' فطمأنته زوجه وذهبت به إلى ورقة الذى أخبره أن الذى نزل عليه هو الناموس الذى أنزل على موسى .

ويتميّز الوحي بنزوله على الصادقين من عباده. حيث توجد لهم فى حالة الوحي غيبة عن الحاضرين ' وإغماء وغطيط تظهر للآخرين' وليست حقيقة لمن ينزل عليهم الوحي ' لأنهم فى هذه الحالة مستغرقون فى الملكوت الإلهى بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر العادية. ثم ينزل الوحي بعدئذ إما بدوىّ من الكلام ' أو يتمثل لمن ينزل عليه على هيئة شخص يخاطبه بما هو مكلف به لتبليغه له .

وقد سئل النبى عن الوحى ' وصفاته وحالاته ' فذكر أنه يأتيه أحياناً مثل صلصلة الجرس ' وهو أشده عليه ' فينفصم عنه وقد وعى ما قال. وأحيانا يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه فيعى ما يقول ' ويدركه أثناء ذلك من الشدة ما لا يعبّر عنه (٢) .

وروى عن عائشة أن الرسول ﷺ عند ما ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فينفصم عنه ' وإن جبينه يتفصد عرقاً لشدة وثقل ما يتلقاه عن الله من الأوامر والنواهى ' والأحكام والشرائع ' ويعتقد من يراه على هذه الحالة أنه مصاب بالجنون والصّرع ' ومن هنا كان اتهام قريش له بذلك ' وجاراهم المستشرقون على ذلك وتبعوهم فى هذا التحليل .

والوحي عند ما ينزل على من اصطفاه الله من عباده ' مهما كانت وسيلته ' فستسلخ نفس هذا الشخص الموحى إليه من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات فى لمحة من اللمحات وذلك بعد أن تكتمل ذاته الروحية بالفعل. (٣)

---

(١)- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ' ج٧' ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦ . (٢)- البخارى : صحيح البخارى' باب الوحى .

(٣)- ابن خلدون : المقدمة' ص ٨١ .

Dhaka University Institutional Repository

وفسّر المؤرخ ابن خلدون ظاهرة الوحي الإلّهي ومراتبه تفسيراً علمياً مقنعاً يجعل من المنكرين لها فى موقف ضعيف من الناحية العلمية ' و مفاد ذلك أن الموحى إليهم ينسلخون فى تلك اللحظات عن الذات البشرية ويندمجون فى الذات الملكية ' ويجعل لهم سماع الكلام النفسانى والخطاب الإلّهى أثناء ذلك الانسلاخ . فتارة يسمع الموحى إليه دويا كأنه رمز من الكلام . ولا ينقضى ذلك الدوى إلاوقد وعاه بالكامل ' وتارة يتمثل للموحى إليه رجلاً فيكلمه بما أمر به فيفهم منه ما يقول . بعد أن ينقضى ذلك كله يعود الموحى إليه إلى طبيعته البشرية ولكنه يكون قدوعى وحفظ ما أوحى إليه . (١)

والوحي الإلّهي يمكن تفسيره من الناحية العلمية ' إذا قارناه بمسألة " التنويم المغناطيسى" الذى أثبت العلماء من خلاله تمتع الإنسان بعقل باطنى يفوق عقله المعتاد ' وأن الإنسان فى حالة تنويمه مغناطيسياً يرى ويسمع ويخبر بأمور لا يمكن التكهن بها فى عالم المحسوسات . وأن الإنسان بهذه الطريقة ثبت أن له روحاً تستقل أحياناً عن جسمه تمام الاستقلال. (٢)

كما أن تصرفات وحركات بعض الحشرات كالنمل والنحل التى تأتى بأعمال تنظيمية عجيبة لا يمكن تفسيرها بالغريزة وحدها ' وإنما يمكن إرجاعها إلى إرادة عليا توحى إليها بذلك السلوك المنظم القويم فإذا كان الأمر كذلك فإننا لا نستطيع إنكار الوحى على البشر وإقراره بالنسبة إلى الحشرات والمخلوقات الأخرى.

ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى تفسير الوحي الإلّهي المنزل على النبى العربى' ولكنهم أجمعوا على إنكاره ' وأتوا بتفسيرات وتعليلات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرفات التى تنتاب الرسول إبان نزول الوحى عليه ' على أن إنكارهم للوحى قادهم بداهة إلى إنكار المصدرا لإ لّهى للقرآن الكريم الذى أجمعوا أيضاً على بشريته كما أسلفنا .

---

(١)ـ انظر: د.ساسي سالم ' الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية' ص ٣٥٢ ـ٣٥٣.

(٢) عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ج ١ ' ص ٦٦ وما بعدها .

Dhaka University Institutional Repository

وبيان ذلك أن المفكر الفرنسي " جوستاف لوبون" (Lebon) يرى أن التصرفات التى تعترى الرسول إبان نزول الوحى الإلهى عليه ماهى إلاّ إصابته بالصرع الذى ينتابه فى هذه اللحظات ' فيعتريه احتقان فغطيط' فغثيان . ويرى أنه يجب اعتبار محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسى الديانات . ويقول فى هذا الصدد : ولا أهمية لذلك فلم يكن ذوا المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤن الديانات ' ويقودون الناس ' وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور ' وهم الذين أقاموا الأديان ' وهدموا الدول . وأثاروا الجموع وقادوا البشر . ولو كان العقل لا الهوس هو الذى يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر. (١)

ويذهب المستعرب الألمانى " هو برت جريم H.Grimme" إلى أن محمداً لم يكن فى بداية أمره يبشر بدين جديد ' ولكنه اقتنع بضرورة إصلاح مجتمعه فى مكة الذى يعانى من الفساد ' فوضع خطة لمساعدة الفقراء عن طريق فرض ضريبة على دخول الأغنياء . ولكنه فهم من أن الحظ لا يواتيه بقبول هذ الحل من قبلهم . كما أنه لم يتخيل خطة لصراع الطبقات على طريقة القرنين التاسع عشر والعشرين ومن هنا فقد استخدم فكرة الحساب يوم القيامة كوسيلة للضغط على هؤلاء الأغنياء لقبول خطته الرامية إلى الإصلاح الاجتماعى فى مجتمعه ففرض عليهم الزكاة لتطهير أموالهم وأنفسهم (٢)

أما المستشرق الإنجليزى " مونتجمرى وات M.WATT" فهو ينكر الوحي الإلهي وأن مصدر القرآن هو الخيال الخلاق الذى يتمتع به الرسول مثلما تمتع به بقية البشر الممتازين ' كما يرجع إلى اللاوعى الجماعى طبقا لرأى " يونج " وقد حاول التوفيق بين هذين الرأيين إلا أنه يؤكد عدم تفيسر الوحي بإصابة النبى بالهلوسة ' والصّرع وغيرهما من الأمراض العصبية ويؤكد أنه كان صادقاً ومخلصاً فى دعوته إلا أنه نفى الوحى الإلهى طبقاً للنظرية الإسلامية شأنه فى ذلك شان بقية أضرابه من المستشرقين . (٣)

---

(١)ـ جوستاف لوبون : حضارة العرب (ترجمة زعيتر . بيروت ١٣٩٩ هـ) ص ١٤١ وما بعدها .

(٢)ـ د. ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الداراسات الإسلامية' ص ٣٥٤ .

(٣)ـ المصدر السابق' ص ٣٥٦.

Dhaka University Institutional Repository

ويصل " مكسيم رودنسون" إلى نتيجة مفادها أن الوحي الذى ينزل على الرسول لايمكن تفسيره بالأمراض النفسية التى قد تنتاب الإنسان ، ولا بتدخل الشياطين والأرواح الشريرة التى كان العرب يعزون إليها الكهانة وسجع الكهان . ولكن مايراه ويسمعه الرسول هو نتيجة وصوله إلى إحدى درجات التصوف التى لم تصل إلى الاتحاد با لله ولكنها تقع بين مرحلة الزهد والتأمل والتعبد وبين مرحلة الاتحاد مع الله و الاندماج فيه . (١)

وعند ما عالج " جولد زيهر " هذا الموضوع فى ثنايا بحوثه الإسلامية ، فإنه أرجع القرآن الكريم إلى مصادر داخلية وخارجية كما أسلفنا . وبذلك فهو أيضاً ينكر الوحى الإلهى طبقاً للرؤية الإسلامية. ويرى أن تبشير النبى العربى ليس مزيجاً منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصال با لعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها . وتأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم واجباً إلهيا ، فأصبح ـ بإخلاص ـ على يقين بأنه أداة لهذا الوحى. (٢)

ونحن لم نشأ إيراد آراء بعض المستشرقين المتعصبين خاصة القدماء منهم الذين حاولوا تفسير الوحي بإصابة الرسول بالصرع وأن أعراضه كانت تبدو عليه ، إذ كان يغيب عن صوابه ، ويسيل منه العرق ، وتعتريه التشنجات ، وتخرج من فمه الرغوة ، حتى إذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين ما يقول إنه وحى الله إليه فى حين لم يكن هذا الوحي إلاّ أثراً من نوبات الصّرع . والسبب لعدم إيرادنا لهذه الآراء بالتفصيل ونسبتها إلى أصحابها ؛ أنها قدقيلت فى زمن كان المستشرقون يحاولون نقض الإسلام ومعتقداته بإيراد شبهات لا أساس لها من العلم والموضوعية ، وأنهم كانوا متحاملين أكثر من كونهم متعقلين . وأن الكتاب الغربيين أنفسهم قد ردوا على هذه الشبهات ، ونقضوها من أساسها، وقد ذكر "مونتجمرى وات " و " رودنسون " طبقاً لمصدريهما الذين أشرنا إليهما خطل هذا الرأى وسخفه ، وأن الحالة التى تعترى الرسول فى أثناء تلقيه الوحى تختلف عن المصابين به فعلاً ، وآية ذلك أن يصاب حقيقة بالصرع لا يذكر إطلاقاً مامرّ به إبانها بل إنه ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاما ، ولا يذكر شيئاً ما صنع، أوحل به خلالها ذلك

---

(١) ـ المرجع السابق ، ص ٣٥٨ . (٢) جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ص ٦.

Dhaka University Institutional Repository

نوبته نسياناً تاما ، ولا يذكر شيئاً مما صنع أوحل به خلالها ذلك أن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل . وهذه الأعراض التى تصيب المرضى من الصرع لا تنطبق وما يعترى الرسول من حالات نفسية وفسيولوجية فى أثناء نزول الوحى عليه ، لأنه كان يذكر بدقة بالغة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه ، كما أن نزول الوحى لم يكن مقترنا دوماً بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه ، بل إنه كثيراً ما ينزل الوحى و النبى فى تمام يقظته العادية (١)

وملخص القول فى هذه النقطة إن الصرع يعطل الإدراك الإنسانى ، وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثنائها الشعور والحسّ . أما الوحي فهو سموروحي اختص الله به أنبيائه ليلقى إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كى يبلغوها للناس وقد يصل العلم إلى إدراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها وأسرارها بعد أجيال وقرون ، وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم ، ومع ذلك فتبقى حقائق يقينية يهتدى بها المؤمنون الصادقون. (٢)

يجب استبعاد صفات الهوس والصرع والمرض النفسى التى اتهم بها المستشرقون النبى فى أثناء نزول الوحى عليه ، وخاصة "جوستاف لوبون" ؛ ذلك أن التاريخ قد أنبأنا أن النبى لم يكن يتصف بهذه الصفات قبل البعثة بل إنه يصفه لنا بالعاقل والصادق الأمين . وإنه لم يكن قبل البعثة من أولئك الذين تعتريهم الوساوس والسلوك الشاذ ، والتصرف الغريب ، بل كان بعيداً عن سلوك الكهان وسجعهم وتمتمهم ، وتصرفاتهم الغريبة ، ولم يكن شاعراً يعتريه شيطان الشعر فيؤثر فى قوله وتصرفاته .وإن معاصريه الذين أجهدوا أنفسهم فى بيان مساويه لم يصفوه بالمرض والوسوسة والصّرع بالرغم من وصفهم له بالسّحروا لكهانة واستقائه عن معلوماته عن آخرين.

لقد وصف النبي شخصياً ظاهرة الوحى المنزل عليه وصفاً دقيقاً حينما شبهه أحياناً مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليه فينفصم عنه وقد وعى ما قال وأحياناً يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه فيعى ما يقول ، وفى كلتا الصورتين كان النبى واعيا وعيا كاملاً بما يوحى إليه . وقد كرر ذلك مرات عديدة فأثبت لنفسه الوعي الكامل والإدراك السوي لحالته قبل الوحي وحالته بعد الوحي ، وحالته فى

---

(١)- المرجع السابق، ص ٢٦ . (٢)- محمد حسين هيكل : حياة محمد.(ط ٥ ، ١٩٥٢ م)ص ٤١ .

Dhaka University Institutional Repository

أثناء الوحي . وهذا التاكيد ينفى عن الرسول شبه الهلوسة ' والمرض النفسى ' والصّرع الذى ينتاب من يصابون به ' وعن طريق وعي الرسول الكامل لما يوحي به لم يخلط مرة واحدة بين شخصيته الإنسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية (١)

أما ما ذهب إليه " هو برت جريم " وأمثاله من أن النبي لم يكن فى بداية أمره يبشر بدين جديد فهو تفسير مادى مبتسر ومتعسّف أرادبه صاحبه تطبيق النظريات الماركسية والمادية الحديثة على نشأة الديانة الإسلامية فالمجتمع العربى وإن كان يشوبه التميز الطبقى بين الأغنياء والفقراء بين الأحرار والعبيد . إلاّ أن المعايير المادية الحديثة التى أفرزتها تطورات الثورة الصناعية الأوربية ومانشأ عنها من صراع الطبقات الذى تطور عبر العصور والأجيال لايمكن أن يقاس بما كان عليه المجتمع العربى البسيط فى ذلك الزمان ثم إن الإسلام لم يأت فقط للإصلاح الاجتماعى ' ولكنه جاء نظاماً متكاملا شاملاً لمناحى الحياة كلها ديناً و دولة. فهو لم يقتصر على إلغاء الطبقات وتحرير العبيد وأعاد توزيع الثروة بين أفراد المجتمع ' ولكنه نظّم العقيدة' فدعا إلى التوحيد وأصرّ على إزالة عبادة الأصنام وإعادة الوحدة إلى أبناء العروبة' ودفع بهم خارج جزيرتهم لنشرتعاليمه التى تنادى بالحرية والإخاء والمساواة' وأنشأ نظاماً سياسيا واجتماعيا واقتصادياً متكاملاً . وبالتالى فإن تفسير ظاهرة الوحيي ونشأة الدين الإسلامى تفسيراً ماديا صرفاً لايلاقى القبول العلمى الصحيح ' ولا يمكن الاستناد إليه فى نفس نبوة الرسول العربى ليجعل منه "جريم" وأمثاله مصلحا اجتماعيا يدعو إلى الاستشراكية فحسب (٢)

وإذا ما فحصنا ما ذهب إليه " مونتجمرى وات " من أن الرسول شأنه شأن بعض عظماء الرجال المتمتعين بذلك " الخيال الخلاّق " وأن مصدر الوحى المحمدى هو هذا "الخيال الخلاق " و " اللاوعى الجماعى " فإننا نجد هذه التعليلات خالية من الأدلة ' والبراهين العلمية الصحيحة . ذلك أن الخيال الخلاق الذى تحدث عنه " وات" قد فسّره شخصيّاً بأن رجال الدين يرجعونه إلى اللّه ' ومن

---

(١)ـ د. صبحي الصالح : مباحث فى علوم القرآن (دار العلم للملايين' ط ١٦ ' ١٩٨٥م) ص ٢٨ .

(٢)ـ راجع : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ص ٣٦١ .

Dhaka University Institutional Repository

خلال هذا التفسير يكون اللّه هو مصدر هذا الخيال الخلاق ، ولا أحد سواه خاصة إذا كانت هذه الأفكار الخلاقة أعلى من الإنسان ذاته وأسمى من عتبة الشعور ، ثم إن مسئلة " اللاوعي الجماعي " الذى عزا إليه "وات " ظاهرة الوحى المحمدى هو من الأمور المعقدة التى تستحق منا بياناً شافياً لدحضها . ذلك أن اللاشعور أو اللاوعى المشترك أو الجماعى ينتمى إلى ما نطلق عليه باسم " الكشف" أو الإلهام أو الحدس الباطنى أو الشعور الداخلى ، فهذه الأمور مهما تبا ينت تسمياتها غالباً ما تكون ثمرة من ثمار الكدّ والجهد أو أثراً من آثار الرياضة الرّوحية أو نتيجة للتفكير الطويل فلا تنشئ فى النفس يقيناً كاملاً ولا شبه كامل ، بل يظل أمراً شخصياً ذاتياً لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى. (١)

ويذهب "مالك بن نبى" فى هذا الصدد إلى القول : إن الكشف كالإلهام من ألفاظ علم النفس المحدثة التى ما تبرح حتى عند القائلين بها موغلة فى الإبهام لاحتلالها حاشية " اللاشعور" وهى حاشية ـ كما يوحى اسمها ـ أبعد ما تكون عن حالات الحىّ والشعور . فإذا قيل فى إنسان : إنه من أولى الكشف والإلهام لم يسم به ذلك إلى درجة النبوة والوحي ؛ لأنه فى كل وحى وعياً ، وفى كل نبوة شعوراً بمعناها وإدراكا لمغزاها ، وإنما يرمى "باللاوعي " من فقد الوعى ويوسم " باللاشعور" من حرم الشعور . (٢)

ومن هنابطلان تفسيرات "وات" بالخصوص ، خاصة إذا علمنا أن الحقائق الدينية والأمور الغيبية التى تخبر عنها ظاهرة الوحى لا تخضع للخيال الخلاق ولا إلى اللاشعور الجماعى أو الفردى التى تحاول اكتشاف المجهول عن طريق الفراسة ، والحدس الباطنى ؛ ولأنها لا تخضع أيضاً إلى مقاييس الحسن الظاهري الذى اعتاده الناس ، لأن ظاهرة الوحى عبارة عن انسلاخ الذات البشرية للموحى إليه واتصاله بالذات الروحانية والتى تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين : ذات متكلمة آمرة معطية ، وذات مخاطبة مأمورة متلقية. (٣)

---

(١)ـ انظر : د . صبحي الصالح : مباحث فى علوم القرآن(دارالعلم للملايين ، ط ١٦ ، ١٩٨٥م) ص٢٦.

(٢)ـ الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٦٢. (٣)ـ المصدر السابق، ص ٣٦٢.

Dhaka University Institutional Repository

أما ذهب إليه " وات " فى قوله : إن كلمات الوحى كانت لها صلة بمحمد قبل أن يصير واعياً بها وإن للرسول شخصيتين إحداهما واعية شاعرة ، والأخرى لاواعية ولا شاعرة أى أن لمحمد ازدواج الشعور واللاشعور ، فإن السرد التايخى لنزول الوحي وطريقة تلقى الرسول له و إبطائه عليه ومعاناته فى تلقيه ما ينفى هذا الازدواج الموصوف به . بل إن العرب أنفسهم قد تملكتهم الحيرة فى تفسير هذه الظاهرة ، فأحياناً يصفونه بأضغات الأحلام ، ومرّة يقول شاعر مفتر ، ومرة أخرى بالجنون والهلوسة والمرض . ولكن الثابت تاريخياً أن الرسول منذ اللحظة الأولى التى نزل عليه القرآن فيها كان واعيا تماما بما يوحى إليه . وكان يبلغ رسالة ربه وتعليماته بصورة دقيقة ، وكان يحرص على ألايضيع منه حرف مما ينزل عليه. وكان يجهد نفسه فى حفظ ما يوحى به إليه حتى أمره الله بالتريث . وكان يأتيه الوحي فى كل زمان فى كل مكان وهو فى كامل وعيه ويقظته. فكان القرآن ينزل على قلب النبى فى الليل الدامس ، والنهار الأضحيان وفى البرد القارس أو لظى الهجير ، وفى استجمام الحضر أوفى أثناء السّفر ، وفى هدأة السّوق أو وطيس الحرب وحتى فى الإسراء إلى المسجد الأقصى ، والعروج إلى السمٰوات العلا (١) وفى أثناء ذٰلك. كله كان وعى النبى كاملاً ، وكان نقله لما يوحى به إليه صحيحاً كاملاً متقناً .

وأخيراً فإن ماذهب إليه "وات " فى قوله من أنه يمكن الجمع بين اللاوعى المشترك ، وبين الآراء الإسلامية التقليدية بأن "الملك." وضع الكلمات فى ناحية من نواحى الوجود المحمدى يسمّى "باللاوعى " وإنها برزت من هنا إلى وعيه فهو كلام مردود عليه ؛ ذٰلك. أنه إذا قبل وات أن " الملك." وضع الكلمات فى ناحية من نواحى الوجود المحمدية فما فائدة نظرية " اللاوعى " المشترك ؟ ثم لماذا يضع الملك. هذه الكلمات فى اللاوعى المحمدى أولاً ثم يدعها تبرز إلبى الوعى حتى يتخيل الرسول أنه يرى ملكاً يحدثه بكلام لم تكن له من قبل صلة به؟ وإذا كان من الممكن أن يضعها فى اللاوعى ، فماالذى يمنع منذ وضعها من البداية ؟

---

(١)بالزركشي : البرهان فى علوم القرآن(دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧م. ج ١)ص ١٩٨.

Dhaka University Institutional Repository

وإذا كانت الكلمات من ملك فمعنى ذلك أنها شئ جديد لم يكن يعرفه محمد ولا مجتمعه ، ولكن نظرية "اللاوعى المشترك" كما شرحها صاحبها "يونج" كما وافقه عليها "وات" تقتضى أن تكون هذه الآراء معبرة بطريقة ما عن المجتمع ومتوافقة مع مشاعره ومصالحه ، ومصاغة بمقولاته ومبنية على مسلماته.(١)

أما ما ذهب إليه "جولد زيهر" وأضرابه من استمداد الرسول معارفه من مصادر داخلية وخارجية الخ وكذلك قوله : إن الوحى المحمدى هو عبارة عن اجترار الرسول لتلك الأفكار الخارجية إبان عزلته ، وإن ما يصيب الرسول إبان فترة نزول الوحى عليه عبارة عن مسألة نفسية ترجع إلى تشبع المرء بحالة خاصة من فرط استغراقه فيها . فإن هذه الفرضية حاولت تفسير القرآن من خلال علم النفس ، وهو تفسير خاطىء ؛ لأن علم النفس لم يصل بعد إلى درجة من الدقة والتطور بحيث يفرض طريقته فى البحث على الميادين الأخرى حتى يمكنه تفسير ظاهرة النبوة على ضوء التحليل النفسى الحديث . (٢)

ثم إن القرآن الكريم لو كان مصدره محمداً لكان من الفخر له أن ينسبه إلى نفسه ، ويدعى لنفسه القدسية بل الألوهية إن شاء، ولا نرى ما نعاً من ادعائه بذلك طالما كان الوحى الذى ينزل عليه لم يؤمن قومه بمصدره الإلهى بالرغم من اعترافهم له بالقوة والعظمة. فهؤلاء كبار القوم يذهبون إلى عمه عارضين عليه الاجتماع بابن أخيه مخيرّين إيّاه بين عدة أمور كالرئاسة ، والمال ، والحسب والغنى ، والسؤدد حتى يقلع عن دعوته ، ويرفض الرسول هذه العروض جميعاً ، ولا يرضى إلاّ بالوحدانية التى بسببها تدين لهم العرب ، ويحكمون بها العجم ، كل ذلك يؤكد عدم بشرية القرآن ، وحقيقة الوحى الإلهى الذى ينزل عليه من لدن عزيز قدير . وهو فى هذا الشأن تكون هذه الظاهرة لديه متماثلة عند جميع الأنبياء الآخرين ، طالما كان المصدر واحداً .

---

(١) د. جعفر شيخ الأرض ، مقال بعنوان "منهج مونتجمرى وات فى دراسة نبوة محمد" مناهج المستشرقين ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ . (٢)ـ الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ص ٣٢٤

Dhaka University Institutional Repository

والغاية واحد ومن هنا كان حرص القرآن على تسمية ما نزل على قلب محمد وحياً ، ليشابها مدلول الوحي بين جميع النبيين تشابه اللفظ الدال عليه عند ما يقول : ﴿والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ (١)

اما ما ذهب إليه " رودنسون " من أن الوحي الذى ينزل على الرسول هو عبار عن وصوله إلى إحدى درجات التصوف التى لم تصل بعد إلى رتبة الاتحاد بالله . أى أن " رو دنسون " يريد أن يقول : إن الوحي المحمدى هو عبار عن ذلك الكشف الذى عرفت البشرية منه ألواناً كا لشعراء والمتصوفين وبعض الكهان والعرافين ... وهذا الكشف أو الإلهام يكون غالباً نتيجة التفكير الطويل والتأمل الشديد ، والرياضة الروحية المجهد والسهر المتواصل وغيرها من العوامل النابعة عن الذات البشرية الداخلية .

والرد على هذا الرأي كما أشرنا إليه عدم مساوا الكشف والإلهام بالوحي الإلهي : لأن لكل نبو شعوراً أو إدراكاً ووعياً كاملاً بينما الكشف و الإلهام لا يرتقيان إلى درجة النبو والوحى ومن العجيب إننا لا ندرى كيف وصل "رودنسون" إلى تلك النتيجة العلمية التى حاول من خلالها البرهنة على أن النبى كان صوفياً . فالصوفية لون من ألوان السّلوك يجتنب فيه الذين يسلكونه الترّف ويختارون البساطة فى لباسهم ومعاشهم ، كما يعنى هذا الاصطلاح الاجتناب الاختيارى للملاذ العابر ، والابتعاد عن الحيا الاجتماعية خصوصاً الزواج وكبح جماح النفس ، وتطهيرها ، والبساطة التى ترفض كل ترف وأبهة ، وهكذا نرى أن هذه التصرفات منافية للتعاليم الإسلامية التى ترفض العزوبية ، وترفض اجتناب الملذات العادية المباحة وترفض الزهد والتصوف على طريقة الرهبان والقساوسة ، ومن ثم فإن وصف الرسول بالمتصوف ، وأنه قد بدأ فى تسلق مراتبه حتى وصل إلى درجة التأمل ولم يصل إلى درجة الاتحاد بالله هو قول لايسنده دليل علمى أو واقعى : ولأن هذه المراتب جميعها رتبت وصنفت بعد أن أخذت الصوفية مكانتها فى المجتمع الإسلامى . وبعد أن اختلطت بمؤثرات خارجية كا لهندوسية ، والنصرانية والفارسية ، بعد أن أصبحت طقوساً وشعائر واختلط فيها الحابل بالنابل ، واختلط فيها سمو الفكر والزهد بالشعوذ والتحايل . (٢)

---

(١)- (النجم : ١ــ ٤) (٢)- انظر : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

Dhaka University Institutional Repository

هكذا نصل فى نهاية هذا المبحث إلى خاتمة مفادها : صحة الوحي الإلّهي الذى ينزل على الرسول عن طريق جبريل عليه السّلام ، وهذا الوحى خارج عن الذات المحمدية وليس أثراً من آثار المرض أو الهلوسة أو الجنون ، وليس تعبيراً عن اللاوعى الجماعى أو الشعور ، وليس أثراً من آثار الزهد والتصوف الذى أخذ بهما الرسول قبل البعثة ، وليس أثراً من الأثار الخارجية والداخلية التى تأثربها الرسول سواءً أكان من العرب قبل الإسلام أو من اليهود والنصارى المقيمين بمكة والمدينة إبان البعثة النبوية . ومن هنا تنهار كل قول المستشرقين بالخصوص . وما علينا إلاّ أن نؤمن بأن الوحى هو ما يكلف الله به أنبياء ه من آياته وكتبه لتبليغها إلى عباده مهما اختلفت صوره وتعددت ، تصديقاً للآية الكريمة ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ (١)

---

(١) [الشورى : ٥١] .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث: المستشرقون وجمع القرآن الكريم وكتابته وترتيبه

يراد بمعنى "جمع القرآن" أمران ؛ أحدهما : حفظه واستظهاره فى الصدور والنفوس. وثانيهما : كتابته بعد جمعه من الصحابة والصحف الأخرى المكتوبة فيه من عهدالرسول إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان.

عند ما بدأ الوحي يتنزل على النبي أخذ يردده فى صدره حتى يحفظ كل مايوحى به إليه ، وكانت الذاكرة فى ذلك الوقت هى الأساس المتين لحفظ الأشعار والأمثال والخطب المأثورة، وكانت الروايات تنقل شفاها من جيل إلى جيل ، وكانت الأذهان صافية ، والقلوب خالية ، فنمت ملكة الحفظ لدي العرب حتى أصبحت مضرب الأمثال.

كان النبي ـ صلى عليه وسلم ـ حريصا على حفظ ماينزل عليه من القرآن وكان يعانى نفسيا وجسديا معاناة قوية عند ماينزل عليه القرآن باعتباره قولا ثقيلا مليئا حكمة وتشريعا وعقيدة وعبادة . وكان الرسول يستعجل حفظ ماينزل عليه مخافة أن يضيع منه شيء فكان يعجل بلسانه ويبذل الجهد فى حفظه واستظهاره ،حتى أوحى الله إليه من أنه سوف يسهل له هذه المأمورية لقوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرءانه، فإذا قرأناه فاتبع قرءانه، ثم إن علينا بيانه﴾ (١) وأمره الله فى آية أخرى كذلك ألا يعجل بالقرآن قبل أن يقضي إليه وحيه ويطالب ربه بزيادة علمه (٢)

---

(١) [القيامة : ٧٥]

(٢) [طه : ٢٠]

Dhaka University Institutional Repository

ولقد كان الرسول حريصا على ألا يضيع منه شيء مما يوحى به إليه، وكان أحيانا يستعجل الوحي ويطلبه، ويرجو من الله ألا يتركه. وكان يتلو كل آية نزلت عليه على المسلمين فيحفظونها في صدورهم، وكانوا يتنافسون في ذلك، وكل يحاول الحصول على أكبر قدر من هذه الآيات المليئة علما وحكمة وتشريعا. وكان مفروضا على المسلمين أن يقرؤوا القرآن أوماتيسر منه إبان الصلوات الخمس، وفي الليل، ويأمرهم بتلاوته والتهجد به وترتيله. بل إنه عند ما فشا الإسلام كان تعليم القرآن من المهام التي يقوم بها الصحابة في الأصقاع التي ينتشرفيها، بل وكان واجبا عليهم تعليمه للأميين وبقية المؤمنين المستضعفين. ومن هنا كثر حفظة القرآن في عهد النبي حتى بلغوا المئات (١)

وأورد المفسرون وكتاب الحديث وجمعته العديد من الأحاديث النبوية التي تحث المسلمين على حفظ القرآن وتعلمه وتعليمه للآخرين كقوله عليه السلام: ,,إن هذا القرآن مأدبة الله عزوجل فتعلموا من مأدبته" وكقوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه،، "وكقوله " ــــــــــ وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده، ومن أبطأبه عمله لم يسرع به نسبه" (٢)

هذه الأحاديث وأمثالها تدفع المسلمين إلى حفظ القرآن وتدارسه وتلاوته في أثناء الليل وأطراف النهار، فهم يصلون به ويتلونه في مآتمهم ومجامعهم وحفلاتهم، وبذلك ترسخ في صدورهم، بل كانوا يتسابقون على حفظه وتلاوته. وهكذا أصبح القراء هم أول من حفظ القرآن وجمعه من الضياع وأنقذه من النسيان.

---

(١) انظر: د.ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٦٩ - ٣٧٠

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج ١، ص ٤ وما بعدها.

Dhaka University Institutional Repository

وبلغ اهتمام المسلمين بالقرآن أن استخدم فى أمورهم الاجتماعى حتى إن المرأة تتمنى أن يكون صداقها بعض آيات القرآن الكريم يعلمها لها زوجها. وثبت أن النبى قد زوج أحد الصحابة بآيات من القرآن عند مالم يجد لديه مهراً لزوجته .

وأجمع المؤرخون والمفسرون على أن الرسول وإن كان يحث دوما أصحابه على حفظ القرآن وتعلمه وتعليمه إلا انه لم يشر صراحة إلى وحوب كتابته. والسبب فى ذلك أن أدوات الكتابة كانت شبه معدومة ولم تكن ميسورة فى ذلك الزمان. ومع ذلك فقد قام العديد منهم بنقش القرآن وكتابته فى الرقاع والأكتاف وجريد النخيل. ثم إن الرسول بعد أن توالى نزول القرآن بمكة والمدينة اتخذ كتابا للوحى، وأمرهم بكتابته زيادة فى الحفظ والتوثيق. وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، ومن المشهورين بالتقوى والصلاح. وهكذا جمع القرآن فى عهد الرسول أولا فى صدور المسلمين وثانيا فى الأدوات المستخدمة فى الكتابة كالعسب واللحا، والرقاع، وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع، ووضعت هذه المواد جميعها باعتبارها وثائق تحريرية للقرآن فى بيت النبى وبقيت هنالك حتى لحق بالرفيق الأعلى. (١)

أمر الرسول أصحابه بكتابة القرآن طبقا للترتيب المعروف لدينا ولم يجمع طبقا للتسلسل الزمنى الذى نزلت فيه الآيات ، وهومن أهم المطاعن التى تعرض لها المستشرقون ، وكان مصدر شكهم فى صحة القرآن ، ووصوله متواترا إلينا . وأشار علماء المسلمين إلى أن هذا الترتيب هو توقيفى من الله ، ولم يكن للرسول خيار فيه ويعتبرمن أهم خصائص القرآن عدم ترتيبه ترتيبا موضوعيا أو تاريخيا، لأنه مخالف لبيان العرب المقتصر على الشعر، والمثل، والحطابة؛ ولأنه آخرمن فنون القول لايعلمونه ولايعرفونه.

---

(١) انظر : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٧١.

Dhaka University Institutional Repository

وبجانب حفظ القرآن فى الصدور وكتابته من قبل كتاب الوحى، وجمعه فى بيت الرسول فإن الصحابة كانوا يكتبون القرآن فيما تيسرلهم من القراطيس وأدوات الكتابة المتاحة. وهم قد فعلوا ذلك دون التزامهم بترتيب السور من حيث نزولها أوتواليها، وكانوا يكتبون فى صحفهم مايعرفونه من القرآن، ومايصل إليهم من الآيات، وربما لم يدونوه جميعا؛ لأنهم لم يكونوا دوما حاضرين، فكانوا يذهبون إلى الغزوات، ويختلفون إلى الأسواق طلبا للعيش، فيتنزل القرآن آنذاك فلايعلمون به ولايدونونه، وهكذا أتى جمعهم للقرآن بدون ترتيب موضوعى أوزمنى. ولكن المسلمين استفادوا من هذا التدوين الجزئى فى عهد الخلفاء الراشدين عند ماجمعوا القرآن الذى كان فى صدور الصحابة، وصحفهم ووثائقهم. وهكذا نصل إلى نتيجة علمية حول جمع القرآن فى عهد الرسول مفادها أن الجمع فى هذه الفترة منصب على الحفظ والاستظهار أكثرمن اعتماده على الكتابة والتسجيل. (١)

والرأي الراجح المختار إذن أن تأليف السور على هذا الترتيب الذى نجده اليوم فى المصاحف هو ـ كتأليف الأيات ـ توقيفى لامجال فيه للاجتهاد. على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغم هذا التوقيف لم يجد من الدواعى ما يحمله على جمع أيات كل سورة فى صحائف عدة، ولا جمع القرآن كله بين دفتى مصحف واحد، لأن القراء ومستظهرى القرآن كانوا كثيرين، وكان ـ عليه السلام ـ يترقب توالي نزول الوحي عليه، وإمكان ناسخ لبعض أحكامه (٢) فالقرآن كله كتب فى عهد رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ غير مجموع فى مصحف واحد، فقد أغنى عن ذلك حفظ الصحابة له فى صدورهم كما وقفهم عليها الرسول. ونبههم إلى مواضعها بتوقيف من الله. قال الزركشى: ,, وإنما لم يكتب فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصحف لئلا يفضى إلى تغييره فى كل وقت؛ فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ـ صلى الله عليه وسلم ـ،، (٣)

---

(١)ـ المرجع السابق، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

(٢)ـ الزركشي، البرهان فى علوم القرآن ج١، ص ٢٣٥.

(٣)ـ المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٢.

Dhaka University Institutional Repository

وعند ما لحق الرسول بالرفيق الأعلى تولى أبوبكر مسؤولية الدولة الإسلامية الناشئة ، انقض كثير من العرب عليه ، وارتدواعن الإسلام، ومنعوا الزكاة، وكانت لو لم يتقها أبوبكر بالحزم والعزم لقضت على الإسلام فى مهده ـ فجهز الجيوش ودفع بهم إلى محاربة المرتدين ، وكانت حربا ضروسا لقى فيها المئات من المسلمين حتفهم ، وقد قدر عدد القراء المقتولين بسبع مائة شخص (١) وربما قل هذا العدد كثيراً إلا أن نسبة كبيرة من القراء قد قتلوا، وخاف المسلمون من ضياع القرآن الذى كان محفوظا فى صدر هؤلاء القراء .

ويروى المؤرخون الإسلاميون أن عمربن الخطاب أول من أشار على أبى بكر بجمع القرآن فى مصحف واحد، خشية ضياعه بعد أن استحر القتل فى القراء يوم اليمامة ـ وقدعارض أبوبكر هذه الفكرة، خوفا من البدعة؛ لأن الرسول لم يأمر بذلك. ومازال عمريراجعه حتى هداه الله إلى هذه الفكرة الحضارية الرائعة ، وكلف زيد بن ثابت بهذه المهمة العسيرة حالة كونه شابا عاقلا غير متهم ـ وكان من كتاب الوحى زمن الرسول، وشعر زيد بثقل هذه المسؤولية حتى شبهها بقوله: ,, لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ،،(٣)

تولى زيد هذه المهمة العسيرة فتتبع القرآن فى الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال وأتم جمعه، ووضع تلك الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر إلى زمن خلافة عثمان بن عفان ، وسلك زيد بن ثابت منهجا توثيقيا متفردا فى جمع القرآن ، فهو قد شعر بثقل المسؤولية التى كلف بها والأمر العظيم الذى يجب عليه إنجازه، فتحرى الدقة والصدق والتثبت الدقيق فى جمع السور القرآنية من مظانها، فأخذ ما كان فى صدور الحفاظ وجمع ما كان موجودا على أدوات الكتابة.

---

(١) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، دار بيروت ١٩٨٠، ص ١٣٥.

وذكر بعض المؤرخين أن عدد القتلى كان سبعين، راجع : مباحث فى علوم القرآن، ص ٧٤.

(٢) القرطبى، تفسير للقرطبى، ج ١، ص ٢٠.

Dhaka University Institutional Repository

وقابلها مع بعضها أى أنه طبق منهج المقابلة والمطابقة فى عمله هذا، و تحرى الصدق والأمانة فى هذا الجمع. وهى صفة الباحث العلمى الحقيقى، بل ولم يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدى الرسول أى أنه سلك ما نطلق عليه فى زماننا بمنهج النقل العلمى، وأبدع فيه لما بذله من استقصاء واستنباط فى هذا الجمع ونقد علمى داخلى وخارجى للنصوص التى جمعها. (١)

ويمتاز جمع القرآن فى عهد أبى بكر بكونه مكتوبا كله، ومرتبا ومقتصراً فيه على ما لم تنسخ تلاوته، كما جمع على أدق وجوه البحث والتحرى العلميين وأنه قدتواترهذا الجمع، وأجمعت الأمة الأسلامية عليه.

وعند ما توفى عمر و خلفه عثمان فى أمر المسلمين ، اتسعت الفتوحات الإسلامية فى زمانه، وتفرق المسلمون فى الأقطار المفتوحة. وبعد بهم الزمان عن عهد الرسول والخلفاء الأوائل، واستقر القراء فى المراكز الإسلامية الجديدة فى الشام والعراق وأصبح لكل صقع من الأصقاع قراء، فكان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع فى قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف .(٢)

وبلغ الشقاق منتهاه حتى كفر المسلمون بعضهم بعضاً، وشعر المسلمون بهذا الخطر الذى يتهدد صحة القرآن وجمعه، حتى بادر أحدهم وهو حذيفة بن اليمان إلى وضع حد لهذه المعضلة العويصة، فما إن عاد من غزاة له فى أرمينيا حتى ذهب إلى الخليفة عثمان، وأبلغه باختلاف القراء وعزم عليه تلافى هذا الأمر الخطير وهو لا يزال فى مهده . فبادر عثمان إلى القضاء على هذه الفتنة الثقافية فى مهدها. وألف لجنة رباعية برئا سة زيدبن ثابت وعضوية كل من عبد الله بن الزبير ، وسعيدبن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث لجمع القرآن ونسخه فى مصحف واحد، فبادرت اللجنه إلى القيام بمهما مها.

---

(١) راجع : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٧٢ - ٣٧٣

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان ج ١، ص ٢٥٥.

Dhaka University Institutional Repository

فاستعانت بالموجود منه، وجمعت ما كان فى صدور الصحابة وقابلته بمصحف أبى بكر المحفوظ لدى حفصة زوج النبى وكانوا يستعينون بالصحابة ، وأهم ما سلكوه فى هذا الصدد أن اللفظ الذى لا تختلف فيه وجوه القراءات كانوا يرسمونه بصورة واحدة، أما الذى تختلف فيه وجوه القراءات فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه فى مصحف، ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى فى مصحف آخر وكانوا يتحاشون أن يكتبونه فى مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكررا بالوجهين فى قراءة واحدة، وليس كذلك بل هما قراءتان نزل اللفظ فى إحداهما بوجه واحد، وفى الثانية بوجه آخر من غير تكرار فى واحدة منهما. (١)

وبعد أن أنهت اللجنة مهمتها ونسخت عدة مصاحف بغية نشرها فى الأقطار الإسلامية لتوحيد قراءة القرآن ، أمر عثمان بحرق ما عداها من المصاحف لقطع دابر الخلاف إلى الأبد. وقد امتاز مصحف عثمان باقتصاره على ما ثبت من التواتر أنه قرآن ونبذ ما عدا ذلك ، وترتيب سوره على الوجه المعروف لدينا الآن، وكتب بطريقة تجمع بين وجوه القراءات المختلفة والأحرف التى نزل عليها القرآن ، وجرد ما كان ليس قرآنا كالذى كان يكتبه بعض الصحابة فى مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أو بيانا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك. (٢)

ونحن قد عرضنا تفصيلا لكيفية جمع القرآن سواء ما كان محفوظا فى الصدور أو ما كتبه كتاب الوحى، وقيام الرسول بجمع هذا كله وعرضه على المسلمين قبل وفاته، ثم قيام أبى بكر الصديق بجمع القرآن نظراً لموت العديد من القراء فى الجهاد الإسلامى ، ثم قيام عثمان بتوحيد القرآن فى مصحف واحد للقضاء على الاختلاف الذى حدث فى قراءته طبقا للأحرف السبعة التى نزل بها. والنقطة المهمة هنا أن المسلمين قد سلكوا المناهج العلمية الصارمة فى جمع القرآن.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٨ ومابعدها .

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦١.

Dhaka University Institutional Repository

وتحقيقه وتمحيصه على أحدث ماوصل إليه البحث العلمي. ونستنتج من ذلك كله صحة القرآن ووصوله إلينا متواترا، وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، ولاتحريف ولا تزوير حسب قوله تعالى: ﴿انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(١)

وكان هدفنا وراء هذا الاستعراض الآنف عرض أراء المستشرقين حول هذا الموضوع الهام الذى قتلوه بحثا ودرسا وتمحيصا، ووصلوا بدراستهم إلى نتائج تتناقض، وسوف نستعرض آراء المستشرقين فى هذا الفصل حول هذه القضية المهمة، ثم نأتى الرد على شبهاتهم الواهية طبقا للمنهج الذى سلكناه فى المباحث الأخرى.

تعرض المستشرق الفرنسى " ريجى بلاشير" **(Balchere)** إلى دراسة القرآن فى العديد من الكتب كما قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية، وقام بدراسات تناولت القرآن وكيفية جمعه وترتيبه، فأشار إلى المراحل المختلفة التى مرت بها كتابة القرآن، أولاها مرحلة حفظ القرآن فى صدور المسلمين، والتى استمرت حسب قوله عشرين سنة، ونفى "بلاشير" أن يكون هناك قرآن مكتوب بمكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة، مع تشديد على معرفة العرب للكتب المقدسة الأخرى المكتوبة كالتوراة التى كان يستخدمها اليهود والمسيحيون بالمدينة، والأناجيل المسيحية التى يستخدمها أهل نجران والحبشة نظرا للعلاقات التجارية التى كانت تربطهم بتلك الأصقاع.

ويرى بلاشير أن بدء كتابة القرآن قد أصبحت ضرورة بعد هجرة الرسول إلى المدينة، فدون على العسب واللحا والرقاع وعظام الأكتاف والأضلاع، وقدوافق الرسول على هذه الخطوة دون أن يفرضها على المسلمين، ويرى أن جمع القرآن وتدوينه بهذه الطريقة.

توخلق العديد من المشاكل؛ لأن التدوين لم يكن صحيحا تماما، فسقطت آيات كثيرة منه، يضاف إلى ذلك أن أدوات الكتابة وما كان مكتوبا عليها قدتم بدون ضبط أو نظام بل دخلق العديد من المشاكل؛ لأن التدوين لم يكن صحيحا تماما، فسقطت آيات كثيرة منه، يضاف إلى ذلك أن أدوات الكتابة وما كان مكتوبا عليها قدتم بدون ضبط أو نظام بل وقد ضاع بعض منها .(٢)

---

(١) الحجر: ٩

(٢)انظر: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٧٥

Dhaka University Institutional Repository

أما المرحلة الثانية لتدوين القرآن فقد بدأت بعد وفاة المرسول فى عهد الخليفة أبى بكر، وقد جمع القرآن من صدور الحفاظ ومن الأدوات التى كتب عليها إلا أن هذا الجمع لم يتعد المبادرة الشخصية للخليفة، كما لم يتجاوز جمع ما كان فى صدور الحفاظ فقط، وبهذا لم يكن لهذا الجمع ذلك التأثير الحقيقى طالما كان فى حدودما قام به بعض الصحابة من جمع القرآن بناء على مبادراتهم الشخصية، ويعنى ذلك أن جمع القرآن وتدوينه لم يتم بطريقة علمية صحيحة ، ومن هنا كان يتميز بالنقصان والزيادة والاختلاف فى بعض الآيات . (١)

ويستطرد ,,بلا شير،، قائلا: إن الخطوة الحاسمة التى اتخذت فى هذا الصدد كان مرجعها إلى قيام الخليفة الثالث عثمان بجمع القرآن بطريقة منظمة وعلمية وأكثر شمولا واتساعا إلا أنه نظراً لغياب أدوات النقط والرسم فإنه لايزال هناك اختلاف فى قراءته وبالرغم من اختراع طريقة الأحرف السبعة والقراءات السبع لوحدة النص القرآنى فإن هذه الطريقة أضافت وخلقت خلافات جديدة بين المسلمين. (٢)

إن مشكلة وحدة النص القرآنى زادت تعقيداً بعد اغتيال الخليفة الرابع ـ على بن أبى طالب ـ حيث قامت شيعته بالإدعاء بأن الخليفة أبابكر ثم عمر حرفا القرآن وأسقطا كثيرا من آياته وسوره ، وحذفوا جميع الآيات التى تعين الإمام على بصراحة إماما وخليفة للمسلمين. (٣)

وأخيراً يذهب "بلاشير" إلى القول بأن المرحلة النهائية لتدوين النص القرآنى حصلت إبان العهد الأموى؛ وذلك عند ما نقلت عاصمة المسلمين إلى دمشق، ولعب العراق دورا كبيرا فى الحياة الروحية والثقافية للأمة الإسلامية، فاقتضى الأمر اتخاذ التدابير اللازمة نحو النص القرآنى خاصة فيما يتعلق برسم القرآن ونقطه، فقام الخليفة عبد الملك بن مروان بهذا الدور بناء على اقتراح واليه القوي بالعراق الحجاج بن يوسف، وقد اقتضى الأمر أيضا بعد ضبط القرآن إلغاء بعض الآيات التى تمجد عليا وأهل البيت لأسباب سياسية لامجال لإنكارها. (١)

ـ (١) المرجع السابق، ص ٣٧٥. (٢) المرجع السابق، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧٦ـ (٤)ـ المرجع السابق، ص ٣٧٦ـ

Dhaka University Institutional Repository

وإذا ما تناولنا ما قاله المستشرق " جولدزيهر"، في كتابه ,,مذاهب التفسير الإسلامي " لوجدنا أن أول ما افتتحه به قوله : "لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أوموحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني " (١) وخلاصة كلامه: أنه ليس هناك نص موحد للقرآن ، وأنه طبق لنظرية الشيعة فإن القرآن قد حذفت من آيات كثيرة وهي التي كانت تؤكد خلافة علي واستحقاقه لها شرعا- وذهب المستشرق الفرنسي "كازانوفا"، **(Casanova)** في كتابه "محمد ونهاية العالم" قائلا: إن القرآن قد أدخلت عليه بعد وفاة النبي تغيرات قام بها خلفاؤه، ليفصلوا مايمكن لهم فصله بين بعثة الرسول وقيام الساعة اللتين يرى ارتباطهما مباشراً والدليل على ذلك ماورد في الآية :﴿وإن ما نرينّك بعض الذي نعدهم أو نتوفينّك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (٢) فزعم كازانوفا أن أصحاب النبي حين رأوا أن الساعة لم تقم وضعوا في صيغة التعبير صورة الشك موضع اليقين ، ولا يستبعد أن الآية قبل التبديل هي كالآتي : وسنريك بعض الذين نعدهم " ويتسائل كازانوفا ، هل يعقل أن الإله- وهو سيد الأقدار- لم يستطع أن يحدد العالم مسئلة بسيطة ، وأنه يجهل هل النبي سيموت أو سيعيش إلى نهاية العالم في حين أنه علم بالساعة علم اليقين ، ولكنه لم يشأ أن ينبيء الناس بهذا العلم ؟ ! (٣) و يستطرد كازانوفا في كتابه الآنف بيانه قائلا:,, هناك آيتان يشك في صحة نسبتهما إلى الوحي الإلهي والراجح أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على إثر موت النبي، فأقره المسلمون على ذلك وهما قول القرآن: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (٤) وقوله :﴿ إنك ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ (٥)

---

(١)- جولد زيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٥٠ . (٢)- [الرعد : ٤٠]

(٣) – د- تهامي نقرة، القرآن والمستشرقون مناهج المستشرقين ،ص ٤٣ .

(٤) – آل عمران : ١٤٤ (٥) الزمر : ٣٠ – ٣١]

Dhaka University Institutional Repository

وذهب كل من "نولد كه وموير" وغيرهما من الشك فى ترتيب القرآن على النحو الذى وصل إلينا ومحاولتهما ترتيب الآيات ترتيبا موضوعيا أو أسلوبيا فصنفا القرآن إلى مراتب ثلاث ـ المرتبة الأولى : تتعلق بترتيب الآيات طبقا للأسلوب الذى نزل به ونتج عن هذا الترتيب التفرقة بين الآيات المكية والمدنية ، والاستدلال عليهما بالأسلوب الذى تتميز به كل فترة على حدة ـ والمرتبة الثانية: تتناول الظروف السياسية والاجتماعية التى حاول محمد معالجتها من خلال هذه الآيات. والمرتبة الثالثة: تتناول الآيات المتعلقة بالأحكام والعبادات ـ وهذا الترتيب نتج عنه غموض وإبهام فى كثير من المواضيع وتساؤلات حول نقاط هامة قابلة للنقاش. (١)هذه هى أهم الشبهات التى أوردها المستشرقون وبعض معارضى القرآن وفيما يلى نأتى بالرد عليها طبقا للمنهج الذى نسلكه.

إن ماذهب إليه "بلاشير" من تأكيد عدم كتابة الوحي قبل الهجرة إلى المدنية قول لايسنده دليل علمي: ذلك أن كتاب الوحي بدؤوا فى مهامهم قبل الهجرة، ولم ينقل القرآن إلينا فى تلك الفترة شفاها فقط ، وجميع المصادر التى أرخت تلك الفترة تشهد بوجود أناس بمكة يعرفون القراءة والكتابة بل إن أهل البوادى فى العصر الجاهلى كانوا يعرفون القراءة والكتابة بدليل وجود نصوص جاهلية مبعثرة فى أماكن بعيدة عن الحضارة تدل على معرفة أهل البادية بالقراءة والكتابة ، أما أهل الحضر فكان العديد منهم يكتبون ويقرأون خاصة الحنفاء الذين قرؤوا الكتب المقدسة الأخرى وبلغات عبرية وأجنبية كما هو الحال مع ورقة بن نوفل. وعند ما ظهر الإسلام بمكة كان بها قوم يعرفون القراءة والكتابة بل اطلعوا على كتب اليهود والنصارى وكتب فارس أيضا و واقعة فداء أسرى لمن يعلم صبيان المسلمين القراءة والكتابة معروفة ومشهورة، ويؤكد المورخون أنه لما نزل الوحي على الرسول فى مكة كان فى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب ، سموا منهم من المسلمين عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان، وأبا عبيدة بن الجراح وطلحة (٢) كما تواترت الأخبار عن كتابة عبد الله بن أبى سرح للرسول وهو فى مكة وأنه كان يكتب للنبي ، وكان فيما يلى عزيز حكيم فيكتب عبد الله غفور رحيم ، فيغيره، فرجع عن الإسلام ولحق بالمشركين، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمى أولبنى عبد الدار فأخذوهم فعذبوا (٣).

---

(١) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٧٨.

ـ (٣) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٤٥٧ ـ (٣) الطبري: تفسير الطبري، ج ٧، ص ١٨١ ـ

Dhaka University Institutional Repository

والدليل على كتابة الوحي للنبي بمكة هو نزول الآية : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ (١) وهي آية مكية ضمن سورة الأنعام، فيكون عبد الله قد كتب للنبي عند ما كان بمكة وقبل الهجرة. ومن هذه الواقعة نستدل على كتابة القرآن وتدوينه قبل الهجرة إلى المدينة. ويحتمل أن يكون هناك كتاب آخرون للوحي قبل الهجرة عدا عبد الله بن سعد بن أبي سراح، ولا نستبعد الصحابة المؤمنين الذين أتيناهم على ذكرهم. والدليل الآخر الذي نسوقه في هذا الصدد هو أن أبي بن كعب هو أول من كتب له الوحي بالمدينة وواقعة عبد الله بن سعد سابقة لكتابة أبي فيكون هناك كتاب آخرون للوحي بمكة.

أما قول " بلا شير " بأن تدوين القرآن بعد الهجرة قد شابه العديد من الأخطاء وخلق العديد من المشاكل؛ لأن التدوين لم يكن صحيحا، فسقطت منه آيات كثيرة ـ'.،' فهو قول مردود من أساسه؛ لأنه لم يأت بأدلة سائغة تبرهن على صحة افترا ضاته. يضاف إلى ذلك أننا قد أوردنا آنفا كيفية تدوين القرآن وكتابته، وضبطه وترتيبه وجمعه فقد كان الرسول يأمر كتاب الوحي بوضع الآيات في مكانها الصحيح وكان يقرئها أصحابه ويحفظها لهم، حتى أصبح حفظ القرآن وترتيبه متواترا لديهم. وانه عند ما قام الصحابة بجمع القرآن لم يجدوا شيئاً ضائعامنه. بل إن المطابقات والمقابلات التي أجروها بين النصوص المحفوظة في الصدور وتلك المدونة في أدوات الكتابة وجدت صحيحة، ولاينقص هذا الحكم مقولة من استدل بفقدان آية من سورة براءة ولم توجد إلا عند خزيمة بن ثابت، ومنها قولهم بضياع أيات أخرى مماثلة لهذه الآية. والدليل على ذلك أن جميع الآيات الأخرى وجدت إما محفوظة في الصدور أومكتوبة في الرقاع، ولولاتتبعهم الدقيق وبحثهم الدؤوب لما وجدوا هذه الآية المفقودة عند خزيمة بن ثابت.

---

(١) [الانعام : ٩٣]

Dhaka University Institutional Repository

وأما قول ,,بلاشير،، إن مشكلة وحدة النص القرآنى زادت تعقيدا بعد اغتيال الخليفة الرابع علي بن أبى طالب حيث ادعت شيعته بأن من جمع القرآن أسقط من الآيات التى نص على توليته الخلافة دون سواه فهوقول لايسنده دليل علمي، أوعقلى، ثم إن بعض كبار مفسري القرآن من الشيعة ,, كالطبرسى،، يرفض هذا الإدعاء جملة وتفصيلا . ويقول فى هذا الصدد : "أما الزيادة فى القرآن فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان فهو أشد استحلالة " ثم قال: إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء فيما ذكرناه، لأن القرآن مفخرة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية ، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا أومنقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد. (١)ثم إن الإمام عليا قد أشاد بالخليفتين- أبى بكر وعثمان- لجمعهما القرآن فى مصحف واحد وأثنى عليهما ، واسترحرم لهما ، ودافع عنهما ضد من اتهمهما بإحرق القرآن، ولو كان فى ذلك الجمع زيادة أو نقصان لأشار إليهما، و ندد بها ولتفاداها عند ما أصبح خليفة للمسلمين ولما أشاد بهما على عملهما ذاك-

أما ماذهب إليه "بلاشير" من تحريف القرآن وإلغاء بعض آياته التى تمجد عليا وشيعته فى عهد عبد الملك بن مروان بإشارة من واليه الحجاج بن يوسف ، فهو قول مردود من أساسه؛ لأن التاريخ الذى تتبع الحجاج وولايته تتبعا دقيقا، وأضاف ونسب إليه العدد من الأقوال والأفعال غير الصحيحة، ولم يدون عليه أنه كتب ستة مصاحف جديدة وزاد فيها وانقض طبقا للأهواء السياسية، ثم عمد إلى الصحف المتقدمة فأعدمها. وكل ماروواه لنا التاريخ أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان رأى اتساع رقعة الإسلام واختلاط العرب بالعجم وتفشي اللحن وبدأ اللبس والإشكال فى قراءة القرآن يلح بالناس حتى ليثق على الغالبية منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهى غير معجمة. هنالك أمر الحجاج هذا الأمر الخطير فندب الحجاج نصربن عاصم الليثى ويحي بن عمر العدوانى فأعجما المصحف ونقطا جميع حروفه المتشابهة والتزما ألاتزيد النقط فى أى حرف على ثلاث حتى شاع ذلك بين الناس وحتى زال الإشكال واللبس عن المصحف الشريف (٢)

---

(١)- انظر : الزرقانى : مناهل العرفان ' ج ١ ' ص ٢٨١.

(٢)- انظر : جورجي زيدان ' تاريخ التمدن الإسلامي ' ج٣ ص ٢٨١.

Dhaka University Institutional Repository

أما ما ذهب إليه ,, كازنوفا،، من قيام الصحابة بإدخال تغيرات على القرآن بعد وفاة الرسول ليفصلوا مايمكن لهم فصله بين بعثة الرسول وقيام الساعة اللتين يرى ارتباطهما مباشرا، ثم شكه فى الآيتين الخاصتين بموت الرسول، واحتمال موته حال حياته شأنه شأن بقية البشر الآخرين من أنهما من تاليف أبى بكر، فإن هذا القول عار من الدليل العلمى الصحيح هو الآخر وبيان ذلك أن الرسول لو كان يعتقد أن الساعة ستقوم فى زمانه وقبل وفاته لما تجشم الصعاب لبناء دولة عظيمة كانت لها مكانتها فى العالم، ولما أعد تلك التشريعات التى تنظم الأمور الدنيوية للمسلمين ، ولما حث أصحابه و أمته على العمل والعبادة ، ولما تنبأ لهم بالفتح المبين الذى سيحرزونه على الأمم المجاورة لهم، ولما حثهم على العمل فى دنياهم كأنهم سيعيشون أبدا .

يضاف إلى ذلك أن "بلاشير" نفسه رفض رأى " كازانوفا ،، فيما يتعلق باعتقاد الرسول بقيام الساعة فى حال حياته ، لعدم اعتماده على أدلة علمية وقوية سائغة من جهة، ولأن الرسول لما استقر فى المدينة أصبح يدعو إلى العبادات والمعاملات وتنظيم العلاقات التى يجب أن تسود بين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى. كما أن انتشار الإسلام فى الجزيرة العربية فرض على المسلمين منذ عصر النبوة أن يفكروا فى الحياة الدنيا إلى جانب التفكير فى الآخرة(١)

أما ما ذهب إليه ,, كاز نوفا،، فى نسبة الآيتين (آل عمران : ١٤٤ والزمر: ٣٠-٣١) إلى أبى بكر الذى أضافهما إلى القرآن على إثر موت النبى ، وإقرار المسلمين له على ذلك فهو قول مردود من عدة جهات، منها : أن الآية الأولى نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم أحد. وظن الناس أن الرسول قد قتل فصاح بعض المسلمين : إن محمد قد أصيب فيجب عليهم الاستسلام لعدوهم لأنهم إخوانهم وصاح بعضهم الآخر : إنه يجب الاستمرار فى القتال حتى بعدوفاة النبى إذ لاخير فى الحياة بعده فأنزل الله هذه الآية. ومنها: إن الرسول بعد أن لحق بالرفيق الأعلى ارتج على المسلمين واضطربوا اضطرابا عظيما بين مصدق ومكذب فبعضهم يقول: إنه أخذ ببعض ما كان يأخذه عند الوحى ، وبعضهم يقول: إن الرسول لايموت حتى يقضي على المنافقين، ولابحدث حتى يقطع أيدى رجال وأرجلهم. وكان عمر بن الخطاب من أكثر المشككين فى موت الرسول عند ما قدم أبو بكر وكشف عن وجه الرسول وتحقق من موته جمع الناس وتلا عليهم الآية المذكورة ، فرجع الناس إلى رشدهم وعلق عمر على ذلك بقوله: ,, فلكأنى لم أقراها إلا يومئذ،، .(٢)

---

(١) – د. تهامى نقرة: المستشرقون والقرآن الكريم ، مناهج المستشرقين، ص ٤٥ .

(٢) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤، ص ٢٢٣ .

Dhaka University Institutional Repository

أما بالنسبة إلى الآية الثانية فقد نزلت بالمدينة ، وتعنى إبلاغ النبى بأنه سيموت هوا الآخر كما تموت بقية الخلق ـ لا تمييز فى ذلك لأن ﴿ كل نفس ذائقة الموت﴾ دون تحذير له من الآخرة ، وحث له على العمل الصالح، والتقوى، خاصة أن الخطاب الذى يوجه إليه موجه إلى بقية المسلمين إلا إذا كان من خصوصياته وإبلاغه بموته حتى لاتختلف أمته بعد وفاته كما اختلفت الأمم الأخرى فى غيره قطعا لدابر الفتنة والشك. وقد أوشك حصول ذلك بعد وفاته لولا تدخل أبى بكر بتلاوتها واحتجاجه بها على صحة وفاته.

لو كانتا الآيتان السابقتان من اختراع أبى بكر ، فكيف يسكت المسلمون على ذلك ويوافقونه على هذا التزوير المتعمد، وهم أشد خلق الله تمسكا بكتابه؟ ونحن نعلم جميعا حرص أبى بكر على القرآن ، وعدم تبديل أوتعديل ما اتخذه الرسول من قرارات سياسية أودينية أو اقتصادية وخشيته من القيام بعمل لم يأمربه الرسول وفزعه الشديد عند ما عرض عليه عمر جمع القرآن فى مصحف واحد وإجابته له "أى سماء تظلّنى وأى أرض تقلّنى إن قلت فى القرآن برأى"؟ ثم يأتى بعد هذا كله ويضيف إلى القرآن ماليس فيه ؟! (١)

وإذا ذهبنا إلى ترتيب آيات القرآن وسوره لوجدنا أن المستشرقين قد شكوا فى هذا الترتيب ، واعتبروا الآيات القرآنية مختلطة ومندمجة مع بعضها طالما لم ترتب ترتيبا موضوعيا أو تاريخيا وقدحاول نولدكه ترتيب القرآن حسب ما أشرنا إليه آنفا طبقا للمواضيع والأساليب التى جاء بها إلا أننا نود الرد على هذه الشبهة و ذلك بالإشارة إلى إجماع الأمة الإسلامية على أن ترتيب القرآن على هذا النمط الموجود فى المصاحف كان بتوقيف من النبى عن الله تعالى ، وأنه لا يجوز تغييره أو تبديله أو الاجتهاد فيه .

---

(١) انظر : الظاهرة الستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣٨٤.

Dhaka University Institutional Repository

وكان الرسول هو الذى رتب القرآن بالطريقة الموجودة لدينا ،وأنه عرضه العرضة الأخيرة على أصحابه طبقا لما هو معروف لدينا الآن . واستدل المسلمون على ترتيب الرسول للقرآن بهذه الطريقة على قوله عليه السلام : ,,أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة ---،، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة أما مايقال عن إتيان الحارث بن خزيمة بالآيتين الموجودتين فى أخرسورة براءة وقول عمر: لو كانتا ثلاث آيات لجعلتها على حدة ، فانظروا إلى آخر سورة من القرآن فألحقوهما فى آخرها فإن هذه الرواية لاتستقيم وإجماع الأمة على أن ترتيب القرآن توقيفى لا اجتهاد فيه ، ونحن لانستبعد وجود بعض الآيات عند الصحابة وفقدانها عند بعضهم الآخر، فلما جمع القرآن وجدهاتان الآيتان لدى خزيمة بن ثابت، ولم توجد مع غيره فأمره عمر بوضعهما فى آخر سورة نزلت من القرآن ، وهذا رأى سديد، لايناقض الترتيب القرآنى، يضاف إلى ذلك أن القرآن هوفن أخر من فنون القول لاعلم للعرب به ، وهو معجز يتحدى العرب بالفن الذى لايخضع لترتيب معين والقرآن لورتب ترتيبا تاريخيا أوموضوعيا لكان كتابا تاريخيا شأنه شأن بقية الكتب الأخرى. ولكنه كتاب كامل وشامل لكل عصر ومصر وأورد من الأحكام والتشريعات التى تكون صالحة لكل الأزمنة وفى كل الأمكنة ، وبالتالى فهو لايحتاج إلى الترتيب الموضوعي والتاريخي الذى درجت عليه الكتب الأخرى.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم

اختلف الباحثون فى أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية فذكر ,, ريتشارد سودرن،، فى كتابه ,,صورة الإسلام فى أوربا فى العصور الوسطى،، بأن بطرس المبجل ،، رئيس دير كلونى الشهير رعى أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية ، فقد عهد بهذه الترجمة إلى العالم الإنجليزى (Rofert Ketton) بمساعدة الألمانى ,,هرمانوس،، و راهب إسبانى آخر مجهول الإسم ، وقد استغرت هذه الترجمة ثلاث سنوات من ١١٤١م إلى ١١٤٣م (١)

وذهب المورخ الإنجليزى ,, ستاينبرغ،، فى كتابه ,, الطباعة خلال ٥٠٠ سنة،، من أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية هى تلك التى قام بها ,,يوهانس أبور تيوس،، الذى ترجم القرآن إلى اللاتينية فى مدينة ,, بال،، السويسرية عام ١٥٤٢م . و يقول هذاالمؤرخ : أن هذه الترجمة حملت يومها مقدمتين : إحدا هما ,,لمارتين لوثر ,, والأخرى لمساعده و يده اليمنى،، ميا كنتين،، أحد كبار علماء عصره المعروفين (٢) و لكن معظم المصادر الأجنبية تشير بأن أول ترجمة هى التى أشرف عليها ,, بطرس المبجل و لعل المورخ الإنجليزى أراد الإشارة إلى طبع ترجمة بطرس المبجل بمدينة" بال" عام ١٥٢٣ والتى قام بنشرها ببلينا در فى ذلك التاريخ. (٣)

ونريد التنويه إلى أنه قد سبق للمسلمين ترجمة القرآن الكريم إلى العديد من اللغات المستخدمة إبان نهضتهم وسيطرتهم على العلوم والمعارف الإنسانية، وترجمت كذلك الرسائل و المواثيق، والعهود التى أبرمها ، وبعث بها الرسول إلى معاصريه من الملوك والحكام. فقد ترجمت رسائل الرسول إلى اليونانية والفارسية والقبطية والحبشية فى السنة السادسة أو السابعة للهجرة. (٤)

---

(١)ـ راجع : د. ساسي سالم الحاج : الظاهر الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ج/٢ ص، ٣٠٩.

(٢)ـ الشيخ طه الولى : القرآن الكريم فى الاتحاد السوفياتى .(مجلة الفكر العربي، العددالحادى والثلاثون مارس ، ١٩٨٣م ، السنة الخامسة) ص ٢٨٦ ، (٣)ـ راجع : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ص ٣١٠.

(٤)ـ محمد حميد الله : فهم القرآن لمن لاينطق بلغة الضاد(الندوة العالمية حول ترجمات معانى القرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية) ص ٥٣.

Dhaka University Institutional Repository

أما ترجمة القرآن إلى لغات الأقوام التى انتشر فيها الإسلام فقد كانت قديمة جدا كالترجمة الكاملة إلى الفارسية والتركية والهندية والسندية، بل إن ترجمات القرآن الكريم وصلت إلى ١٤٠ لغة أجنبية فى الوقت الحاضر. (١)

كما أثبت المستشرقون ترجمات قديمة للقرآن الكريم إلى السريانية زمن ولاية الحجاج بن يوسف فى خلافة "عبد الملك بن مروان. (٢)

ويذكر المستشرق الفرنسى المسلم ,,مونتاى،، **(Monteil)** أن الفيلسوف اليونان ى نقيطاس" الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى، قد نقل القرآن إلى اليونا نية وهو يشتمل على الترجمة والتعليقات والنقد والرد شأن بقية المترجمين الأوائل. (٣)

اختلف المسلمون فى جواز ترجمة القرآن الكريم من اللغة العربية أومنعه، وأجمع المبيحون له على استحالة ترجمته الحرفية وإمكانية ترجمة معانيه؛ لأنه نزل بلسان عربى مبين، وأن إعجازه يشمل اللفظ والمعنى، كما أن التعبد بتلاوته لا يكون إلا بهما (٤)

ولكن القرآن كتاب هداية وإرشاد، ويؤكد عمومية الرسالة المحمدية وعالميتها، والأمريقتضى ترجمة معانيه وأحكامه إلى الألسنة الأخرى لتهتدى به الأقوام الأخرى غير العربية ويستحيل وصول هذه الهداية دونما ترجمة أحكامه، وأوامره ونواهيه إلى لغات تفهمها تلك الأقوام ومن هنا كان أنصار المبيحين لترجمته أكثر حجة ومنطقامن أنصار المانعين لها.

---

(١) Hamidullah (M) Translation of the Quran in every Language.

(٢) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١١.

(٤) د. محمد الدسوقى : فى تاريخ القرآن وعلومه،(المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس ، ط ١، ١٩٨٣ م)ص ٢١٣

Dhaka University Institutional Repository

وقد بلغ الزمخشرى غايته فى جواز ترجمة القرآن الكريم عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ (١) عندما قال لم يبعث رسول الله للعرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس أجمعين، بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم يكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم، فلغيرهم من الأعاجم الحجة قلت : لايخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أوواحد منها ولاحاجة لنزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فبقى أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الألسانة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما نرى الحال ونشاهدها فى كل أمة من أمم العجم. (٢)

ولكن الذى يهمنا فى هذا السياق هو ترجمه القرآن الكريم إلى اللاتينية أولا، ثم إلى اللغات الغربية المعاصرة ثانيا، نظرا لتحديد دراستنا بالمستشرقين وهم القادمون من هذه الأصقاع والمتخصصون فى الدراسات العربية والإسلامية .

أهم الترجمات إلى اللاتينية :

فبعد ترجمة القرآن الكريم الأولى إلى اللاتينية تحت رعاية بطرس المبجل منذ عام ١١٤٣م تلتها ترجمات لاحقة، أهمها تلك التى أنجزها ,,توماس هينكلمان،، (Hinklemann T) .عام ١٦٩٤م، ثم تلتها ترجمات أخرى لاتينية أشهرها ترجمة العلامة الأب "مارّاتشى،، (Marracci) الذى قضى فيه أربعين سنة من عمره بحيث استقى ترجمته من المصادر العربية الأصلية، وتمت طباعة هذه الترجمة بمدينة "بادوا،، عام ١٦٩٨م وبعد طبعة وترجمة "ماراتشى" للقرآن الكريم تلته بعد حين من الزمن ترجمة العالم الألمانى.

,,جو ستاف فلوجيل،، (G.Flugel)"إلى اللغة اللاتينية أيضا ، وقد كان لهذا العالم فضل السبق فى تدبيج أول قاموس لألفاظ القرآن الكريم. (٣)

---

(١)- [سورة إبراهيم : ٤] (٢)- الزمخشري: تفسير الكشاف(الجزء الثانى ، طبعة البابي الحلبى) ص ٣٦٦ .

(٣) راجع: المرجع السابق، ٣١١.

Dhaka University Institutional Repository

أهم الترجمات إلى اللغات الغربية الحديثة:

أما أهم الترجمات إلى اللغات الغربية الحديثة فإنه يمكن إجمالها إلى ترجمات ألمانية وفرنسية وإنجليزية.

إن أهم ترجمات القرآن إلى الألمانية تلك التى قام بها ,,شفيجر،، (Schwegger) وأصدرها بمدنية نورمبرج عام ١٦١٦م. و ,,بويزن،، (Boysen) عام ١٧٧٣م. و,,أولمان،،(Ulmann) "وهيننيج،، (Henning) عام ١٩٠١م . ولعل أهم ترجمة حديثة إلى اللغة الألمانية تلك التى قام بها المستشرق الألمانى "رودى بات،، (R. Barret)وذلك بعد إطلاعه العميق على تفاسير الطبرى والزمخشرى والبيضاوى. (١)

وأهم ترجمات القرآن إلى الفرنسية تلك التى قام بها ,,دورييه،، (Deryer) عام ١٦٤٧م. و،،سافارى،، (Savary)عام ١٧٨٣ م و ,,كازيمير سكى،، (Kazemerski)عام ١٨٣٢م. و,,مونتيه،، (Montet) عام ١٩٢٩م و,,بلاشير،، (Blachere)عام ١٩٤٧م. وقدم لها بدراسة نقدية هامة أطلق عليها المدخل إلى القرآن. (٢)

وأهم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية تلك التى قام بها ,,روس،، Rossوقد استقاها من ترجمة دورييه الفرنسية وترجمة ,,جورج سيل،، (G. Sale) التى طبعت سنة ١٧٣٤م والتى استند فيها إلى ترجمة الأب "ماراتشى" اللاتينية. وترجمة ,

,رودوال،،(M. Rodwell) سنة ١٨٦١م. و,,بالمر،، (palmer) فقام هذا المستشرق بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية وصفت بالدقة والشمولية بالرغم من النقد الذى وجهه إليها ,,ها ملتون جب،، (H. Gibb) بأنها حرفية غير مكافية وقال عنها ,,استانلى لين بول،، بأنها يعوزها الإنضاج. (٣)

---

(١)-المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٢)-المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٣)- راجع : عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ص٤٤.

Dhaka University Institutional Repository

أهداف وخصائص هذه الترجمات

والـذى يهـمـنا فى هذا المبحث هو الإشارة إلى أهداف وخصائص ترجمات القرآن الكريم التى تمت من قبل المستشرقين بعد أن أشرنا إلى الترجمات الهامة باللغات الغربية.

فـنـلاحـظ أن الـغـرض الـعام الذى حاول المستشرقون الوصول إليه من هذه الترجمة هو تحقيق أهـداف دينية صـرفة؛ ذلك أن بـطـرس الـمبـحـل الذى أشرف ورعى الترجمة اللا تينية الأولى للقرآن الـكـريـم قـصـد مـن وراء ذلك إطـلا ع عـلماء الغرب، ومثقفيه على الكتاب المقدس الإسلامى، حتى يتـمـكـنوا من معارضته ودحض أحكامه واختلاق الثغرات فى بنائه المتكامل المحكم والا فتئات على بـلا غته الـمـعـجزة والدس فيه بما يخدم مقاصدهم الخسيسة ومن هنا جـاء ت تلك الترجمة مبتسرة ومغيرة للعديد من معانى الآيات وأحكامها وصدرت وذيلت بتعليقات وانتقادات متحيزة .(١)

عـند ما عجزت الحروب الصليبية عن تحقيق مأربها للقضاء على العالم الإسلامي ودياته، اتجه الـمـفـكـرون الغربيون إلى وسائل أخرى ثقافية، منها نشر التبشير المسيحى بين ربوع العالم الإسلامى وهـذا التبشير يقتضى بداهة تعلم لغة وكتب وفلسفة الأقوام المراد نشر المسيحية بين ربوعها ولايتأتى هـذا الـعـمـل إلا إذا حـذق الـمبشر اللغة العربية، واطلع على التعاليم والمبادى والأحكام الإسلامية من خـلال كتـابـه الـمقدس. ومن هنا كانت ترجمة القرآن الكريم التى قام بها أو لئك الأقوام لتحقيق هذه الـمـرامى والأهداف واستمرت هذه النظر ية سارية المفعول إلـى حيـن انتشار المدّ الأوربي، وسريانه عـلى العالم الإسلامى إبان فترة الاستـعـمار الأوربى الغربى الحديث وقد التجا الباحثون الغربيو ن إلى تـرجـمة القرآن الكريم فى هذه المرحلة لتحطيم معنويات الشعوب الإسلامية وكسر معتقداتها والطعن فى مقدساتها وذلك من خلال الشبهات التى يحا ولون استخراجهامن القرآن الكريم. (٢)

---

(١) - راجع : د/ ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١٥.

Dhaka University Institutional Repository

وإذا ماتقدمنا قليلا فى مجال بيان خصائص ترجمة معانى القرآن الكريم بعد أن عرفنا المرامى والأهداف التى سعى إلى تحقيقها لوجدنا أنه قد استحال على هؤلاء المترجمين إيراد ترجمة وافية وكاملة للقرآن الكريم؛ لأن الترجمة الوافية والكاملة تتطلب معرفة جميع معانى القرآن الأولية والثانوية، ونقصد بالمعانى الأولية مايستفاد من ألفاظ القرآن وما يفهم من تلك الألفاظ ابتداء ولا يختلف أحد فى فهمه، أما المعانى الثانوية للقرآن فهو ما ستفاد من الكلام زائدا على معناه الأولى، وهذا المعنى يتغير بتغير التوابع فيختلف باختلاف أحوال المخاطبين، وقدرتهم على الفهم والاستنباط، ومن الاستحالة ترجمة القرآن الكريم بمعانيه الأولية والثانوية لأنها؛ مناط بلاغته وإعجازه أسلوبا ومعنى ويستحيل على المترجم بلوغ مرامه فى هذا الصدد لعدم قدرة محاكاة القرآن على نقل تلك المعانى إلى لغة المترجم الأصلية، ومن هنا نلاحظ على تلك الترجمات تلك الركاكة اللفظية وعدم دقه المعنى المترجم، بل وأحيانا تناقض الترجمة عن الأصل، وهو من أخطر الأمور(١)

اتصفت هذه الترجمات بالتعليقات على القرآن الكريم بحيث أصبحت لاتنطبق والمعانى الواردة به لما شابه من تصرف وحذف وتغيير كما اتسمت هذه الترجمة بتعليقات وملاحظات لدحض الآيات القرآنية، وتغيير أحكامها وبالتالى لم تكن ترجمة حرفية اللفظية للقرآن، ولا يمكننا اعتبار هذه الترجمات صحيحة طالما شابها التحريف والنقد والتعليق. وان كنا لا ننكرأهميتها باعتبارها المعلم البارزوالأساس فى مجال الدراسات الإ سلامية فى أوربا الغربية. (٢)

ويتسم معظم تلك الترجمات بالتشويه المتحيز بحيث جاء ت بعيدة عن الموضوعية، والأمانة العلمية مع تذييل معظم تلك الترجمات بمقدمات وتعليقات نقدية تشتمل جميعها على نقض للقرآن، ومحاولة سيئة النية لتغيير أحكامه وتأويل أياته تأويلا خاطئا لايتسق ومايفهم من عباراته وألفاظه فا تسمت هذه الترجمات بالتحريف والتزوير ،والتشويه، الأمرالذى جعله هدفا مناسبا للشبهات الأخرى الناجمة عنها.

---

(١)- المرجع السابق، ص ٣١٥-٣١٦.

(٢)- راجع : المرجع السابق، ص ٣٠٩.

Dhaka University Institutional Repository

إن العديد من مترجمى القرآن الكريم لايحسنون اللغه العربية ولايتقنو نها إتقانا تاما؛ لأن من شروط الترجمة العلمية الصحيحة معرفة المترجم للغة الأصل و لغة الترجمة معرفة كاملة لأساليبها وخصائها وقواعدها، وأن تكون الترجمة وافية بجميع معانى النص المترجم وشمولية مقاصده وأن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن النص الأصلى بحيث يستغنى بها عنه وتحل محله لفظا ومعنى ولو طبقنا هذا الشرط على مترجمى القرآن لوجدنا نقصانها لدى العديد منهم ومن هنا كانت ترجمة القرآن ناقصة مبتورة لم تؤد أبدا إلى معرفة النص الإلّهي لفظا ومعنى فى الغالب الأعم و لو أتينا بنماذج من هذا القبيل لرأينا ذلك القصور والغموض. والإبهام الذى يشوب هذه الترجمات و يجعلها بعيدة عن الكمال. (١)

إن هناك أقواما و شعوباً اطلعوا على هذه الترجمات أى الترجمات من قبل المستشرقين و استنبطوا منها ما شاؤوا من نتائج دينية، و علمية بعيدة الخطر، فمن خلال هذه الترجمات اطلعوا على مبادي ء الإسلام و أحكامه، فدرسوها و حاولوا معارضتها، مناقضتها بل و تسفيهها. ومن خلال هذه الترجمات وقف العديد منهم حياته. وأفناها على دراسة الإسلام وتراثه وحضارته، وتاريخه، ومن خلال هذه الترجمات اطلعوا على عقليات الشعوب الشرقية ودرسوا أحوالها وبينوا خصائصها تمهيدا لاستبلاء عليها واستعمارها ومن خلال هذه الترجمات أورد المستشرقون تلك الشبهات التى وصفوا بها الإسلام وكتابه المقدس فمنها حكموا على أنه ليس كلام الله، ولكنه من صنع البشر ومن خلالها تلمسوا له مصادر داخلية وخارجية ومن خلالها أنكروا إعجازه عدم انتظام أسلوبه وقوة بلاغته. (٢)

---

(١)ـ انظر فى هذا الصدد النماذج التى أوردها الدكتور أحمد صالح البنداق فى كتابه: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم،(منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م)

(٢)ـ راجع: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الخامس : المستشرقون وقضية نزول القرآن على سبعة أحرف

قبل التطرق إلى شبهات المستشرقين حول هذا الموضوع الشائك ثم الرد عليهم نرى من الضرورى أن نعالج هذه القضية المهمة التى أثار حولها المستشرقون كثيراً لطعنهم فى صحة القرآن الكريم لأجل اختلاف الألفاظ الواردة فيه وحدوث تغيير فى نصوصه ليتضح أمامنا المفهوم والمعنى المقصود من هذه الأحرف السبعة . ورأى علماء المسلمين حولها .

وتطرق الإمام الطبري فى مقدمة تفسيره إلى قضية الأحرف السّبعة التى نزل بها القرآن الكريم فى معرض بيان اللغة التى أنزل بها . ثم يستطرد الطبرى لبيان ماهية الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، وحججه التى يستدل بها على صحة افتر اضاته منها : إن الحرف هنا تعنى اللغات وليست القراء ات السبع فيقول فى هذا الصددبعد أن عدد الطرق التى ورد بها حديث الرّسول : " أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء فى القرآن كفر ثلاث مرّات . فما عرفتم منه فاعلموا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه" إن القرآن "أنزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها ، وإن قراء ة المسلمين اليوم ومصاحفهم التى بين أظهرهم هى ببعض الألسن التى نزبها القرآن دون جميعها " (١)

ونستنتج من كلام الطبرى أن المراد بالأحرف السّبعة هى اللغات السّبع التى أنزل بها القرآن الكريم. ولكن العلماء اختلفوا فى ماهية هذه اللغات وتحديدها . فالإمام القرطبى فى جامعه" يذكر خمسة أقوال من الخمسة والثلاثين قولاً التى ذكرها ابو حاتم بن حبّان البستى" ونحن نلخصها فيما يلى :

الأوّل :

إن المراد بالأحرف السبعة هى الأوجه السّبعة من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو : أقبل ، وتعال وهلم . والسبب فى ذلك التوسعة على المسلمين فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغتهم حالة كونهم أمة أمية لاتعرف القراء ة والكتابة إلا القليل من أبنائها ، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى .

---

(١)الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٩ .

Dhaka University Institutional Repository

الثاني :

إن المراد بالأحرف السبعة هى سبع لغات فى القرآن على لغات العرب كلها وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات متفرقة والقرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن .

الثالث :

المراد بالأحرف السبعة اللغات السّبع المنحصرة فى لغة مضر ؛ لأن الخليفة " عثمان" احتج بها عند جمع القرآن فقال : " نزل القرآن بلغة مضر" والمقصود بلغة مضر : كنانة ، وأسد ، وهذيل ، وتيم وضبة وقيس .

الرابع :

إن المراد بالأحرف السبعة معانى كتاب الله تعالى : وهى أمر ، ونهى ، ووعد ووعيد ، وقصص ومجادلة وأمثال . ورفض معظم المفسرين كابن عطية هذا التعليل لأن هذ الايسمّى أحرفاً.

الخامس :

إن المراد بالأحرف السبعة هو وجوه الإختلاف فى القراء ة منها : ١ ـ ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل : " هن أطهر لكم " وأطهر " ويضيق صدرى" ويضيق . ٢ـ مالاتتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل : ربنا باعد بين أسفارنا " وباعد . ٣ ـ ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف ، مثل قوله : " ننشزها " وننشرها . ٤ ـ ما تتغير صورته ويبقى معناه : "كالعهن المنفوش " وكالصوف المنفوش . ٥ـ ومنها ما تتغير صورته ومعناه مثل : و "طلح منضود " وطلع منضود . ٦ ـ التقديم و التأخير كقوله : " جاء ت سكرة الموت بالحق" وجاء ت سكرة الحق بالموت . ٧ـ الزيادة والنقصان : مثل قوله : " تسع وتسعون نعجة انثى وكذلك قوله : وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين . (١)

---

(١)ـ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ٤٢ ــ ٤٦ .

Dhaka University Institutional Repository

وهناك من ذهب إلى القول بأن المراد بالأحرف السبعة هى القراء ت السبع المشهورة المنقولة عن الأئمة السّبعة المعروفين عند القراء ' وهذا الاستنتاج خاطىء من أساسه؛ لأن القراء السبعة المشهورين لم يكونوا قد خلقوا ولا وجدوا حين نطق الرسول بالحديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف " وقال أبو شامة فى كتابه (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز) : "ظن قوم أن القراء ت السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ' وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ' وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل " (١)

وعرض الدكتور صبحي الصّالح فى كتابه (مباحث فى علوم القرآن) العديد من الآراء ثم يرجح الرأى الخامس المذكور الآنف ويقول : " وإذا لم يصح الاقتصار على أحد تلك الأراء السابقة فقد بدأ لنا أن استقصاء الممكن منها ' وهو الذى لا يعارض النقل و العقل ربما كان أصوب الآراء وأبعدها عن الإفراط والتفريط : فالمراد من الأحرف السبعة ـ والله أعلم ـ الأوجه السبعة التى وسع بها على الأمة فبأى وجه قرأ القارىء منها أصاب ' ولقد كاد النبى صلى الله عليه وسلم يصرح بهذ كل التصريح حين قال : "أقرأنى جبريل على حرف ' فراجعته فلم أزل استعيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف " فاللفظ القرآنى الواحد مهما يتعدد أداؤه وتتنوع قراء ته لا يخرج التغاير فيه عن الوجوه السبعة الآتية " (٢)

وبعد ذكر الأوجه السبعة يقول : " والحق أن هذ الوجه الأخير ـ اختلاف اللهجات فى الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل' وكسر حروف المضارع وقلب بعض الحروف وإشباع ميم الذكور وإشمام بعض الحركات... ـ أهم الأوجه السبعة لأنه يبرز الكحمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف ' ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التى تعددت قبائلها فاختلفت بذلك لهجاتها ؛ وتباين أداؤها لبعض الألفاظ فكان لابد أن تراعى لهجاتها وطريقة نطقها ' أما لغاتها نفسها فلا موجب لمراعاتها ؛ لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره فى لغة قريش التى تمثلت فيها لغات العرب قاطبة ' لا لغات قبائل معينة ينتصرلها بعض العلماء بتعسّف لا يؤيده دليل عقلى ولانقلى . (٣)

---

(١)ـ السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ' ج ١' ص ١٣٨ . (٢)ـ مباحث فى علوم القرآن' ص ١٠٨ ـ١٠٩ (٣)ـ المرجع السابق ' ص ١١٣ .

Dhaka University Institutional Repository

وإذا سأل أحد هل بقيت هذه الأحرف السّبعة فى مصحف عثمان أو أنها محيت جميعاً ولم يبق منها إلا حرف واحد ؟

فهذا الإمام الطبرى ينكر الأحرف السبعة فى مصحف عثمان الذى لايشتمل إلاّ على حرف واحد منها بعد جمع القرآن فى عهده ، وهو الموجود لدينا إلى يومنا هذا ، والعلة فى ذلك إجماع الأمة بقيادة عثمان على الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة المعروفة جمعاً لكلمة المسلمين . والقضاء على تفرّق الأمة حول قراءة القرآن باللغات الأخرى ... (١)

ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن جميع هذه الأحرف موجودة فى المصاحف العثمانية . واحتجوا بأنه لايجوز الآية أن تهمل نقل شيء منها وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصّحف التى كتبها أبوبكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك ومعنى هذا أن الصّحف التى كتبها أبوبكر جمعت الأحرف السبعة ، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السّبعة كذلك . (٢) و أورد الشيخ الزرقاني فى مبحث طويل أدلة هذا الفريق ورجحه فى نهاية بحثه بأدلة علمية .

ويذهب الدكتور (طه حسين) إلى تأييد وجهة نظر الطبرى ، وهو يرى أن هذه القراء ت السّبع ليست من الوحى فى قليل ولا كثير وليس منكرها فاسقاً ولا مغتمزاً فى دينه وإنما هى قراء ت مصدرها اللهجات .... وإن القرآن قد تلى بلهجة واحدة ولغة واحدة هى لغة قريش ولهجتها ولم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراء ته وتعددت اللهجات فيه وتباينت تبايناً كثيراً . (٣)

ومما يؤيد وجهة نظر الطبرى بالخصوص أن هذه القراء ات السّبع ليست من الوحى وبالتالى فهى ليست من الأمور التى يحرص المسلمون على الإبقاء عليها عند ما جمعوا القرآن على مصحف الخليفة عثمان. ولا يذهب ذاهب أو يعتقد أن جامعى القرآن قد أغفلوا هذه القراء ت أو أسقطوها عمدا لو كانوا يعتقدون أن الوحى قد نزل بها هى الأخرى . غير أن هذه النتيجة التى وصلنا إليها تلقى ظلالاً من الشك على صحة الحديث الذى أشرنا إليه ، والقائل : أن القرآن قد أنزل على سبعة أحرف .

---

(١) أنظر : الطبرى ، تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٢١ . (٢) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن. ج ١ ، ص ١٦١ .

(٣) ـ طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ، ص ١٠٩ ـــ ١١٠ .

Dhaka University Institutional Repository

ونحن نعلم أن إحدى الطرق التى يتحرى بها المسلمون صحّة الأحاديث هى مقابلتها بالقرآن الكريم فإن اتفقت معه فهى أحاديث صحيحة ، وإن عارضته أو اختلفت معه فى المعنى فيحكم عليها بعدم الصّحة . ولو رجعنا إلى سند الحديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) طبقاً لما يورده الطبرى من مختلف الأسانيد لرأيناه يقارب الصحّة نظرا لعدم التجريح فى سلسلة الرواة إلاّ أننا لو طبقنا القاعدة القاضية بمقابلة الحديث بالقرآن للنظر فى اتفاقه معه أو معارضته إياه لوجدنا أن هذ الحديث ـ أى حديث الأحرف السّبعة ـ يعارض صراحة النصوص القرآنية التى نجد فيها ؛ ﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ﴾ (١) وفيها ﴿... قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقآء نفسى إن أتبع إلاّ مايوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيت ربّى عذاب يوم عظيم " ﴾ (٢)

ثم إن الأمة قد تواتر لديها عدم قيام الرسول بتغير أوتبديل ما ينزل عليه القرآن ، وأنه ما إن ينزل عليه شيء إلاّ أمر كتابه بتدوينه طبقاً للسن الذى ورد به حال نزوله عليه .

ثم إنه لو عقدنا مقابلةً بين حديث الأحرف السّبعة وبين حديث آخر مروى عن الرسول أنه علم " البراء بن عازب " دعاء فيه " ونبيّك الذى أرسلت " فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله قال " ورسولك الذى أرسلت " فلم يوافقه النبى على ذلك بل قال له : لا " ونبيك الذى أرسلت " . وهكذا نهى الرسول البراء أن يضع لفظة "رسول " بدلا من لفظة "نبى " مع أن كليهما يؤدى معنى واحداً لاستنتجنا ضعفه . ثم كيف كان الرسول يجيز أن يوضع فى القرآن مكان عزيز حكيم غفور رحيم أو سميع عليم ، وكيف يمكننا قبول الرواية التى تذكر أن " عبد الله بن مسعود " أقرأ رجلاً كلمة " الفاجر " بدلاً من كلمة "الأثيم " فى الآية : ﴿ إن شجرت الزقوم ، طعام الأثيم ﴾ مع ورود المنع عن تغيير أى حرف من حروف القرآن ، وهل يعقل قيام ابن مسعود بذلك وسكوت الصّحابة على عمله لوصحّ أنه فعل ذلك ؟ (٣)

---

(١) [البروج : ٢٢] (٢) [يونس : ١٥].

(٣) د. جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام . ج٨ ، ص ٦٢٢.

Dhaka University Institutional Repository

ثم إننا لو سايرنا من ذهب إلى أن القرآن قد أنزل على سبعة أحرف أى سبع لغات مختلفات ، فإن مصحف عثمان مع ذلك لا يحتوى إلاّ على حرف واحد من الأحرف السبعة المختلف عليها ؛ وبيان ذلك أن الإمام الطبرى نفسه يتساء ل عن وجود الستة الأحرف هل هى قد نسخت فرفعت ؟ وإذ كان الأمر كذلك فما الدليل على نسخها ورفعها ؟ يجيب الطبرى عن هذين التساؤلين بقوله : " إن هذه الأحرف الملغاة لم تنسخ فترفع ، ولم تضيعها الأمة وهى مأمورة بحفظها ، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت فى قراء ته وحفظه بأى تلك الأحرف السبعة شاء ت كما أمرت ... " (١)

أما عن العلة التى حدث بالمسلمين إلى الإبقاء على حرف واحد وطرح ما عداه فهى خشيتهم اختلاف المسلمين فى قراء ة القرآن وتعريفهم فيه تفرق اليهود والنصارى وهى العلة التى دفعت عثمان إلى جمع القرآن فى مصحف واحد كما بينا فى الفصل السّابق هذه هى قضية الأحرف السبعة كما وردت طبقا للنظرية الإسلامية فما موقف المستشرقين تجاه هذه القضية ؟ أى قضية الأحرف السبعة ـ وكيف فسّروا وجودها ؟ وقالوا : بحصول التغيير فى القرآن بالزيادة والنقصان والتضارب فى نصوصه وفيما يلى نورد هذه الشبهات والمطا عن مع الردود عليها والمناقشة العلمية .

عالج المستشرق المجرى " جولد زيهر"(Gold Zlher) هذه القضية معالجة مو سعة فى كتابه " مذاهب التفسير الإسلامى" مفتتحا كتابه بتلك العبارة التعسفية التى أطلقها كفرضية مسلم بها ثم حاول تطويع بحثه الكامل للبرهنة على صحتها وهى : لايوجد كتاب تشريعى اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقديا على أنه نص منزل أو موحى به ، يقدم نصّه فى أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد فى نصّ القرآن " (٢) وقد أورد "جولد زيهر " تلك العبارة التعسفية استناداً إلى تعدد وجوه القراء ت ويستطرد فى هذ الصدد قائلاً : ليس هناك نصّ موحد للقرآن ومن هنا نستطيع أن نلمح فى صياغته المختلفة أولى مراحل التفسير. والنص المتلقى بالقول الذى هو لذاته غير موجد فى جزئياته ، يرجع إلى الكتابة التى تمت بعناية الخليفة الثالث ـ عثمان ـ دفعاً للخطر المائل فى رواية كلام الله فى مختلف الدوائر على صورة متغايرة ، وتداوله فى فروض العبادة على نسق غير متفق ، فهى إذا رغبة فى التوحيد ذات حظ من القبول" (٣)

---

(١)ـ الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٢٠ . (٢)ـ جولد زيهر : مذاهب التفسير الإسلامي . ص ٤ .
(٣)ـ المرجع السابق : ص ٦ .

Dhaka University Institutional Repository

ويفسّر "جولد زيهر" منشأ الاختلاف فى القراء ات المتعددة إلى خصوصية الخط العربى الذى يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعود تلك النقاط إن ما ذهب "جولد زيهر" فى تفسيره لاختلاف القراء ة راجع إلى خصوصية الخط العربى . فهذا الاستنتاج ليس صحيحاً من الناحية العلمية لأنه شتان بين اختلاف القراء ات المعروفة وبين الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن باعتبارها انعكاس للغات العرب المختلفة' ذلك أن الخط العربى لم يكن سببا فى اختلاف القراء ا ت ولكنه ساعد على استيعاب القراء ات الصحيحة بحالتها التى كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية من إهمال النقط والشكل .

وإختلاف القراء ات لايبلغ بحال مبلغ التضاد أو التناقض' قال تعالىٰ : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . ﴾ (١) فإذا كانت القراء ات التى تعتمد على الروايات الصحيحة موثوقاً بها كما يقر بذلك " جولد زيهر " فما معنى قوله : " ليس هناك نصّ موحد للقرآن ؟

واستند جولد زيهر " فى كثير من مقاطع كتابه إلى جواز قراء ة القرآن بالمعنى تأسيساً على اختلاف الأحرف السبعة ' وإن لم يطابقه حرفية اللفظ واستنبط بأن اختلاف الأحرف السبعة وقراء ة الناس بها يرجع إلى تلك الحرّية المطردة إلى حد الحرية الفردية كأنما سواء لدى الناس أن يروا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية " (٢)

وقراء ة القرآن بالمعنى لم يقل بها أحد ولكن " جولد زيهر " استنتج ذلك من قول عبد الله بن أبى سرح كاتب الوحى عند الرسول ؛ " كان يملى علىّ الرسول مثلاً عزيز حكيم ـ فأقول هل أكتب عليم حكيم ؟ فيقول النبى : نعم كل صواب " (٣)

ولا يخفى أن ابن أبى سرح ارتد بعد وفاة الرسول. فقد يكون ذلك من زيادات بعض الشراح المتأخرين الذين غالوا فى اتهامه بأنه كان يبدل القرآن وإن صحّ ما روى عنه ' فإنه لايعتد بقول مرتد . وكيف يسمح الرسول بتبديل ما أنزل الله عليه والله تعالى يقول : ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاء نا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا مايوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيت ربىّ عذاب يوم عظيم ﴾(٤)

---

(١)ـ [النساء : ٨٢] (٢)ـ انظر : المرجع السابق ' ص ٤٨ . (٣) د . التهامى نقرة: القرآن والمستشرقون. مقال فى مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ' ص ٤٨ . (٤)ـ[يونس : ١٥]

Dhaka University Institutional Repository

وإن اختلاف القراء ا ت يؤدي إلى الشك فى سلامة النص القرآني لأن هذه الأحرف نزلت من عند الله . ولايفهم منها أنه يجوز للقارىء أن يأتى من تلقاء نفسه باللفظ وما يرادفه أو باللفظ وما يضاده فى المعنى ولكن أقصى ما نستنبط من هذه الأحرف السّبعة هو التوسعة على الأمة فى قراء ة القرآن خصوصاً عند بداية الوحي طبقاً لألسنتهم فجاء ت التوسعة بمرادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد و الشكل موحي به من عند الله . (١)

والشبهة الأخرى التى ذهب إليها " جولد زيهر " فى كتابه " مذاهب التفسير القرآنى " : أنه لا معنى للأحرف السبعة التى نزل بها القرآن إلا تلك القراء ات السّبع المنقولة عن الأئمة السبعة المعروفين عند القراء . وهذه الشبهة أيضاً مدحوضة من أساسها طبقاً لما بيناه . فى بداية هذا المبحث من قيام العلماء المسلمين بالتفرقة بين الأحرف السبعة والقراء ت السبع ، ومن الطبعى أن يفرق المرء بين الأحرف السبعة والقراء ت السّبع ؛ لأن من نسبت إليهم هذه القراء ت لم يكنوا موجودين حين نطق الرسول بحديث " الأحرف السّبعة" ومن ثم يستحيل أن تكون الأحرف هى القراء ات ذاتها . (٢)

وخلاصة القول : إن القرآن لم يخضع للاضطراب والتباين نتيجة وجود االأحرف السّبعة ؛ ولأنها عبارة عن لهجات تباينت عند خا تناولت القبائل المختلفة قراء ة القرآن ، وقد جدّ العلماء المتأخرون فى ضبطه وتحقيقه ، وأقاموا له علوماً خاصة استقصت جميع جوانيه وقد فطن إلى ذلك المسلمون الأوائل الذين أدركوا ما لهذه الأحرف من آثار على صحة النص القرآنى ، فأشاروا على الخليفة عثمان بجمع القرآن على حرف واحد ورفضت القراء ة بالأحرف الستة الأخرى ، وكان الذى فعلوا من ذلك ـ كما قال الطبرى ـ : هو النظر إلى الإسلام وأهله ، فكان القيام بفعل الواجب عليهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السّلامة من ذلك " . (٣) فإذا كان الأمر كذلك ، فإن شبهات المستشرقين حول صحة النص القرآنى لم تقف عند هذا الحد عند ما تناولوه من حيث زمان ومكان وموضوع تنزيله ، وحاولوا القدح فى صحته وتأكيد بشرية مصدره استناداً إلى التمييز بين القرآن الذى نزل بكمة وذلك الذى نزل بالمدينة فما شبهاتهم فى هذا الخصوص ياترى ؟!

---

(١)ـ انظر : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، ص ٤٠٠.

(٢)ـ المرجع السابق : ص ، ٤٠١ . (٣)ـ الطبرى : تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٢٢.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل السادس : المستشرقون والقرآن المكي و المدني

إن العلم بالقرآن المكي و المدني الذى أفرد له المسلمون مؤلفات و مباحث مطولة لايخلو من فائدة علمية فى حدذاته، فيه نتمكن من معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه، و معرفة تاريخ التشريع الإسلامى و تدرجه، نؤكد ثقتنا. بوصوله إلينا سالما من التغيير و التحريف والتبديل. و ليست لنا مناهج علمية محددة يمكننا الاستناد إليها للمتييز بين مكى القرآن و مدنيه إلا استناداً إلى رواية الصحابة والتابعين ؛ لأن الرسول لم يخض فى هذه القضية منذ بدايتها، و لأنه لم يأمر أصحابه بالاهتمام بها ، و لأنهم لم يكونوا فى حاجة إلى تبيان هذه القضية أصلا لأنهم كانوا شهود اثبات على الوحى و التنزيل (١)

واذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة فإن العلم بالمكى والمدنى آحوجها إلى تمحيص الروايات و تحقيق النصوص و التحاكم إلى التاريخ الصحيح و هو على كل حال أحوج إلى هذا كله من أسباب النزول لأن العلم بتلك الأسباب يتناول ضروراً معينة من الجزئيات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية، و لايتناول شيئاً من التفصيلات القرآنية الأخرى التى نزلت ابتداء غير مبنية على الأسباب. أما العلم المكى و المدنى فلاغنى له عن تناول القرآن كله سورا و آيات :

فكل سورة أما مكية أو مدنية و قد تستثنى من السور المكية آيات مدنية، ومن السور المدنية أيات مكية ، كما أن كل آية فى القرآن معروفة الهوية واضحة السيرة، فإذا اختلطت بغير زمرتها أخضعها العلماء الثقات لمقا يسيهم النقدية الدقيقة حتى قطعوا أو كادوا يقطعون بأنها تنتمى إلى النوازل المكية والمدنية.

كان العلم بالمكى والمدنى إذن خليقا بالعناية البالغة التى أحيط بها و جديرا أن يعد بحق منطلق العلماء لا ستيفاء البحث فى مراحل الدعوة الإسلامية والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف والتطلع إلى مدى تجاوبها مع البيئة العربية فى مكة والمدينة، وفى البادية والحاضرة والوقوف على أساليبها المختلفة فى مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب. (٢)

---

(١) د. ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية ، ص ٤٠٥.

(٢) ـ د. صبحي الصالح : مباحث فى علوم القرآن . ص ١٦٨

Dhaka University Institutional Repository

ومن هنا قام المسلمون بترتيب السور القرآنية قسموها على أساس من الزمان أو المكان أو الأشخاص فمنهم من قسم نزول القرآن من حيث المكان عند ما قال : ,, المكى ما نزل بمكة و لو بعد الهجرة، والمدنى ما نزل بالمدينة، ومنهم من رتب النزول على أساس الأشخاص عند ما قال : المكى ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدنى ما وقع خطابا بأهل المدينة ،، ومنهم من رتب النزول على أساس الزمان عندما قال : ,, المكى مانزل قبل هجرة الرسول إلى المدينة، و إن كان نزوله بغير مكة. والمدنى ما نزل بعد الهجرة و إن كان نزوله ,,بمكة ،،. (١)

بذل المسلمون مجهودا مشكورا فى تتبع نزول القرآن من حيث الزمان و المكان و الأشخاص، بل إن علمائهم تتبعوا تاريخ كل آية و متى نزلت و فى أى شيء نزلت ، وهم عندما بذلوا هذا المجهود الجبار فى تحرى الروايات و ضبطها كان غرضهم تتبع تطورات الدعوة الإسلامية فى أدق جزئياتها و بياناً لكل تطوراتها و مراحلها، تعريفا للأحكام والشرئع النازلة.

حاول المستشرقون ترتيب القرآن من حيث الزمان و أنحوا بالملائمة على علماء المسلمين الذين يرونهم مقصرين فى هذا الميدان بدعوى إنكار كل أثر للروايات الصحيحة فى هذا الترتيب ولكن عندما حاولوهم الآخرون القيام بهذا الترتيب الزمنى ، فإنهم لم يستطيعوا تجاوز منهج علماء المسلمين فى هذا الصدد و ذلك باعتماهم على الروايات دون غيرها فالمستشرق ,,جريم،، اعتمد على الرويات والأسانيد الإسلامية فى ترتيب سور القرآن . (٢)

ولكن هذا المستشرق حاول إصلاح ما اعتقد أن علماء المسلمين قد اخطؤوا فيه وهو تمحيص صحيح تلك الروايات من سقيمها إلا أن الفشل هو الأخر كان حليفه لأنه قد عجز عن هذا التمحيص أيضا كما اتهم به المسلمين فى هذا الصدد. ثم إنه عندما باشر فى ترتيب القرآن اختط لنفسه منهجا يتحدد فى احترام تلك الروايات و دراستها و تمحيصها وتحليلها ليصدر فى نهاية البحث

---

(١)- الزركشي : البرهان فى علوم القرآن . ص ٨٧. (٢)- انظر : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية'

ص ٦٠ ٤ نقلاعن : Blachere R. Introduction to the Quran. Paris, 1952 P.250 .

Dhaka University Institutional Repository

حكمه القاضي بوصف و تحديد المراحل الزمنية المتعاقبة على الوحي القرآني إلا أنه فى ثنايا بحثه حاد عن هذا المنهج الذى ارتضاه، ولم يحترم تلك الروايات التى حددت منذ البداية مراحل الترتيب القرآنى من حيث الزمان

و هذا المستشرق الألمانى الكبير ,, نولدكه,، ليقتنع منذ البداية بضرورة ترتيب القرآن ترتيبا زمنيا مخالفا للطريقة الإسلامية فسلك منهجا آخر فى هذا الترتيب إلا أنه وصل إلى نتيجة علمية مفادها استمالة هذا الترتيب طبقا للمعطايات المبثوثة فى الروايات والأسانيد وصولاً إلى نتيجة علمية سائغة (١) و لكنه استطاع ترتيب القرآن ترتيباً متواليا طبقا لمراحل متوالية، فيكون هذا الترتيب منصبا أحيانا حول الأسلوب و أحيانا حول المواضيع التى عالجها القرآن و خاصة السياسة والدينية منها و من هنا كانت محاولته التى انصبت على ترتيب القرآن ترتيباً موضوعياً

حاول ,,نولدكه،، و ثلة من زملائه الألمان ترتيب القرآن ترتيباً موضوعياً و ذلك من خلال ماسطره فى كتابه ,, تاريخ القرآن،، و فى ثنايا البحوث الأخرى التى دبجها زملاؤه فى العديد من المجلات العلمية و ذلك فى الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٣٨م وهذ الترتيب الموضوعى لم يخرج عما قام به علماء المسلمين من تقسيم القرآن إلى مكى و مدنى حسب المعايير الزمانية والمكانية والشخصية التى أشرنا إليه، إلا أنهم قسموه موضوعيا إلى أقسام ثلاثة فداخل التقسيم المكانى المتعلق بالفترة المكية فإن القسم الأول انصب على ترتيب القرآن من حيث أسلوبه الذى أخذ بعين الاعتبار قصر السور ووحدة أسلوبها و اختصار معانيها، و خلوها من التشريع و الأحكام. والقسم الثانى انصب على ترتيب القرآن من حيث الظروف التى قادت الرسول إلى مواجهة معارضيه. و القسم الثالث انصب على ترتيب القرآن من حيث بيان العبادات والمعاملات، و تشريع الحلال والحرام و بيان الأوامر والنواهى والعلاقة بين المسلمين و أهل الكتاب من اليهود والنصارى ثم أضاف ,,نولدكه،، تقسيماً رابعاً، لهذه الأقسام و هو بيان القرآن الذى نزل بالمدينة. (٢)

---

(١)- المرجع السابق' ص ٤٠٧.

(٢- المرجع السابق ' ص ٤٠٧ .

Dhaka University Institutional Repository

لقد كان الترتيب الذى ذهب إليه ,,نولدكه،، و ,, شفالى،، و غيرهما من المستشرقين الألمان قد شغل بال علماء الغرب، فعلقوا عليه أخطر النتائج فى عالم الدراسات القرآنية، واتخذوه أكبر مدخل للطعن فى صحة القرآن و تضارب تعاليمه و خضوعه إلى الظررف الزمانية والمكانية والموضوعية التى عالج مشاكلها و أمالها و آلامها. كما أن هذا التصنيف قد جعل العديد من الجزئيات القرآنية غامضة مبهمة حسب وجهة نظرهم، تحتاج إلى نقاش و إيضاح، إلا أن لمدرسة الألمانية التى قامت بهدا التصنيف القرآنى أثبتت بمالايدع مجالاً للشك فيه استحالة تصنيف القرآن خارج الدائرة المنهجية التى سلكها علماء المسلمين قبلها بألف سنة أو يزيد. والتى تتحدد فى الرواية الصحيحة التى هى الطريقة الوحيدة التى تقود إلى ترتيب القرآن ترتيبا زمنيا صحيحاً يفوق هذا الترتيب الموضوعي الذى قامت به المدرسة الألمانية (١)

إن المنهج الذى سلكه علماء المسلمين فى التمييز بين القرآن المكي والمدني يعتمدعلى السماع عن طريق الصحابة والتابعين ، كما أن بعض العلماء اعتمدوا على بيان هذه التفرقة على الاجتهاد دون النقل، و هكذا عين العلماء طبقاً للروايات والأسانيد،و الاجتهاد السور المكية والسور المدنية ثم رتبوها حسب تعاقبها فى النزول و عند ما يختلفون على تصنيف سورة أو آية معينة من حيث مكان و زمان نزولها فإنهم يتبادرون و يجتهدون فى إيراد الحجج والبراهين التى تعزز افتراضاتهم، وهى حجج إلى الاجتهاد أقرب منها إلى النقل (٢)

توصل العلماء إلى مجموعة ضوابط و معايير نستطيع أن يميز من خلالها السور المكية من السور المدنية كما نستطيع أن نتعرف إلى طابع كل منها و خصائصها.

---

(١) انظر : مباحث فى علوم القرآن . ص ١٨٠.

(٢) الزرقاني : مناهل العرفان، ج ١، ص ١٩٧.

Dhaka University Institutional Repository

أهم خصائص و ضوابط السور المكية

١ـ إن كل سور فيها سجدة فهى مكية.

٢ـإن كل سورة فيها لفظ ,, كلا،، فهى مكية ، و لم ترد إلا فى النصف الأخير من القرآن، كما ذكر هذا اللفظ فى القرآن ثلاثا و ثلاثين مرة فى خمس عشرة سورة كلها فى النصف الأخير من القرآن.

٣ ـ كل سورة فيها ,, يا أيها الناس،، فهى سورة مكية إلاسورة الحج ففى آخرها (ياأيها الذين آمنوا اركعو واسجدوا) مع أن كثيراً من العلماء يرونها مكية.

٤ـ كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهى مكية سوى البقرة.

٥ـ كل سورة فيها قصة آدم و إبليس فهى مكية سوى البقرة أيضا.

٦ـ كل سورة فى أولها حروف التهجى فهى مكية سوى سورة البقرة و آل عمران فإنهما مدنيتان إجماعاً و فى ,, الرعد،، خلاف ، فبعضهم يرى أنها مدنية وليست مكية (١) وهذه الخصائص الست ـ اذاحفظ مااستثنى منها جانبا ـ أمارات قطعية لاتتخلف.وهناك أمارات غالبة رجح امتيازالقسم المكي بها فمما يكثر فى السّورالمكية ويشيع:

١ـ قصرالآيات والسور وايجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتى.

٢ـ الدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.

٣ـ الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.

٤ـمجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

٥ـ كثرة القسم جريا على أساليب العرب. (٢)

---

(١) راجع : مباحث فى علوم القرآن . ص ١٨١-١٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٣.

Dhaka University Institutional Repository

أما السور المدنية فمن خصائصها القطعية

١ـ إن كل سورة فيها إذن بالجهاد أو ذكره و بيان لأحكامه فهى مدنية،

٢ـ إن كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود و الفرائض و الحقوق و القوانين المدنية، و الاجتماعية، و الدولية فهى مدنية.

٣ـ إن كل سورة فيها ذكر المنافقين فهى مدنية ماعدا سورة العنكبوت فإنها مكية إلا إن الآيات الإحدى عشرة الأولى منها مدنية و فيها ذكر المنافقين.

٤ـ مجادلة أهل الكتاب و دعوتهم إلى عدم الغلو فى دينهم.

ومن الأمارات الغالبة التى يرجح امتياز القسم المدني بها:

١ـ طول أكثر سوره و بعض أياته و إطنابها و أسلوبها التشريعى الهادىء .

٢ـ تفصيل البراهين و الأدلة على الحائق الدينية هذه الخصائص الموضوعية و الأسلوبية سواء أكانت قطعية أم أغلبية نصور الخطى الحكيمة المتدرجة التى كان يخطوها الإسلام فى تشريعه: فخطاب أهل المدينة لايمكن أن يكون مماثلا لخطاب أهل مكة ، لأن البيئة الجديدة فى المدينة أصبحت تستدعى التفصيل فى التشريع، و فى بناء المجتمع الجديد فكان لابد أن يطنب القرآن بعد الإيجاز و يفصل بعد الإجمال و يراعى حال المخاطبين فى كل آياته و سوره.(١)

فإذا كانت الضوابط و المعايير المتخذة كأساس للتمييز بين القرآن المكى و المدنى كانت على النحو الذى أسلفنا بيانه ، و مما اقتبسناه من كتب العلماء الأقدمين و المحدثين، فما شبهات المستشرقين حول هذا الموضوع ياترى؟

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٣ـ١٨٤.

Dhaka University Institutional Repository

وقد تكلم عن السور المكية والمدنية وخصائصها عدد من المستشرقين وعلى رأسهم : المستشرق الفرنسي ،،بلاشير،، ونولدكه وزملائه الألمان والمستشرق،، جريم،، و،،رودنسون،، وجولدزيهر،،وغيرهم وفيما يأتى نقدم خلاصة شبهات المستشرقين بإيجاز حول خصائص القرآن المكى والقرآن المدنى ويمكننا تحديد هذه الشبهات على النحو التالى :

١ـ يتميز القرآن بأسلوبين متعارضين فى مكة والمدينة ، وهذا الاختلاف مرجعه إلى طبيعة وظروف الدعوة المحمدية،ويعتبر انعكاساواضحا للبيئة التى وجد فيها، ومن هنا نفى الوحي الإلهي عن الرسول ، لأن النصوص القرآنية تعكس طبيعة و بيئة و ظروف كل مكان و كل زمان فالأسلوب القرآنى يمتاز فى مكة بالشدة والعنف بينما يمتاز فى المدينة باللين والوضوح والصفح .

٢ـ إن الأسلوب القرآني يمتاز فى مكة بتقطيع فى الآيات و قصر فى مقاطعها، و عدم التناسق فى انتظام نغمتها. و انبهار و تمتمة و انقطاع أنفاس ، و أحيانا عدم استكمال لجملها، بينما يمتاز القرآنى المدنى بكامل المقاطع وتناسق نغمتهاو و اختفاء اللهات، والانقطاع منها والسلاسة فى عرضها،و الوضوح فى موضوعها؛ لأنها قيلت بعد تفكير و ترد و مشاورة الرسول لأصحابه والمحيطين به.

الإصرار على أن الرسول لم يدع فى بداية بعثته إلى دين ثورى جديد و لم يدع منذ البداية إلى الوحدانية المطلقة، بل إنه تسامح مع آلهة العرب الآخرين، ولم يطالب بإلغاء الوثنية و تحطيم الأصنام.

٤ـ امتاز الأسلوب القرآني المكي بالشدة والقسوة والذم والقدح عاكساً بذلك كل مميزات الأوضاع المكية المنحطة بينما تغير هذا الأسلوب فى المدينة إلى اللين والرحمة والمودة، و مجادلة المعارضين بالتى هى أحسن و هو انعكاس للبيئة المثقفة المستنيرة للمدينة.

٥ـ إن قصر السور القرآنية و طولها طبقا للزمان والمكان الذى نزلت فيهما لهو أكبر دليل على تأثر القرآن بهاتين البيئتين، ويعد انعكاسا طبيعيا لهما وإذا كانت الآيات قصيرة بمكة فلأن معظم أهلها أجلاف، أميون ، جاهلون و إذا كانت الآيات طويلة و واضحة بالمدينة فإنها انعكاس لبيئة المدينة المثقفة والواعية المتأثرة باليهود الموجودين بها.

Dhaka University Institutional Repository

٦ـ إن خلو القرآن المكي من التشريع و الأحكام، و احتواء ه فى المدينة على تفاصيل العبادات والمعاملات يدل على بشرية القرآن و تأليفه من قبل محمد وأصحابه لمواجهة الوسط الذى يعيشون فيه.

٧ـ إن احتواء القرآن المكى على القسم بالظواهر المحسوسة فى مكة كالليل والضحى والأشجار والجبال والعديد من المخلوقات يدل على تأثر القرآن بالبيئة المكية و ان العرب كانوا يقسمون بهذا الأمور الحسية، أما خلو القرآن المدني من القسم بهذه الظواهر الطبيعية فلأنهم لايؤمنون بالمظاهر الحسية و ثقافتهم و مداركهم تدفعهم إلى التدبر فى الأمور العقلية والمعنوية .

٨ـ حفلت السور القرآنية المدنية بالمشاكل العائلية للرسول و انصب العديد منها على معالجتها و القرآن لو كان منزلا من الله لما اهتم بالقضايا العائلية التى تخص نبيه، طالما كانت لاصدى لها فى بيان مجتمعه و تنظيم أموره كما حفل العديد من ا لآيات الأخرى بتنظيم سلوك المسلمين تجاه النبى و تنظيم سلوكهم المشترك، وهذا الاهتمام أدى إلى قلب دور النبى من مبشر ومنذر إلى رئيس يدعو إلى عبادة شخصه و تقديسها، و استنبط المستشرقون وراء ذلك بشرية القرآن و عدم ألوهية مصدره.

٩ـ إن القرآن المكى حافل بالتهديد والوعيد والإنذار باقتراب يوم القيامة، و خلو الآيات من الأدلة والبراهين ، بخلاف القرآن المدنى من هذه النغمة، و جاء حافلا بتنظيم العبادات والمعاملات تنظيما دقيقا، كما جاء مدعما بالأدلة والبراهين والحجج القاطعة، و هذا دليل آخر على تأثر القرآن بالوسط الذى كان فيه محمد .(١)

و اختصرنا لك أهم شبهات المستشرقين التى صرحوا بها تجاه السور المكية والمدنية، و تجاه مصداقية الوحى القرآنى، فإن المنهج العلمى يقتضى منا الرد على هذا الشبهات والمطاعن بأسلوب علمي رصين بعيد عن القدح والشتم والتحامل كل ذلك على النحو التالي:

انظر: د. ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية . ص ٤٢٦ـ ٤٢٨ .

Dhaka University Institutional Repository

أولا: ــ إن الأسلوب القرآني المختلفة في مكة عنه في المدينة أمر طبعي لاغرابة فيه؛ لأن الخطاب الموجه لأهل مكة لايكون مطابقا للخطاب الموجه لأهل المدينة من حيث الأسلوب والموضوع. ففي مكة يوجه الخطاب إلى قوم رفضوا الدعوة الإسلامية، و عاندوا الأحكام الواردة فيها، و طعنوا في صحة الوحي الإلهي، و أنكروا نبوة الرسول، وعارضوا الوحدانية، **تمسكوا بآلهتهم** و أصنامهم و نمط حياتهم ، ثم بلغ بهم الأمر إلى اضطهاد الرسول و أتباعه و محاربتهم بالسيف والقلم، ومن الطبيعي أن يكون الخطاب الموجه لهم متسما بالقسوة والشدة والصرامة لمقارعة حججهم و إبطال معتقداتهم خلافا للخطاب الموجه لأهل المدينة الذين آووا ونصروا و اعتنقوا الدعوة الإسلامية ذادوا عنها بالسيف والقلم و يكون الخطاب الموجه لهم لينا لطيفاً سمحاً يتسق و طبيعة كل قوم وكل حادثة و كل ظرف؛ و لهذا السبب نلاحظ نزول الآيات التي تقرع المشركين بمكة تشتد في تسفية أحلامهم و تسلي الرسول والمؤمنين. و تعلمهم السماحة و الصفح الجميل .(١)

يضاف إلى ذلك أن القرآن المكي لم يتفرد وحده بالعنف والشدة لأن القرآن المدني يحتوي كذلك على هذه الخصائص في العديد من آياته كتلك من الآيات المكية تحتوي بدورها على خصائص اللين و الصفح والتسامح، وتنادي بمقابلة السيئة بالحسنة كقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا من دعا إلى الله وعمل صالحا و قال إنني من المسلمين، و لاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه و لي حميم...﴾ (٢)

ثانياً : إن ماذهب إليه المستشرقون إلى القول بامتياز السور المكية بالقصر و تقطع في الأنفاس بينما تمتاز السور المدنية بطولها و تناسب نغماتها.

---

(١) انظر : د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن. ص ١٨٤

(٢) [فصلت: ٣٢- ٣٤].

Dhaka University Institutional Repository

وهذه الشبهة لا أساس لها هي الأخرى سواء من حيث الواقع أومن حيث الأسلوب ، و بيان ذلك أن الأسلوب القرآني في مجمله جعلت له طابعاً معجزاً في لغته و بلاغته ، أفاض فيها علماء المسلمين و قتلوها بحثا و تحقيقاً. و استخلصوا له خصائص معينة انفرد بها عن بقية أساليب البشر الأخرى، فهو يمتاز في مكة أو في المدينة باتساقه و ائتلافه في حركاته و سكناته، بطريقة لايضارعه فيها أي كلام من منظوم أو منثور. وهذا المجال الصوتي، والنظام التوقيعي والنغمة المتسقة هو الذي لفت العرب إلى خاصة القرآن الذي لي يروا فيه شعرا أو نثرا ولم يكن لهم عهد به حتى و صفوه به بالسحر. ومن خاصية الأسلوب القرآني تأثرالعامة والخاصة به على حد سواء فيحسن الجميع بجلاله و يذوقون حلاوة بيانه و هذا أكبر دليل على ألوهيته، إذ لو كان مصدره بشريا لما تأثر بأسلوبه العامة و لاقتصر تذوقه على الخاصة.

ومن خصائص الأسلوب القرآني جودة سبكه و إحكام سرده وترابط بين أجزائه، وتماسك في كلماته و جمله و آياته و سوره خلافا لما ذهب إليه المستشرقون كما أوردنا شبهاتهم بالخصوص، ونحن نتحداهم أن يأتو بأمثلة حية و يبرهنون فيها على صحة ادعاءاتهم ، فليس هناك لهاث و تقطع في الأنفاس، و ليس هناك غموض و إبهام و ليس هناك نغم نشاز و ليس هناك جمل ليست كاملة. و لكنه يمتاز بالتناسق في اللفظ والمعنى، والتكامل في الجمل والمقاطع والترابط بين الأجزاء المختلفة والطول والقصر في المقاطع حسب الأحوال، بل إن سور المرحلة المكية الختامية امتازت بطولها، و طول آياتها شأنها في ذلك شأن سور المدنية.

ثالثا : أصر المستشرقون جميعا على أن الرسول لم يدع في بداية دعوته إلى دين ثورى جديد بل إنه هادن آلهة العرب الأخرى .... إن هذه الشبهة خطيرة جداً في محتواها و مضمونها، و نحن لم نطلع على الأدلة والبراهين التي استند إليها المستشرقون للبرهنة عليها. باستثناء ,,رود نسون ،، الذي حاول في كتابه (محمد) تأصيلها عند ما أورد قصة محاورة عتبة بن ربيعة للرسول و مساومته بالرئاسة أو المال أو الشرف لترك دعوته، و إيراده كذلك قصة الأيات الشيطانية المعروفة و حاول ,, رودنسون ،، من خلال هاتين القصتين البرهنة على أن الرسول لم يدع في بداية أمره إلى دين جديد بل إنه حافظ على مكانة آلهة قريش الأخرى.(١)

---

(١) Rodinson. Mohammad , op, cit, p. 134-135

Dhaka University Institutional Repository

ونحن لو نتفحص هاتين القصتين بعد رجوعنا إلى المصادر الإسلامية المعتمدة لوجدناهما تبرهنان على خلاف ما ذهب إليه ,,رودنسون،، و بيان ذلك طبعا لما رواه الطبرى فى تاريخه ,, وتفسيره ،، و ابن كثير فى بدايته و نهايته،، أن قريشا ساومت الرسول بالمال والجاه والرئاسة لترك دعوته و لكنهما نفيا أن يكون لعتبة بن ربيعة ضلع فيها و ملخص أقوالهما : أن لقى الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل ، الأسود بن مطلب، و أمية بن خلف رسول الله فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد و تعبد ما نعبد، و نشركك, فى أمرنا كله فإن كان الذى جئت به خيرا مما فى أيدينا كنا أشركناك فيه و أخذنا بحظنا منه، وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يدك كنت شركتنا فى أمرنا و أخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى : ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون.....﴾(١)

ذكر الطبرى فى تاريخه أن الرسول كان حريصا على إصلاح قومه محباً مقاربتهم بما و جد إليه السبيل، و قد ذكر أنه تمنى السبيل إلى مقاربتهم فتمنى فى نفسه آن يأتيه من الله ما يقارب بينه و بين قومه، وكأن يسره مع حبه لقومه و حرصه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم حتى حدث بذلك نفسه و تمناه وأحبته فأنزل الله عزوجل: ﴿ والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم و ماغوى، وماينطق عن الهوى﴾ فلما انتهى إلى قوله: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث **به نفسه، و** يتمنى أن يأتى به قومه ,, تلك الغرانيق الأولى و إن شفاعتهن لترجى ،، فلما سمعت بذلك قريش فرحوا سرهم و أعجبهم (٢)

استنبط ,, رودنسون،، من الحكايتين الأنفتين عدم دعوة النبى إلى الوحدانية فى بداية أمره و محاولته إيجاد تسوية مع قومه حينما تمنى أن يقاربه الله بهم و جعل لآلهتهم الشفاعة .، ولكن سياق الحديث يناقض هذا الاستنباط تمام المناقضة ، و آية ذلك أن الرهط من قريش الذين ساوموا الرسول على العبادة المشتركة لإلّه محمد و آلتهم قد ساء هم شتم محمد لآلهتهم، و ذكرها بالسوء، والإشارة على عدم قدرتها على فعل أى شيء ، و الإصرار على و حدانية الله، فتكون هذه الشبهة داحضة من أساسها. طالما كان سبب المساومةعداوة الرسول لآلهة قريش و تسفيهها بغية القضاء عليها. و هو هدف و ضعه نصب عينيه منذ الوهلة الأولى فلم يساوم و لم يهادن ولم يشرك مع الله إلها آخرمها كانت صفته منذ الوهلة الأولى من بدء دعوته و إلى النهاية..

---

(١) أ ـ الطبري : تاريخ الطبرى ، ج ٢، ص ١١٩١م. ب ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج /٣، ص ٩١.

(٢) الطبري : تاريخ الطبري، ج٢، ص ١١٩٢.

Dhaka University Institutional Repository

أما بالنسبة للقصة الثانية والتى يطلق عليها المستشرقون الآيات الشيطانية،، فإنه ليس من الغرابة أن يتمنى الرسول هداية قومه إلى سبيل الرشاد كما تمنى أن يأتيه من الله ما يقارب بينه و بينهم ، و قد حدث نفسه بذلك فلما نزلت سورة النجم ألقى الشيطان فى نفسه آية الغرانيق ، ولكن الرسول تنبه بذلك من الوهلة الأولى و حزن حزنا شديداً ، و خاف من الله خوفا كبيرا فأنزل الله من القرآن ما يعزيه ويطمئنه لقوله تعالى ؛ ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول و لانبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته، فينسخ الله مايلقى الشيطان ـثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ ثم يسترسل القرآن منددا و مشنعا بآلهة قريش عندما يقول ﴿أفرأيتم اللات والغزى، و مناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذا قسمة ضيزى إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم و أباؤكم مأنزل الله بهامن سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس و لقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ (١)

و هذه القضية الحقيقية تربنا منذ الوهلة الأولى تمسك النبى بوحدانية و إصراره عليها سائر مراحل الدعوة الإسلامية و عدم القبول بما ينافضها مهما كان الثمن، والتنديد بألهة المشركين و شتمها و إظهار ضعفهاو لاندرى كيف استنبط ,, رود نسون،، من هذه القضية عدم دعوة النبى إلى الوحدانية فى بداية أمره وقد جاراه فى هذا الادعاء بقية المستشرقين ممن عرضنا عليك قولهم أو الذين لم نشر إلى آرائهم بالخصوص.

ونحن نعتقد جازمين أن فكرة التوحيد هى التى سادت الدعوة الإسلامية منذ بدايتها، ولم يجعل الرسول مع الله آلهة أخرى منذ البداية ، ولم يشركها فى أمر من أمور العبادات أو المعاملات بل إن الآية الأولى التى أنزلت عليه باتفاق العلماء تشير إلى هذه الوحدانية المطلقة لقوله تعالى ﴿اقرأباسم ربك الذى خلق ... ﴾ (٢) و كما أورد فى آية المزمل وهى من أوائل السور المكية هذه الدعوة التوحيدية لقوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك و تبتل إليه تبتيلا، رب المشرق و المغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾(٣)

---

(١) النجم : ١٩-٢٣، (٢) العلق : ١-٤ (٣) المزمل : ٧-٨].

Dhaka University Institutional Repository

وهـذه كـلهـا تخرصات لا أساس لها من التاريخ أو من آيات القرآن التى أتت منذ البداية قاطعة لـلشك فى هذه الوحدانية التى هى عماد الدين الإسلامى و أساسه المتين و ركنه الحصين، والله الذى يقبل التوبة من عباده مهما ارتكبوا من آثام فإنه لا يغفر أن يشرك به مطلقا، و هذا أكبر دليل على تهافت هذه الشبهة و عدم استنادها إلى أسس واقعية و تاريخية سليمة.

رابـعـاً : أمـا بـالنسبة إلى الشبهة الرابعة والتى تتخلص فى اتصاف الأسلوب القرآنى المكى بالذم والـقـدح والشتم و اتصاف الأسلوب القرآنى المدنى باللين والرحمة والمودة، و هذا دليل على عكس الـقرآن لهاتين البيئتين المختلفتين فى الطبائع والعادات فإنها شبهة داحضة هى الأخرى، ولاتستند إلى أسس علمية صحيحة، و بيان ذلك خلو القرآن من السب والشتيمة الخارجة عن حدود الأدب واللياقة و قـدنهى القرآن صراحة عن اجتناب هذا اللون من السباب عند ما قال ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم....﴾(١)

ولـكـن الـقـرآن احتوى على قدح و ذم المشركين، والسخرية من أصنامهم و آلهتهم، و توبيخ تـصرفاتهم المشينة و إنذار و عيدلهم ولأمثالهم من المتكبرين كالوليد بن المغيرة و أبى لهب و زوجه ، ولـكن القرآن المدنى نفسه يحتوى على هذه الخصائص أيضا خاصة إذا تعلق الأمر بالمنافقين واليهود و مـقـارعتهـم بـالـحـجة والبـرهـان بل إن القرآن بأجمعه ملىء بالوعد والوعيد والتسامح والتشديد و الأخذ والرد والجذب والشد . (٢)

أمـا قـولهـم إن تـمـايـز هـذا الأسلوب فى المكانين يرجع إلى بيئة قريش المنحطة و بيئة المدنية الـمتـقـدمة، فهـو أيضا ادعاء لا دليل يسنده، لأن قريش كان لها مركز الرئاسة والزعامة بين العرب ، و امتـازت عـليهـم فـى الـقـضـايـا السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان أهلها و لغتها من المعروفين بين الـعرب بالفصاحة والبلاغة، كما أن قاطنى المدينة لم يكونوا بتلك الثقافة والتقدم التى يوصفون بها، و ليـس لهم امتياز فى السياسة أو الاقتصاد، وكان اليهود المقيمون هم المسيطرين على مقدراتها الثقافية والاقتـصـادية، ومـن ثـم ليـس هـنـاك بيئة مـنـحطة فى مكة، و أخرى متقدمة فى المدينة. ولكن قول الـمستشرقين من تأثر القرآن بالوسط الذى نزل فيه قصدوا من ورائه أنه كلام محمد لا كلام الله. وقد بـطـل هـذا الـزعـم فـى الـمبـحـث الـسـابـق فلا داعى لتكراره من جديد و يصدق هذا الرد على الشبهة الخامسة أيضا فلانكررها و لانشير إليها مرة ثانية.

---

(١)- [الأنعام : ١٥٨] . (٢) راجع: الزرقاني : مناهل العرفان ج/١، ص ٢٣٥.

Dhaka University Institutional Repository

خامسا: أما عن الشبهة السادسة القائلة بخلو القرآن المكى من التشريع و الأحكام و احتوائه فى المدينة على تفاصيل العبادات والمعاملات الأمر الذى يدل على وضعية القرآن و تأليفه من قبل محمد و أصحابه، و ذلك طبقا لتأثير البيئة التى و جد فيها. فإن الرد على هذا الشبهة يتلخص أولا فى الإقرار بأن تفاصيل التشريع والأحكام قد حفلت بها الأيات المدنية هذا نتيجة طبيعية لاستقرار الدعوة الإسلامية بالمدنية التى اهتمت بتنظيم المجتمع الجديد، والمتميز عن المجتمع القديم بما فيه من سياسة واقتصاد و تشريعات ، من المحتم فى هذا المرحلة أن تترسخ الحقائق الشرعية فى العبادات والمعاملات أن ترسم حدودا بين الحلال والحرام و أن تفصل الشريعات المتعلقة بالأحوال الشخصية والمدنية والقوانين الدولية و تنظيم العلاقات الدولية و بيان أحوال الحرب و السلم و تنظيم المسائل العسكرية،وما تتطلبه من تعبئة مادية و معنوية ولاسبيل إلى هذا التنظيم مالم تستقر الدولة الناشئة على أرض محدودة ومن هنا حفلت السور المدنية تنظيم المسائل الشرعية لأنها انعكاس جلى لدولة حديثة لها مقوماتها المتميزة فى جميع مجالات الحياة.

ونحن لاننكربأن تفاصيل العبادات والمعاملات قدوردت فى القرآن المدنى إلا أننا لا نغفل الإشارة إلى احتواء القرآن المكى على هذه التفصيلات وقدعرض لها بصورة اجمالية ؛ لأن مقاصد الدين الخمسة قد عرض لها القرآن فى هذه المرحلة و هى المتعلقة بالإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخر والقدر خيره و شره و حفظ النفس، و حفظ العقل، وحفظ النسل و حفظ المال، ونحن نعلم أن جميع التشريعات الإسلامية من أهم مقاصدها المحافظة على هذه المصالح الخمسة فقد شرع تحريم الخمر وما فى حكمة من العقاقير المخدرة لحفظ العقل، و حرم الزنا لحفظ النسل و حرمت السرقة لحفظ المال، و حرم القذف لصون الأعراض و حرم القتل صونا للبدن، و قد كان القرآن المكي صريحا فى رعاية هذه المصالح الخمسة لقوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحسانا، و لاتقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم و إياهم، ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها ومابطن، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلابالحق، ذلكم و صكم به لعلكم تعقلون﴾ (١)

---

(١) [الأنعام : ١٥١]

Dhaka University Institutional Repository

أما تفاصيل العقوبات عن هذه المحرمات فقد وردت فى السور المدنية وهو أمرطبعى كما أسلفنا نظراً لاستقرار المجتمع و حاجته إلى القواعد القانونية التى تنظم مسيرته الحضارية، و لايذهبن بك الظن إلى أن تلك التفاصيل كانت نتيجة اختلاط محمد بمثقفى المدينة، ولانتيجة اختلاطه باليهود الموجودين بالمدينة وهم أهل كتاب استقى منهم الرسول جميع تعاليمه التفصيلية المتعلقة بالعبادات والمعاملات بل إن العكس هو الصحيح إذ عارض النبى معتقدات اليهود و نقضها من أساسها، و اتهم كتابهم بالتحريف والتزوير و آتى بقواعد قانونية و تشريعية تخالف نصا وروحاً شريعتهم و عباداتهم التفصيلية (١)

سادسا : أما بالنسبة للشبهة السابعة والقائلة باحتواء السور المكية على القسم بالظواهر الكونية، و خلو القرآن المدنى منها لأكبر دليل على تأثر القرآن بالبيئتين ، لأن البيئة المكية تتأثر بالمحسوسات، أما البيئة المدنية فإنها أكثر ثقافة و استنارة و بذلك فإنها تتأثر بالعقليات والمعنويات.

وهذه الشبهة داحضة من أساسها ؛ لأن البيئة المكية ـ كما قلت ـ لم تكن بتلك القساوة أو التخلف التى يصفها بها المستشرقون ولاكانت البيئةالمدنية بتلك التقدم والحضارة التى يلصقها بها المستشرقون وإنما جاء القسم فى مكة مراعاة لحال المشركين، و نقضا لمعتقداتهم الضالة.

أما اختفاء ,, القسم،، فى السور المدنية ، فإن ذلك راجع إلى تقلص ظلال الشرك و تحكم العقل و المنطق فى الحياة أكثر من تحكم المحسوسات والماديات ، و أصبحت لغة الخطاب تعتمد على الإقناع الليين، والحوار السهل أكثرمن اعتمادها على تصوير لوحات القيامة واليوم الآخر بالقسوة والشدة، و أكثر من اعتمادها على القارعات اللفظية العنيفة، و اتجه القرآن إلى تنظيم الأمة الإسلامية فى مجالات حياتها المختلفة، واختفت بذلك تلك الصور القاتمة التى تعكس حال المشركين و عنادهم، وحل محلها سور زاهية واضحة، وحل الإيمان محل الشرك، والثقة محل الشك، و الهداية محل الضلالة، فتغيرت الصور القرآنية تبعا لذلك وهو أمر طبعي لا غرابة فيه.

---

(١) راجع : الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية. ص ٣٣٤ـ ٣٣٥.

Dhaka University Institutional Repository

سابعاً : ركزت الشبهة السابعة على احتواء القرآني المدني لمشاكل الرسول الشخصية والعائلية، وتنظيم سلوك المسلمين تجاه بعضهم بعضا و تجاه الرسول الأمر الذى رسخ عبادة شخصية الرسول و تقديسه، فيدل على بشرية القرآن؛ لأنه لو كان من الله لما اهتم بهذه الأمور الشخصية.

والرد على هذه الشبهة سهل ميسور ذلك أن القرآن عند ما ينظم أمور الرسول العائلية فذلك باعتباره أسوة و قدوة للمسلمين، حيث قال تعالى: ﴿ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة.....﴾(١) و كلما خاطب القرآن الرسول أو وجه إليه التعليمات و الأوامر والنواهى فإنما توجه فى حقيقة الأمر إلى المسلمين كافة.

وكلما كان الخطاب موجها إلى الرسول اتجه الخطاب إلى بقية الأمة الإسلامية و كلما عالج القرآن تشريعاً عائلياً كان التشريع يعالج قضايا الأمة بأكملها، و كلما جاء ت الآيات تحث نساء النبى على فعل شيء أو اجتنابه كانت هذه التعليمات موجهة إلى بقية نساء المسلمين و كلما كان القرآن يأمر النبى بالزواج من ـزوجة ابنه بالتبنى بعد أن طلقها ، كان ذلك تشريعا صريحا بإلغاء نظام التبنى الذى كان معروفا لدى العرب فى الجاهلية، ومن هنا نفهم أن اشتمال القرآن على هذا النوع من التشريع كان موجها للأمة بتمامها و كمالها.

و إذا كان القرآن قد نظم قواعد السلوك التى يجب على المسلمين مراعاتها تجاه الرسول و تجاه بعضهم بعضا، فإن الأمر لم يقصد به عبادة شخصية الرسول أو تقديسه؛ بأنه نفى عن نفسه هذه المظاهر الزائفة طوال حياته و حتى وفاته، ولكن قصد من ذلك ترسيخ قواعد السلوك يتعامل بموجبها الأفردا بعضهم مع بعض على أساس من الاحترام المتبادل والمحبة المخلصة. ومن هنا جاء ت تلك النصائح التى تحث على عدم الاغتياب والتجسس و عدم دخول بيوت الغير إلا بإذن أهلها، و غيرها من قواعد السلوك الحسنة التى هى من مظاهر المجتمع الحضارى السعيد. و لكن إذا كانت الآيات الحافلة بقضايا الرسول العائلية أريد بها سن تشريعات لأمته، فإن هناك بعض القضايا التشريعية لا تسرى على بقية الأمة كخصوصياته مثل جوازه التزويج بأكثر من أربع وتحريم نسائه من التزوج بعده باعتبارهن أمهات المؤمنين، و هذه الخصوصيات لا تشمل الأمة و تبقى مقصورة عليه وحده زيادة فى التقدير و الاحترام من جهة و مراعاة لمصلحة الأمة العليا من جهة أخرى.

---

(١)ـ الأحزاب : ٢١ .

Dhaka University Institutional Repository

ثـامـنـا : يهتـم الـمستشـرقـون : إن الـقـرآن المكى حافل بالتهديد والوعيد والإنذار باقتراب يوم الـقيـامة، و خـلـو آيـاته من الأدلة والبراهين بخلاف القرآن المدنى الذى جاء مدعما بالأدلة و البراهين القاطعة و هذا دليل على تأثر القرآن بالو ـسط الذى نزل فيه وبالتالى فهو دليل على بشريته

و هـذه الشبهة لاأسـاس لهـا من الصحة ؛ لأن القرآن المكى حافل بالأدلة والبراهين على عقيدة الإسـلام و ثبـوت وحـدانية الـلـه و ددعـوة قريش إلى التدبر والتفكر فى الظواهر الكونية والطبيعية التى تبـرهـن عـلـى وجـود الله و قدرته. و تقدم من خلال هذه الآيات الأدلة العقلية على البعث وا لجزاء، و يـجـادل الـمشركين فى آلهتهم و معتقداتهم الفاسدة، و ينقض حججهم و أدلتهم نقضاً منطقيا عقليا، وهـو عـنـدمـا يـنـذر باقتراب يوم القيامة فلأنه أراد أن يحثهم على الإيمان بالله والإقرار له بالو حدانية و تـجـنـب الأفعال الذميمة، و سلوك الطريق السوى للفوز بالفلاح فى ا لدينا والآخرة. أما الآيات المدنية فـإنهـا و إن كـانـت هى الأخرى مليئة و مدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة، إلا أنها تحتوى هى الأخرى عـلـى وصف يـوم الـحسـاب وعلى المصير السى ء الذى يواجهه المشركون، و المصير الحسن الذى سيـؤول إليـه المؤمنون الصادقون ومن هنا تنهار هذه الشبهة التى استندت إلى هذه الفرية الباطلة شكلاً و موضوعاً.

تـاسـعـاً: ركـز الـمستشرقون كثيراً على أن القرآن هو مرآةعاكسة للأوضا ع العربية وقت نزوله فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلى و قد وصفه ,, كارادیقوا،، بأنه مرآة للبيئة العربية بهجيرها ورمالها، و أنـه قـد استـوحـى البيئة، و عكس أوضاعها و تقاليدهاو لم يكن كتابا موحى به جاء ليغير من عادات الـعـرب الـفـاسـدة و عقائدها الباطلة، وهو يقول فى كتابه ,, مفكر والإسلام،،؛ ,, القرآن نص ساذج مبهـم فـى صـورة من صور البداوة ، والفقه تحليل عـلـمـى دقيق من آثار التفكير لمثقف ، والقرآن شبه مسودة بالية قاتمة فى الصحراء،، (١)

---

(١)ـ راجع: الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية . ص ٤٤٠.

Dhaka University Institutional Repository

ونحن لايهمنا فى هذا السياق إلا الرد على البيئة العربية و انعكاساتها فى السور القرآنية ونرى أن مثل هذه الشبهات لا تؤثر فى صدقية القرآن ولافى صحةمصدره، و آية ذلك آن القرآن نزل فى بيئة محددة لها خصائصها الجغرافية والبرية والجوية، و يخاطب أقواما لهم خصائصهم الثقافية والدينية والاجتماعية، وطبيعة الأمور تقضى أن يخاطب القرآن هؤلاء الأقوام طبقا لما تعارفوا عليه من سنن فى الكون والحياة، ولايمكن للقرآن أن يخاطبهم بأمورهم عنها غافلون، و لايأتيهم بقضايا فكرية و عقلية هم عنها جاهلون، ولو كان الأمر كذلك مافهمه العرب حق فهمه وما جادل فيه أقوام و ما كفر به قوم و آمن به آخرون، فالعرب فهمت القرآن فهما جيدا شكلا و مضموناً؛ لأنه فعلا كان عاكسا لحالهم و بيئتهم و قضاياهم و أفراحهم، ومن خلال فهمهم الجيد له جادلوا فيه فمنهم من لج فى الخصومة والجدال تعنتا و تكبرا ومن هم من آمن به اقناعا و تدبراً .

والقرآن يمثل البيئة العربية حق تمثيل، فيختار من الأمثلة الدالة على وحدانية الله ما يستطيع العرب إدراكه بسهولة فهو يدعوهم إلى النظر فى أمور الكون والحياة، و يدعوهم إلى التأمل فى كيفية خلق المحسوسات والمخلوقات باعتبارها عاكسة لقدرة الله، ويدعوهم إلى التمثل بقصص الأنبياء السابقين، وما لحق بأقوامهم من الكوارث، وهم يشاهدون آثار أولئك الأقوام عيانا عند سفرهم فى تجارتهم.

إن هذا التمثل الذى أظهره لنا القرآن للبيئة العربية ولا يقدح فى صحته ولافى قوته و لايشك فى ألوهية مصدره كما ذهب إلى ذلك معظم المستشرقين، ولكنه كان فعلا مرآة لهذه البيئة بما لها وما عليها. وقد حاول اصلاحها ، تمثل لهابالمحسوسات المحيطة بها و دعاها طبقا لعقليتها إلى التوحيد وإلى الإصلاح الدينى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى، وكانت النتيجة حاسمة وهى إخراج هؤلاء الأقوام إلى عالم الوجود حضارة سامية راقية أصلها القرآن، و أساسها تلك التعاليم التى بدأت من قبل شخص و حيد لم يدع لنفسه الألوهية أو الربوبية أو القداسة، ولكنه اصر إلى النهاية على أن مهمته لاتتعدى كونه بشيرا ونذيرا وهاديا إلى الله بإذنه وسراجامنيراً.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل السابع : المستشرقون والنسخ القرآني

اختلف العلماء فى تعريف النسخ اصطلاحاً ، ومنشؤه أن الجدل فى تعريفه يرتد إلى مابين تحديد الكلمة لغة وتحديدها اصطلاحا . اختلف العلماء أيضاً فى نسخ السنة للقرآن وإن اتفق معظمهم على نسخ القرآن للقرآن ، ونسخ القرآن للسنة ، ونسخ السنة للسنة ، واختلف العلماء كذلك فى النسخ ذاته فبعض منهم سواء أكانوا من القدماء مثل أبى مسلم الأصفهانى أم من المحدثين مثل عبد الله محمد الجبري قد أنكروا النسخ ذاته وقالوا : لا منسوح فى القرآن ، ولا نسخ فى السّنة .

وقفز المستشرقون على علم الناسخ والمنسوح ورأوه مجالاً خصباً للطعن فى صحة النص القرآنى ، ودلالة على تضاربه وحجة على بشريته طالما كان الرسول يستطيع أن ينسخ الأحكام التى لا يراها متفقة والمشاكل المطروحة المقررة سلفاً ، فيورد أحكاما جديدة تنسخ السابقة منها بعد تدبر وتشاور وتفكير إذلو كان القرآن من الله وهو العالم بكل شيء لما قررحكماً ثم نسخه واستبدله بحكم آخر مراعاة لتطور التشريع وهو يعلم الماضي والحاضر والمستقبل ، وكل الحوادث فى لوحه المحفوظ .

وقبل أن نورد شبهات المستشرقين حول النسخ القرآنى نستعرض وجهة النظرية الإسلامية حوله بإيجاز .

معنى النسخ لغةً :

النسخ يأتي بمعنى الإزالة ، ومنه قوله تعالى : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته " (١) ويأتى بمعنى التبديل ، كقوله تعالى : " وإذا بدلنا آية مكان آية " (٢) ويأتى بمعنى التحويل كتناسخ المواريث (٣) ويأتى أخيراً بمعنى النقل من موضع إلى موضع ، ومنه " نسخت الكتاب " إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه ، وقد أنكر بعض العلماء هذا الوجه الأخير محتجاً بأن الناسخ فيه لا يأتى بلفظ المنسوح وإنما يأتي بلفظ آخر .

---

(١)ـ [الحج : ٥٦] ومنه قولهم : نسخت الشمس الظلّ . (٢)ـ [النحل : ١٠١] (٣) لأن تناسخ المواريث هو تحويل الميراث من واحد إلى واحد . (٤)ـ د. صبحي الصالح : مباحث فى علوم القرآن ، ص ٢٦ .

Dhaka University Institutional Repository

معنى النسخ اصطلاحاً :

وعرّف الآمدى : بأنه عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعى سابق (١) ومن العلماء من عرّفه " بأنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً به مع تراخيه عنه " (٢)

وعرف البعض : هو رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه فى ذلك الحكم . ومعنى ذلك أن التعبير برفع الحكم يفيد أن النسخ لا يمكن أن يتحقق إلا متى يكون الدليل الشرعى متراخياً عن دليل ذلك الحكم الشرعى المرفوع ، وأن يكون بين هذين الدليلين تعارض حقيقى ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما أو إعمالهما معاً ، وأن هذا المفهوم يشمل النسخ الواقع فى الكتاب وفى السنة جميعاً ، وأخيراً فإن مفهوم النسخ هذا يرشد إلى أن الناسخ هو الله، وأن المنسوح هو الحكم المرتفع ، وأن المنسوح عنه هو المكلّف. (٣)

وكما اختلف العلماء فى تعريف النسخ فقد اختلفوا فى إمكانية نسخ السنة للقرآن مع جواز من يقول بنسخ القرآن للقرآن ، أو نسخ القرآن للسنة وبيان ذلك أن من يجوز النسخ ابتداءً فهو يوافق على نسخ القرآن بالقرآن وأنواعه ثلاثة : إما أن ينصبّ النسخ على الحكم والتلاوة جميعاً ، وإماّ أن ينصبّ النسخ على الحكم دون التلاوة وإماّ أن يتناول النسخ التلاوة دون الحكم .

أمّا نسخ القرآن بالسنة هو الآخر محل اختلاف ، فمن يجوزه فإنه يرى أن السنة هى وحى من الله كالقرآن ، ولا فارق بينهما إلاّ فى الألفاظ والترتيب ، أماّ المانعون له كا الشافعى وأهل الظاهر فإنهم يستندون إلى أن وظيفة السنة تنحصر فى بيان القرآن فإن نسخته لم تكن حينئذ بياناً له ، بل تكون رافعة إياّه ، ثم إن الآيات القرآنية تنص على أن تبديل القرآن لايتم من قبل الرسول تصديقاً للآية : ﴿ قل ما يكون لى أن أبدّله من تلقاء نفسى ... ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (٥) وغيرها من الآيات التى تدل على هذا المعنى .

---

(١) الآمدى : الإحكام فى أصول الأحكام (ج٣ ، دار الكتاب العلمية ، ١٩٨٣م) ص ١٥٥ .

(٢) الغزالى : المستصفى من علم الأصول (ج ١، ط ١ ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٢) ص ١٠٧ .

(٣) د . ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، ص ٤٤٦ .

(٤) يونس : ١٥ . (٥) البقرة : ١٠٢

Dhaka University Institutional Repository

ولعل أهم الآراء المانعة لنسخ السنة للقرآن ما ذهب إليه الإمام الشافعى من إنكاره نسخ القرآن بالسنة (١) . وقد ذهب الفقهاء مذاهب شتى فى تفسير رأى الشافعى بالخصوص ، ونفوا أن يكون قصده هو عدم نسخ القرآن بالسنة ، ولكنه رمى فى حقيقية الأمر إلى تعظيم الكتاب والسنة وتعاضدهما وتوافقها ، فما يختلفان فى شىء إلا مع أحدهما مثله ناسخاً له (٢)

وكما اختلف الأصوليون فى تعريف النسخ ومفهومه اختلفوا فى النسخ ذاته . فهذا أبو مسلم الأصفهانى ينفى وقوع النسخ فى الشريعة ونجد باحثاً حديثاً ينكر النسخ (٣) ولكن العلماء تصدوا لأبى مسلم الأصفهانى وأضرابه وفى معرض ردهم عليه فرقوا بين النسخ والتخصيص .

" وإذا كان ابومسلم الأصفهانى وأضرابه قد خلطوا النسخ بالتخصيص، وأساؤوا الأدب مع الله فى إيثارهم لفظ التخصيص الذى اخترعوه على لفظ النسخ الذى صرح به القرآن، فإن القائلين بالنسخ قدبالغوا فيه ، وسلكوا كثيراً من العموم المخصص فى عداد المنسوخ ، وأساؤوا الأدب مع الله أيضاً بفتحهم الباب على مصراعيه أمام الخالطين بين النسخ والبداء وبين النسخ والإنساء وبين نسخ الأحكام ونسخ الأخبار " (٤)

وجمهور العلماء ذهبوا إلى جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعا؛ لأن أفعال الله لا تعلّل بالأغراض ، فله أن يأمر بالشىء فى وقت وينسخه بالنهى عنه فى وقت ، وهو أعلم بمصالح العباد . ولأن نصوص الكتاب والسنة دالة على جواز النسخ ووقوعه . حيث قال تعالى : ﴿ وإذا بدلنا أية مكان آية ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها ﴾ (٦) وحكمة النسخ هى مراعاة مصالح العباد ، وتطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس . وابتلاء المكلّف واختباره بالامتثال وعدمه . وإرادة الخير للأمة والتيسير عليها ؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب ، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر (٧)

---

(١)ـ الشافعى: الرسالة (تحقيق : أحمد شاكر، د.ت) ص ١٣٧ .

(٢) ـ الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣)ـعبد المتعال محمد الجبرى : النسخ فى الشريعة الإسلامية كما أفهمه (دار الكتاب الظاهرية بد مشق، عام ١٩٩٤م)

(٤)ـ د. صبحي الصالح : مباحث فى علوم القرآن ، ص ٢٦٣) . (٥) [النحل : ١٠١] (٦) ـ [البقرة : ١٠٢]

(٧)ـ انظر: مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٧ .

Dhaka University Institutional Repository

ولكن الذى لاشك فيه أن الأصل فى آيات القرآن هى الإحكام لا النسخ إلاّ أن يقوم دليل صريح على النسخ فلا مضر من الأخذ به حتى حصر المسلمون آيات النسخ فى إحدى وعشرين آية على خلاف فى بعضها (١) وتتبع الدكتور" صبحى الصالح " الآيات الصالحة للنسخ فلم يجدها تزيد على عشر فقط (٢) وذهب إلى هذا الرأى الأستاذ "محمد حمزة " بعد حصر الآيات المنسوخة فوجدها تسعاً فقط . (٣)

وبعد أن ألقينا الضوء على النسخ القرآنى وحكمته فإننا نتتبع آراء المستشرقين وشبها تهم حوله ثم نحاول الرد على تلك الشبهات ونناقشها منا قشة علمية حسب المنهج الذى نسير فى هذا البحث .

تعرض " روبيربرونشفج" (R.Brunschving) فى دراسته الإسلامية إلى معضلة النسخ بصورة مقتضبة وذلك عندما عالج موضوع " المنطق والقانون فى الإسلام " فذكر أنه فى غياب قواعد القانون الطبيعى فى الشريعة الإسلامية وأخذا فى الحسبان إرادة الله التى تشرع لوحدها فإن جميع القوانين الموحاة منه إلى رسوله لا يمكن إخضاعها للعقل مثلما يمكن إخضاع القوانين الوضعية لهذ المعيار . إلاّ أن هذه الأحكام الموحاة يجب ألا تتناقض هى الأخرى والعقل ' وهو مذهب طبقه المسلمون منذ الفجر الأول للتشريع الإسلامى حتى لا توصف بالاضطراب والتناقض وهو ما أطلقوا عليه بحكمة التشريع أو مقاصده أو المصالح التى يرمى إلى تحقيقها.إلا أنه بالرغم من قدسية القواعد القانونية التى شرعها الله لعباده و التى لايمكن أحياناً إخضاعها للعقل أو إيجاد تعليل عقلى لها فإن بعض النصوص القرآنية تتسم أحياناً بألتناقض .

ومن هنا فإن الأمر يقتضى إيجاد معايير قانونية لإزالة هذا التناقص وفى هذا الخصوص أتى القرآن بمفهوم النسخ الذى يعنى رفع حكم شرعى بدليل شرعى متأخر عن دليل ذلك الحكم . وهذا المفهوم كان مثار خلاف عميق بين علماء المسلمين حول مبادئه وتطبيقاته والأسس التى يقوم عليها ' فإذا كان من الممكن نسخ أو تعديل القوانين الوضعية فإنه من الصعوبة بمكان ـ من الناحية العقدية ـ قبول ذلك فى القوانين الإلهية الصادرة عن الله المتصف بالعصمة والكمال والخلود . إن نظرة موضوعية وتاريخية لهذه

---

(١)ـ السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ' ج ٢ ' ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢)ـ د. صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن ' ص ٢٧٤ .

(٣)ـ محمد حمزة : دراسات الأحكام والنسخ فى القرآن الكريم(دار قتيبة ' ط ١ ' ص ١٨٧ــ ١٨٨ د.ت.) .

Dhaka University Institutional Repository

المعضلة تؤكدلنا مغالاة علماء المسلمين فى اللجوء إلى هذه الطريقة لإزالة التناقض بين الآيات القرآنية المتعارضة من جهة ولإيجاد التوافق بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتناقضة من جهة أخرى . (١)

وذهب " مونتجمرى وات " فى كتابه "محمد " إلى أن ثقة النبى بألوهية الوحى المنزل عليه لم يمنعه من تنظيم هذا الوحى وترتيبه زيادة أو نقصاناً . ونجد فى القرآن إشارة إلى أن الله قد أنسى نبيه بعض الآيات . وأن دراسة عميقة للنص لا تدع مجالا للشك فى الاعتقاد بأن هناك كلمات وجملاً ومقاطع أضيفت إلى القرآن . ومن الطبيعى أن هذه الزيادات ليست من صنع محمد . ومن المؤكد أن لديه طريقة معينة للإضفاء إلى الوحى الذى يكشف له ما يفكر فيه ' ولا يصحح النص إلا بعد تلقيه الوحى الذى يصوّ به . وقد اعترف المسلمون منذ البداية باشتمال القرآن على العديد من الآيات المنسوخة وإبطال أحكامها ' وقصّة الآيات الشيطانية تقدم لنا أكبر دليل على ذلك (٢)

واستشهد " رودنسون " فى كتابه "محمد " بأراء ريتشار دبل " الذى زعم فيها أن القرآن الموجود بين أيدينا تعرض إلى مراجعات عديدة والتى يتبين أنها خضعت لدراسة قامت على وثائق مكتوبة . وأن هذا العمل قد أنجز تحت رعاية محمد إن لم يكن قد قام به من تلقاء نفسه ' إن هذه المراجعات لم تكن خالية من الأخطاء والنتائج السيئة . فالله يعيد وحيه ويكمله ويعدله . وقد لاحظ المعارضون هذه الظاهرة ونددوا بها ' ولكن الله أجاب بأنه يملك الحرية المطلقة فى فعل مايشاء وتعديل رسالته كيفما ينبغى . ألم تكن حكمة الله اقتضت مراعاة الضعف الذى يعترى البشر فيخفف فى الواجبات الملقاة عليهم وذلك ينسخها وإحلال أحكام أخرى أخف منها لمصلحتهم . (٣)

ويذهب المستشرقون فى هذا الصدد إلى اعتناق نظرية المعتزلة القائلة بالقبح والحسن العقليين ' ويقولون : إن النسخ يستلزم اجتماع الضدين ' واجتماعهما محال ' لأن الأمر بالشيء يقتضى أنه حسن وطاعة ومحبب إلى الله ' والنهى عنه يقتضى أنه قبيح ومعصية ومكروه ' فلو أمر الله بالشيء ثم نهى عنه ثم أمر به لاجتمعت هذه الصفات المتضادة فى الفعل الواحد الذى تعلق به الأمر والنهى . (٤)

---

(١)ـ انظر : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية . ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩

(٢)ـ المرجع السابق ' ص ٤٤٩ . (٣)ـ المرجع السابق ـ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ . (٤)ـ المرجع السابق. ص ٤٥٠ .

Dhaka University Institutional Repository

ويرد الأستاذ " الزرقاني " فى مناهله على هذه الشبهة بأن الحسن والقبح وما اتصل بهما ليست من صفات الفعل الذاتية حتى تكون ثابتة فيها لاتتغير : بل هى تابعة لتعلق أمر الله ونهيه بالفعل . وعلى هذا يكون الفعل حسنا وطاعة ومحبوباً إلى الله ما دام مأمورا به من الله ثم يكون هذ الفعل نفسه قبيحاً ومعصية ومكروها له تعالى مادام منهياً عنه منه تعالى ' والقائلون بالقبح والحسن العقليين من المعتزلة يقرّون بأنها مختلفان باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال ومن هنا ينتفى اجتماع الضدين ؛ لان الوقت الذى يكون فيه الفعل حسنا غير الوقت الذى يكون فيه ذلك الفعل قبيحاً ' فلم يجتمع الحسن والقبح فى وقت واحد على فعل واحد (١)

أما الرد على الشبهة التى تتساء ل عن كيفية حصول النسخ فى الأحكام التى قررها الله ابتداء وهو يعلم طبائع العباد . فينسخ تلك الأحكام لمسايرة التطور والتدرج فى سن تلك الأحكام لتتفق وقدرة العباد على تطبيقها مع الإيمان مسبقا بإنه عنده علم كل شيء فى الأزل . فأن الأمر يقتضى بيان أن الله كما هو يعلم الغيب . وقرر كل شيء فى الأزل وحفظه فى لوحه المحفوظ ' فهو كذلك يعلم الناسخ والمنسوخ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده بل من قبل أن يخلق الخلق ـ إلاّ أنه علم أن الحكم الأول المنسوخ منوط بحكمة أو مصلحة تنتهى فى وقت معلوم وعلم بجانب هذا أن الناسخ يجئ فى هذا الميقات المعلوم منوطاً بحكمة ومصلحة أخرى . ولا ريب أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الناس ' وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم ' وأن الأحكام وحكمها والعباد ومصالحهم والنواسخ والمنسوخات كانت كلها معلومة لله من قبل ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه والجديد فى النسخ إنما هو إظهاره تعالى ما علم لعباده لا ظهور ذلك له (٢)

أما ما ذهب إليه المستشرقون من أن النسخ يدل على بشرية القرآن وهو دليل على قيام النبى بتعديل الأحكام الواردة فى النص القرآنى لتتماشى والظروف المستجدة التى يواجهها ' فإنه قول داحض من أساسه ويرجع تثبت المستشرقين بهذه الآراء لاستخدامهم المناهج العلمية التى لا تقرر فى النهاية الإيمان بالوحى فى الزمان

---

(١) الزرقاني : مناهل العرفان ' ج ٢ ' ص ٢٠١ .

(٢) انظر : المرجع السابق . ص ١٩٨ .

Dhaka University Institutional Repository

وتغيره طبقاً للأهلية والقدرة وتبعيته لمدى الرقى الفردى والاجتماعى فى التاريخ . والوحى ليس خارج الزمان ثابتاً لايتغير بل داخل الزمان يتطور بتطوره والنسخ فى حقيقة أمره يعنى إزالة حكم سابق بحكم لا حق نظراً لتغير الظروف ولا شتداد عصبة الأمة وتحقيق تربية الوحى للجنس البشرى . ذلك أن الشرع و القانون ليسا ثابتين بل إنهما يواكبان تطور المجتمعات وتغير الواقع . لأن الوقع يفرض نفسه على الفكر والمصلحة تفرض نفسها على القانون ' والتطور يفرض نفسه على الثبات ومن هنا خطل الرأى الذى يتصور الوحى الإلهى خارج الزمان والتشريع خارج تطور المجتمعات . (١)

إن حكمة النسخ تبقى الأساس المتين لمشروعيته وتأكيد حصوله ' هذه الحكمة التى تتجلى فى تحقيق مصالح الناس التى هى المقصود الأصلى فى تشريع الأحكام' لأن هذه المصالح قد تختلف باختلاف الأحوال والأزمان ' فإذا شرع حكم لتحقيق مصلحة ثم زالت تلك المصلحة كان المناسب لذلك أن ينتهى الحكم الذى شرع لأجلها. (٢) ومن حكمة النسخ أيضاً رعاية التدرج فى التشريع وعدم مفاجأة من تشرع لهم الأحكام بما يشق عليهم أو تنفر منه نفوسهم ' ومن ضرورة هذا التدرج ورود الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً وتعديلها بما يلائم أحوال من تشرع لهم حتى تتهيأ نفوسهم لقبولها والعمل على وفقها ' ولهذه الأسباب أصبح للنسخ مبررات لا يمكن تجاهلها أو النكوص عنها . فما من حكم شرعى إلا وهو قابل للنسخ . ومن هنا نفهم حكمة نسخ القرآن بالقرآن ونسخ القرآن بالسنّة والسنّة بالقرآن فكلاهما من الله ' ولكن الإجماع لاينسخ إذ لانسخ بعد وفاة الرسول وانقطاع الوحى . ويعرف تاريخ النسخ عندما يتناقض نصان فيكون المتأخر ناسخا للمتقدم وكما يعرف بعدة قرائن منها أن يكون فى اللفظ ما يدل عليه أو أن تجمع الأمة على الناسخ أو المنسوخ أو أن يذكر الراوى التاريخ .

---

(١) انظر د. حسن حنفي : دراسات إسلامية (دار التنوير العربى للطباعة و النشر' ط ١ ' ١٩٨٢م)ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٢) انظر : زكي الدين شعبان : أصول الفقه الإسلامى . ص ٢٩٥.

Dhaka University Institutional Repository

إن المنهج الذى يعرف به الناسخ والمنسوخ لا يشتبه فيه النسخ بالبداء ولا بالتخصيص ولا بالإنساء ولا ببيان المجمل ' وإنما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله أو عن صحابى يقول " آية كذا نسخت كذا " . وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر ولا يعتمد فى النسخ على عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بيّنة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر فى عهد الرسول ' والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد . (١)

وقد صرح المحققون من العلماء بأن كثيراً مماً ظنه المفسرون نسخاً ليس به وإنما هو نسيء وتأخير ' أو مجمل أخرّ بيانه لوقت الحاجة أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره أو مخصوص من عموم أو حكم عام لخاص ' أو لمد اخلة معنى فى معنى . وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا ذلك نسخا وليس به ' وإنما هو الكتاب المهيمن على غيره وهو نفسه متعاضد وقد تولى الله حفظه ' فقال : ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾(٢)

---

(١)ـ السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن . ج ص ٤٠ .

(٢)ـ انظر : الزركشي: البرهان فى علوم القرآن . ج ٢ ' ص ٤٤ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثامن : المستشرقون و فواتح السور القرآنية

من خصائص السور القرآنية حروف التهجي يفتتح الله بها مواضع من كتابه إن فى القرآن صيغا مختلفا من هذه الفواتح فمنها :

١ـ البسيط المؤلف من حرف واحد و ذلك فى وسور ثلاث: صاد و قاف و القلم (١) إذ تفتتح الأولى بحرف ص، والثانية بحرف ق ، والثالثه بحرف ن.

٢ـ ومن هذه الفواتح عشر مؤلفة من حرفين سبع منها متماثلة تسمّى،، الحواميم ،، لأن أوائل السّور المفتتحة بها هى ،، حٰم،، وذلك ابتداء من سورة ٤٠ حتى ٤٦ و(طه) فى السورة العشرين ، و(طس) فى السورة السابعة والعشرين (يس) فى السورة السادسة والثلاثين.

٣ـ أما الفواتح المؤلفة من ثلاثة أحرف فيجدها القارىء فى ثلاث عشرة سورة ست منهاعلى هذا التركيب (الٓم) هى السورة البقرة ، وآل عمران ، والعنكبوت والروم ، ولقمان ، والسجدة (٣) وخمس منها بلفظ (الٓر) فى مستهل كل من سور يونس، وهود ، ويوسف، وإبراهيم الحجر (٤) واثنتان منها تأليفهما هكذا (طسم) فى سورتى الشعراء والقصص.(٥)

٤ـ وهناك سورتان مفتتحان بأربعة أحرف إحداهما سورة الأعراف التى أولها (المٓصٓ)والأخرى سورة الرعد فى مستهلها(الٓمٓرٰ) .

٥ـ وسورة مريم أخيرًا السورة الوحيدة المفتتحة بخمسة حروف مقطعة (كٓهيعٓصٓ).

---

(١)ـ رقم السورة: ٣٨، ٥٠، ٦٨.

(٢)ـ سورة غافر، فصلت،الشورى،الزخرف،الدخان،الجاثية،الأحقاف(٣)رقم السورة: ٢، ٣، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢ (٤)ـرقم السورةـ ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥ . (٥)ـ رقم السورة: ٢٦، ٢٨.

Dhaka University Institutional Repository

ويتضح من هذا العرض المفصّل أن مجموعة الفواتح القرآنية تسع وعشرون،وأنها على ثلاثة عشر شكلًا(١)وقد اختلف العلماء فى بيان المراد وأغراض هذه الفواتح: فقال بعضهم: إن هذه الفواتح إنما ذكرت فى القرآن لتدل على أن هذا الكتاب الكريم مؤلف من حروف التهجى المعروفة فجاء بعضها مقطعا منفرداً، و جاء تمامها مؤلفاً مجتمعا، ليتبين للعرب أن القرآن نزل بالحروف التى يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله (٢) و إليه مال من المفسرين، الزمخشرى و البيضاوى كما انتصر لذلك ابن تيمية و تلميذه الحافظ المِزّى (٣).

و ذهب بعض العلماء إلى أنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله، وهى كما قال الشعبى : ,, سرهذا القرآن ،، (٤) و فى هذا المعنى قول على بن أبى طالب : ,, إن لكل كتاب صفوة ،و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى،، و قول أبى بكر الصديق : ,, فى كل كتاب سر و سره فى القرآن أوائل السور،، و نقل أهل الأثر عن ابن مسعودؓ والخلفاء الراشدين : ,, أن هذه الحروف علم مستور و سر محجوب استأثر الله به،، (٥) حتى الذين خاضوا فى معنى هذه الفواتح لم يدلوا فيها برأى قاطع، بل شرحوا وجهة نظرهم فيها مفوضين تأويلها الحقيقى إلى الله.

وقال الدكتور صبحى الصالح فى كتابه ,, مباحث فى علوم القرآن ،، بعد ذكر عدد من أراء العلماء والمستشرقين حو ل فواتح السور القرآنية : ,, ومن المؤكد أن مثل هذه التخرصات فى أوائل السور لاتتناهى و لاتقف عند حد، وماهى إلا تأويلات شخصية مردها هوى كل مفسر و ميله،، .(٦)

---

(١)- انظر: مباحث فى علوم القرآن، ص ٣٣٤-٣٣٥،

(٢)- الزمخشرى: الكشاف، ج ١ ، ص ١٦.

(٣)- انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٨.

(٤)- السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن، ج ٢،ص١٣ .

(٥)- انظر : السيد رشيد رضا: تفسير المنار، ج ٨، ص ٣٠٢.

(٦)- انظر مباحث فى علوم القرآن، ص ٢٤٠.

Dhaka University Institutional Repository

و يقول : و عندى أن ثمة قوما لا يقلون عن هؤلاء تعقلا و حكمة ، قوما أحبوا أن يدخلوا البيوت من أبوابها، و أن يكونوا أصرح رأيا و أوضح تفسيراً فى بيان الغرض من أوائل السور : و قدمت فكرتهم بأطوار ثلاثة حتى استحالت رأيا نضيجاً عميقاً.

لا حظوا أن بعض السور القرآنية تفتح بهذه الحروف كما تفتتح القصائد بلا، وبل ، و هذه الحروف مجرد فواتح و ضعها الله لقرآنه و له أن يضع ما يشاء، كما و ضع العرب فواتح لقصائدهم. و قد قال بهذا مجاهد من كبار التابعين. و انتقلت هذه الفكرة إلى مجال أوضح و أوسع حين أصبحت هذه الفواتح فى نظر بعضهم تنبيهات أو ادوات تنبيه، ,,لم تستعمل فيها الكلمات المشهورة كألا و أما الاستفتاحتين لأنها من الألفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم، والقرآن كلام لايشبه الكلام، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ فى قرع السمع، والخويبى الذى يقرر هذا المعنى يجعل التنبيه للنبى الذى يجوز,, أن يكون الله قد علم فى بعض الأوقات كونه ـ صلى الله عليه سلم ـ فى عالم البشر مشغولا، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله الم، و الر و حم ليسمع النبى صوت جبريل فيقبل عليه و يصغى إليه،،.

و لكن الإمام السيد رشد رضا ـ صاحب تفسير المنار المشهور ـ يستبعد جعل التنبيه للنبى ـ ، لأنه عليه السلام :,, كان يتنبه و تغلب الروحانية على طبعه الشريف، و مجرد نزول الروح الأمين عليه و دنوه منه، كما يعلم مماورد فى نزول الوحى من الأحاديث الصحيحة، و لايظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه. و يرى السيد رشيد رضا بعد ذلك : ,, أن التنبيه إنما كان أولاً و بالذات للمشركين فى مكة، ثم لأهل الكتاب فى المدينة،، و لم يكن يعلم بادئ الأمر أن له سلفا فى هذا التأويل، ثم وجده فى قول الثانى عشر من التفسير الكبير للإمام الرازى الذى ينقل عن ابن زيد، و قطرب أن الكفار لما قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون،، و تواصوا بالإعراض عنه أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم و نفعهم أن يورد عليهم مالا يعرفونه ليكون سببا لإسكاتهم و استماعهم لما يرد عليهم من القرآن فأنزل الله عليهم هذه الحروف فكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين :

Dhaka University Institutional Repository

اسمعوا إلى ما يجيء به محمد ، فإذا أصغوا (١) هجم عليهم القرآن، فكان ذلك سببا لاستماعهم و طريقا إلى انتفاعهم. و قد أشار إلى هذا المعنى إشارة عابرة الزركشي في علوم القرآن (٢) والسيوطي في الاتقان (٣) وكل من ابن جرير (٤) و ابن كثير (٥) في تفسيريهما.

هذه هي نظرية علماء الإسلام حول هذه الفواتح، و لكن المستشرقين ذهبوا مذاهب شتى في تفسير هذه الحروف، فهذا ,, شبرنجر،، فسر (طسم) بأنها الأحرف البارزة الغالبة في قوله تعالى: ﴿لايمسه إلا المطهرون﴾ فالطاء هي الحرف البارز في ,, المطهرون،، والسين والميم أقوى في ,, لايمسه،، و ذكر بلاشير،، أن المستشرق ,,لوت،، على حذره قد تابع ,,شبرنجر،، على رأيه العقيم . (٦)

و ذهب المستشرق ,,نولدكه،، في رأيه الأول الذي عدل عنه فيما بعد إلى أن الحروف الموجودة في أوائل السور دخيلة على نص القرآن. وهويري وقد تبعه ,, شفالي،، في ذلك إلى أن الأحرف مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة. فالسين من ,, سعد بن أبي وقاص،، والميم من,, المغيرة،، والنون من عثمان بن ,,عفان،، والهاء من ,,أبي هريرة،، و هكذا.(٧)

---

(١)- تفسير المنار، ج ٨ ، ص ٣٠٢.

(٢)- البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٧٥.

(٣)- الاتقان، ج٢، ص ١١٧.

(٤)- تفسيرالطبري ، ج ١، ص ٦٩،

(٥)- تفسير ابن كثير ، ج ١، ص ٣٧.

(٦)- Blacher. Introduction , o.p. CIT, P.148. Note - 200

(٧)- أ- مباحث في علوم القرآن، ص ٢٤٢.

ب - محمد غلاب: نظرات استشراقية في الإسلام(القاهرة، دار الكتاب العربي)ص ٤٢، د.ت.

Dhaka University Institutional Repository

ونفى ,,بلاشير،، و ,,لوت،، و ,,بوير،، هذاالاستنباط نفيا قاطعاً و رفضوا القول برضاء الصحابة بإدخال أسمائهم فى القرآن باعتبارهم عناصر قرآنية وهم ماهم عليه من التقوى والورع والصلاح، بل إن ,, بلاشير،، قد دحض هذه النظرية دحضاً كاملاً عند ما قال: ليس من المعقول أن يحتفظ أصحاب المصاحف المختلفة فى نسخهم ذاتها بالحروف الأولى من أسماء معاصريهم، إن علموا أنه لايقصد بها إلا ذاك. كما أننا لانجد مسوغاً لحرص ,,أبى،، أو ,,على،، أو ,, ابن مسعود،، على أن يحتفظوا فى مصاحفهم بالحروف الأولى من أسماء أشخاص كانوا ينافسونهم فى استنساخ القرآن و جمعه. (١)

من شبهات المستشرقين أيضاً: أن هذه الأحرف من وضع كتبة محمدمن اليهود تنبيهاً على انقطاع كلام و استئناف آخر. ومنها: قصد بها التعمية أو التهويل أو إظهار القرآن فى مظهر عميق مخيف، و منها تلعثم النبى فى بداية السور انتظارا لما تجود به قريحته من الأيات، و غيرها من الشبهات التى تنصب جميعها حول بشرية القرآن و نفى ألوهيته. (٢)

ونحن بينا لك رأى بعض المستشرقين الذين رفضوا تفسيرهذه الحروف باعتبارها أسماء الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة. ناهيك من أن ,,نولدكة،، قد رجع عن رأيه فى طبعة كتابه الثانية و الموسوم بتاريخ القرآن.

أما من ذهب إلى أن هذه الحروف من وضع كتبة محمد من اليهود للبرأة من الإيمان بما يأمرهم بكتابته فهو قول لا أساس له من الصحة، لأنه لميكن للرسول كتبة من اليهود أبداً. ولم يشتهر عنهم تاريخيا معارضتهم له على هذا الأساس. أما كتبة الوحى من اليهود مثل ,,أبى،، فقد أسلم و أصبح من المسلمين، و لم تكن هذه الحروف تمتمة الرسول و تلعثمه، و طلب قريحته إلى الإجادة والتفتق ، لأنه معروف تاريخياً بفصاحته و بلاغته و سلامة أسلوبه من جهة، و لأن القرآن كلام الله الموحى به إليه من جهة أخرى.

وبهذا الصدد ينتهى الأستاذ ,,بلاشير،، إلى ضرورة الرجوع إلى النظرية الإسلامية نفسها باستخراج مختلف الآراء و تمحيصها، و مقابلة بعضها ببعض. على أنه تعمد إغفال بعض الأقوال التى لا تزيد فى نظره على لغو و عبث، و أعلن بوضوح : ,,أن المسلمين الأتقياء الذين كانوا يرون من العبث كل محاولة لاختراق أسرار هذه الفواتح القرآنية، أثبتوا بما لايدع مجالا للشك أنهم وجدهم العقلاء الحكماء،،. (٣)

---

(١)-Blacher, Introduction, O.P. Cit P. 148

(٢)- الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية، ص ٤٣٨.

(٣) - د. صبحى الصالح: مباحث فى علوم القرآن، ص ٢٤٢.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل التاسع : المستشرقون ولغة القرآن الكريم

إن القرآن الكريم تفوق فى أسلوبه وقصصه وأدبه وبلاغته على كل أسلوب من أساليب العرب سواء أكان شعراً أم نثراً أم سجعاً أم غير ذلك ، بل إن النبى صلى الله عليه وسلم على الرغم من فصاحته وما أوتى من جوامع الكلم ، فإن أسلوبه فى سنته يختلف عن أسلوب القرآن الكريم الذى تفوق فى كل شىء .

وعلى الرغم من ذلك لم يشف غليل المستشرقين بالمطاعن والشبهات التى أوردوها حول مصدر القرآن وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه بل تعدى إلى لغة القرآن الكريم ، فإذا جاء مستشرق مثل "دوزى " [ت ١٨٨٣] وأطلق عبارات مريضة عن القرآن تقول : " بأنه كتاب ذوذوق رديء للغاية ولاجديد فيه إلا القليل ، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حدّ بعيد ..." (١)

إذا قال "دوزي " ذلك فلا يأخذنا العجب أن يصدر منه ومن أمثاله مثل هذا الهراء والكلام الصّبيانى ونحن نتساءل من أين له الأهلية لإصدار مثل هذا الحكم على القرآن الكريم ؟ إن العلم الذى يتحدث باسمه لايمكن أن يعطى له مثل هذا الحق على الإطلاق. وبالتالى فهى الأحقاد والنزعات والأهواء التى تدفعه إلى ذلك ومن هذا شأنه لا يمكن أن يصل إلى إدراك ما ينطوى عليه القرآن الكريم من إعجاز وفصاحة وبلاغة أجبرت المشركين على الاعتراف بها فراح مندوبهم الوليد بن المغيرة يردد بعد سماعه للقرآن . والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منّى أعرف رجزها وقصيدها، والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من ذلك ، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، ما يقول هذا بشر " (٢)

وشتان بين موقف " دوزى " وموقف " الوليد بن المغيرة " فالوليد قال ما قال عن تذوق سليم لبلاغة القرآن ، أما " دوزى " فمن أين له مثل هذا التذوق وهو مهما كانت براعته فى العربية ـ غريب عن هذه اللغة وأسرارها وأساليبها وأحبنى عن روحها وإن برع فى معرفة ألفاظها ؟ !

ولنذكر خبر عتبة بن أبى ربيعة ، فقد سمع القرآن وهو على الشرك ومن كبراء قريش ، فأدرك بذوقه البيانى مقام القرآن ، وقال مقالة الحق " والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ماهو بالشعر ولا بالكهانة " (٣)

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق : الإسلام فى الفكر الاستشراقي ، ص ١١٨ .

(٢) الإمام محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن (دار الفكر العربى، ١٩٩٧م) ص ٦١. (٣)ـ المرجع السابق ، ص ٢٦

Dhaka University Institutional Repository

فهذا " لبيدين ربيعة " من أعظم شعراء العرب كانت له معلقة على الكعبة لم يجرؤ أحد من الشعراء الآخرين على منا فستها إلى أن سمع القرآن حتى بهره الإعجاب بما سمع ، وأعلن اعتناقه الإسلام فى الحال وقال : إن كلاماً كهذا ليس من قول البشر إنما هو وحى إلهى وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقصّة إسلامه معروفة والسّر فيها أنه قرأ آيات من القرآن الكريم من صدر سورة طه فأسلم فى الحال وهو الذى كان قدعزم منذ قليل على أن يقتل محمداً صلى الله عليه وسلم لما أن عيّره أحد المشركين بإسلام أخته ـ فاطمة ـ وزوجها ـ سعيد ـ (١)

ومن شبهات المستشرقين قولهم : بأن لغة القرآن " لاتتميز عن لغة الأدب الدنيوى بعصمة يقينية . وهذا أمر يجده المرء فى عدم اتفاق أصحاب النبى فيما بينهم على تبعية بعض فقرات معينة للقرآن ، فابن مسعود مثلاً يرى أن سورة الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن على الرغم من أن هذه السّورة تعدّ من أشهر المشهورات " (٢)

ونقول بأن الرأى المنسوب إلى ابن مسعود باطل من أساسه . وقد رفض هذا القول علماء المسلمين رفضاً قاطعا . يقول الإمام فخر الدين الرازى : " نقل فى بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن ، وهو أمر فى غاية الصعوبة ، لأنا إن قلنا : إن النقل المتواتر كان حاصلاً فى عصر الصحابة يكون ذلك من القرآن ، فأنكاره يوجب الكفر و إن قلنا : لم يكن حاصلا فى ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر فى الأصل " ومن أجل ذلك يقول الفخر الرازى بأن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل " (٣)

و كذالك يقول القاضى أبوبكر : إنه لم يصح عن ابن مسعود أن هذه السور ليست من القرآن . أما الإمام النووى فيقول فى شرح المهذّب : " أجمع المسلمون على أن المعوذتين ، والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح " . ويقول ابن حزم فى كتاب القدح المعلى تتميم المحلى : "هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنما صحّ عنه أى عن ابن مسعود قراءة عاصم عن زرعان فيها المعوذتان والفاتحة " (٤)

---

(٢)ـ انظر: بلاغ الشرق،(العدد الثالث عشر ،أغسطس ٢٠٠١م)ص ١٣. (٣)ـ د. محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . ص ٩٢. (٣)ـ المرجع السابق: ص ٩٢.

(٤)ـ انظر : السيوطي : الاتقان فى علوم القرآن،(طبعة الحلبى ، ١٩٥١م ، ج١)ص ٧٩ وما بعدها.

Dhaka University Institutional Repository

" لو صحّ أن ابن مسعود كان قد أنكر السورتين على ما ادعو لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر . فقد تناظروا فى أقل من هذا ' وهذا أمر يوجب التكفير و التضليل ' فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه فى المصحف ' فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الضاذة فى الإجماع المقرر والاتفاق المعروف ؟ " (١)

وهكذا يتضح لنا أن هذا الرأى المزعوم لا يستحق الوقوف عنده أو الاهتمام به على النحو الذى يسلكه المستشرقون ' فلم يحدث فى تاريخ المسلمين أن كان لأمثال هذه الآراء الباطلة أىّ تأثير على الإطلاق فى توجيه معتقداتهم ' ولم يذكر لنا التاريخ أن هناك طائفة من المسلمين تبنت هذا الرأى الباطل المنسوب إلى ابن مسعود ' وعلى ذلك فلا يترتب عليه أدنى شك فى تميز لغة القرآن عن لغة الأدب الدنيوى المعهود . فلغة القرآن لها خصوصية التفرد . وقد عجزت فصاحة العرب و بلاغتهم ـ وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة ـ عن محاكاة لغة القرآن ' وقد تحداهم الوحى أن يأتوا ولو بسورة من مثله ' ولكنهم عجزوا عن قبول التحدى الذى لا يزال وسيظل قائماً إلى أن تقوم السّاعة. فلو كان القرآن غير خارج عن العادة لأتوا بمثله ' أو عرضوا من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه . فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا لخروج ذلك عن أوزان كلامهم ولأساليب نظمهم وزالت أطماعهم عنه . (٢)

ومن ادعاءات المستشرقين بأن القرآن الكريم فيه أخطاء أدبية أو لغوية ' أو فيه تناقضات أو تكرار أو عدم اتساق " تناسق " واتهموهبالحشو والتعقيد' و الخلط المربك المجد وعدم الاتقان !! (٣)

ومثل هذه الاتهمات لأجل جهلهم باللغة العربية وأساليبها وفقهها ' وقبل أن يتصدى للحكم على مواطن الجمال فيها لابد أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها ويمسّك بزمامها جيّداً . كما ذكر الباقلانى فى كتابه "إعجاز القرآن " أنه لا يمكن لأى كائن أن يقدر إعجاز القرآن حق قدره سوى أهل اللغة والبيان ذوى الخبرة بعلوم اللغة المختلفة " .

---

(١)ـ الباقلانى : إعجاز القرآن(طبعة ١٩٦٣م)ص ٢٩٢ .

(٢)ـ انظر : د. محمود حمدى زقزوق : الإسلام فى الفكر الغربي' ص ٥٣ ومابعدها .

(٣)ـ بلاغ الشرق(العدد الثالث عشر ' أغسطس ' ٢٠٠١م)ص ١٣ .

Dhaka University Institutional Repository

وأعود ألى الإعجاز اللغوى مرة أخرى فأقول إن كان هناك مستشرقون قدتمكروا لجمال لغة القرآن ، وأسلوبه وبلاغته وحسن بيانه وبديع نسقه وجميل فواصله ، فإن مستشرقين آخرين قد أنصفوا فى هذا الجانب فقال : "سيل " وقرر أنه من المعترف به أن لغة القرآن قد بلغت الغاية فى الروعة والنقاء وقد استند محمد إلى إعجاز الكتاب لإثبات حقيقة بعثته ، وأعلن تحديه لأعظم الرجال وأكثرهم فصاحة فقد كان الألاف من الطموحين فى ذلك الوقت يسعون إلى معارضة الأسلوب القرآنى ومغالبته لكن القرآن تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، كما قال أيضاً : ولا شك أن أسلوب القرآن مذهل فهو جميل مشرق وهو مفعم بذوق شرقى ، فضلا عن أنه ممتلىء بالتعبيرات الهاوية المنمقة التى تنطق بالحكمة كما أن المواضع التى تذكر عظيمة الله وصفاته هى الذرة فيما قدم الأسلوب القرآنى من فنون البيان . وكما قال " أر برى " لاشك فى أن الذخيرة الهائلة من الإيقاعات الشعرية الدقيقية قد توافرت فى القرآن بصورة كاملة كما برزت فيه الأصول المعجمة والمجازات والاستعارات بقوة وبصورة شائعة فى النص القرآنى فى نفس الوقت الذى كانت فيه دقة الآداء ومامن شك فى أن الأسلوب القرآنى قد أذهل العديد من الدارسين الآخرين. (١)

ولقد أبدى الفصحاء العرب عبر القرون إعجابا عظيماً بالقرآن بل وفتنوا بالتناغم الأدبى فى أسلوبه على العكس من كثير من المستشرقين . الذين عجزوا عن تخيل ذلك وإدراكه . وإن عظمة القرآن فى لغته وأسلوبه لا تضاهى ولاتبارى ، وهى معجزة يتحدى بها على مدى تاريخ الإنسانية .

فلغة القرآن لا تعكس نعومة أهل الحضر ، كما أنها لا تعكس الغلظة البدوية لأهل البادية ، ولكنها تمزج بالنسب المثالية ما بين حلاوة الصورة الأولى وقوة الصورة الثانية ، والجمع بين الواقعية والمثالية .

ـــ كلمات القرآن فى التعبير منتقاة بكل عناية فهى ليست بالدارجة البسيطة ولاهى بالنادرة المبهمة ، ولكنها جعلتنا نستشعر بغاية الإعجاب تعبير عن كل نبل وشرف وفضيلة.

إن إيجاز التعبير فى القرآن واضح وضوحاً كاملا لدرجة أن أقل متعلم للعربية يمكنه فهمه دون صعوبة ، وفى نفس الوقت فإن ما فيه من القوة والمرونة و الثراء العريض من الأفكار يجعله خادما لأصول النظريات والقوانين فى العلوم الإسلامية ، والكلامية ، والمدارس الفقهية لدرجة أنه قد يبدو مستحيلاً أن نعبّر عن الأفكار الموجودة بالنص ، وشرحها بتفسير واحد باللغة العربية ، فضلا عن أية لغة أخرى مهما بذل من عناية وتأفق. (٢)

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٤. (٢) انظر : مجلة بلاغ الشرق (العدد الرابع عشر ، أغسطس ، ٢٠٠٢م) ص ٩

Dhaka University Institutional Repository

فلا يعتبر شبهات المستشرقين بهذا الصدد فإنهم ليسوا عرباً حتى يحكموا على لغة القرآن وكيف يستطيعون أن يحكموا عليها مع أنهم غرباء عن أسرار اللغة العربية وأساليبها وبلاغتها ' وفى الأخير نقول لهم أليس من العيوب أن يردد المستشرقون المعاصرون بتلك الاتهامات القديمة التى رددت منذ أربعة عشر قرنا ' يعتبرونها إتهامات جديدة ومحدثة ' وأنهم أتوا بما لم يأت به الأوائل ؟!!

أليس من عظمة القرآن أنه أبطلها قبل أن يقولوها ' وحيث لم يأتوا بجد يدمن القول ' وإنما هى محاولة تنسيق الأفكار ا لقد يمة وصيا غتها بأسلوب حديث يرونه يتفق مع العقل أو أن العقل يمكن أن يتقبله ' أو لا يكاد ينكره .

وإن جميع هذه الاتهامات قد يمها وحديثها قد رد القرآن عليها بمثل هذا التعجيز الإلهى - والتحدى القرآنى ' قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ' ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (١) ويتنزل التحدى إلى حد عشر سور حيث قال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه ' قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٢) بل إلى حدّ سورة واحدة فيقول تعالى : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتو بسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين ' فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (٣)

فهذا تحدو تعجيز للفصحاء والبلغاء والأدباء فى كل جيل وقبيل وعصر ومصر أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله وبهذا الأسلوب القاطع " لن تفعلوا " وتبقى " ولن تفعلوا " على مدى التاريخ . فهل كان استطاعة البشرية أن تفعل ؟ وهل لو كان القرآن من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وهو بشر أن يتحدى سائر البشر بمثل هذا الأسلوب " ولن تفعلوا " ؟ وهل كان من الممكن أن يصل إلى يقينه إلى هذا الحد لو كان القرآن من عنده وهم بشر مثله ؟ !!

---

(١)- [الإسراء : ٨٨] . (٢)- [هود : ١٣] . (٣)- [البقرة : ٢٣ ــ ٢٤]

Dhaka University Institutional Repository

الفصل العاشر : المستشرقون وخطورة القرآن الكريم

القرآن العظيم هو كلام الله المعجز للخلق والجن جميعاً ، معجز فى أسلوبه ونظمه وفى روعته وبيانه وفى علومه وحكمه وفى تأثير هدايته وفى كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية ، ويشتمل القرآن على علوم ، ومعارف بهرت العقول ، وأخذت بالمشاعر والقلوب، فما من علم من العلوم الإلهية والإنسانية إلاوذكر فيه طرف منه، وأشير إلى دقيقة من دقائقه أو جلية من جلائله ، فسبق الزمان بإشاراته إلى شتى العلوم والمخترعات العصرية .

ويشتمل على التشريع الإلهي الكامل ، الذى يسمو فوق كل تشريع وضعى عرفه البشر فى القديم والحديث ، فالقرآن الكريم هو الذى وضح أصول العقائد وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع الاقتصادي ، والسياسي، والمدني والاجتماعي وهو الذى نظّم حياة الأسرة ، والمجتمع ـ ووضع أعدل المبادئ الإنسانية الكريمة التى ينادى بها دعاة الإصلاح فى القرن العشرين ألاوهى (المساواة الحرية العدالة) التى يسمونها " الديمقراطية " (الشورى) إلى غير هنالك من أسس الحضارة والتشريع ، ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة أو فيزيا ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد ، وكتاب تشريع وإصلاح ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة والحقائق الخفية إلى بعض المسائل الطبيعية ، والطبية ، والجغرافية مما يدل على إعجاز القرآن، وكونه وحيا من عند الله ، فمن المقطوع به أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وأنه نشأفى بيئة بعيدة عن مظاهر الحضارة ، حيث لم تكن علوم ولا معارف ، ولا مدارس تقرأ فيها العلوم الكونية ؛ لأن قومه وعشيرته كانوا أميين ومع ذلك فإن النظريات العلمية التى أشار إليها القرآن لم تكن معلومة فى عصره ، ولم يكتشف العلم أسرارها إلا منذ زمن قريب ، وذلك من أصدق البراهين على أن هذا القرآن ليس من تأليف محمد ـ كما يزعم بعض المستشرقين ـ إنما هو وحي من الله أنزله على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين . (١)

القرآن الكريم كتاب مقلق للغربيين . ومحير لهم ومبلبل لأفكارهم كما يقول " بلا شير " : " قلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتاباً بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر ممافعله القرآن " (٢)

---

(١) ـ انظر : محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن ، ص . ١٢٠ـ ١٢١ .

(٢) ـ بلاشير : القرآن ، ص ٤١ .

Dhaka University Institutional Repository

ولكن الأمر فى الواقع ليس مجرد قلق أو حيرة أوبلبلة فكرية ، وإنما الأمر أبعد من ذلك بكثير ، إنه الشعور بخطورة هذا الكتاب ، وقد كان للاستشراق دوره فى التخذير من خطورة القرآن على العالم الغربى فقد تكفل بالكشف عن أخطار القرآن طائفة من المستشرقين الذين أخضعوا بحوثهم العلمية للأهواء الشخصية أو الأهداف السياسية والدينية ، فأعماهم ذلك عن الحق وأضلهم عن سواء السبيل ،

وعند ما تدرس هذه الفئة القرآن الكريم دراسة واسعة و عميقة ، وتتأمل مبادئه الأساسية ، وتتبين مزاياه الفريدة وما فيه من دعوة إلى الترابط ، والاعتصام بحبل الله المتين ، والتعاون على البر والتقوى ، والتحذير من الشر أو الظلم ، والنهى عن السّخرية بغيرنا أو التجسس عليه ، والتحذير من الغيبة والنميمة ، والحض على الصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهد ، والحث على طلب العلم، والتخلص من الجهل ـ عند ما يتبينون ذلك كله يحاولون طمس هذه الحقائق ، وإبعاد المسلمين عنها . ويسارعون إلى أولى الأمر فى بلادهم من المستعمرين القدامى أو الجدد ، ويوحون إليهم بأن هذ القرآن كتاب خطير؛ لأنه اشتمل على مبادىء تقيم الدنيا وتقعدها ، وإذا تحقق فهمها وتطبيقها ساد أهله العالم كله ، وتحكموا فى مصيره.

وهذا يعنى أن المسلمين إذا عرفوا كتابهم حق المعرفة ، وطبقوه تطبيقاً تاماً ، فالويل كل الويل للاستعمار القديم والجديد . إذ أنه لن تقوم له قائمة بعد السّاعة التى تتم فيها هذه المعرفة ، ويتحقق فيها ذلك التطبيق ومن ثم يتبن ذلك المجهود الذى يبذله المستعمرون فى أن يبقى القرآن مجهولاً وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ (١)

ومن هنا نعرف سبب هلع الغرب ، وفزعه الذى لاحد له عندما يشعر بوجود تيار إسلامى فى أىّ مكان فى العالم الإسلامى ، أو ما يعرف الآن بالصحوة الإسلامية التى تعنى ـ لوأحسن ترشيدها ـ عودة إلى هذا القرآن الخطير ، الذى يزرع العزة فى قلوب أبنائه ، ويرفض أن يكونوا أذلا لأعدائهم ، وهذا يعنى أيضاً انطلاق المارد الإسلامى من سجنه ليثبت وجوده مرة أخرى، الأمر الذى يهدد أطماع ومصالح الغرب فى الشرق الإسلامى . (٢)

---

(١) انظر : د. محمد غلاب : نظرات استشراقية فى الإسلام . ص ٣٢ ـــ ٣٣ .

(٢) راجع : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . ص ٩٢

Dhaka University Institutional Repository

وتقوم وسائل الإعلام فى الشرق والغرب بتصوير الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى بالتطرف والتشدد والجمود والرجعية ' والتعصب ' والإرهاب' وكل ما فى القاموس من ألفاظ من هذا القبيل . ويعمل الغرب والشرق مجتمعين على ألاتقوم للإسلام قائمة مرة أخرى ' وهذا هدف لا خلاف عليه بين كلا المعسكرين ' ولكن المسلمين لايدركون هذه الحقيقة ولا يفكرون عنها بل هم فى سبات عميق وطويل .

وتتجه الجهود إلى تحويل أنظار المسلمين إلى أن طريق الخلاص هو فى اتباع سبيل الغرب العلمانى ؛ ولهذا تنطلق الدعوة من جانب بعض المستشرقين إلى إصلاح الإسلام . فالإسلام فى زعمهم دين جامد لم يعد مسايراً لروح العصر. ومن أجل ذلك فهو فى حاجة إلى إصلاح جذرى . وفى ذلك يقول "ك . كراج" (K.Crage) رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى : " إن على الإسلام إماّ أن يعتمد تغييراً جذرياً فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة ". (١)

وهذه دعوة يوجهها إلى المسلمين غريب عنهم بشأن ما ينبغى عليهم أن يفعلوه فى دينهم ' وهذا الإصلاح المزعوم يمثل محاولة تغير وجهة نظر المسلم عن الإسلام وجعل الإسلام أقرب إلى النصرانية بقدر الإمكان .

ولعله من ناقلة القول أن نشير هنا إلى أن الإسلام يشتمل على أصول لايملك أحد أن يغير فيها شيئاً ' وهى عقائد الإسلام الأساسية ' ويشتمل على فروع وهى قابلة للتغيير حسب المصلحة الإسلامية' وأن الإصلاح الذى نفهمه نحن المسلمين هو إصلاح للفكرالإسلامى الذى هو فى حاجة إلى المراجعة المستمرة حتى يتلاءم مع متطلبات العصر ' وحاجات الأمة فى إطار التعاليم الإسلامية ويعبر الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد الغزالى عن ذلك بأنه "مراجعة لارجوع " (٢)

---

(١)- د. البهي : الفكر الإسلامي الحديث . ص ٦١٢ .

(٢)- انظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . ص ٩٧ .

Dhaka University Institutional Repository

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم عليّ فكان هذا من نعمائه ، والصلاة والسّلام على النبي الكريم الذي بلّغ عن ربّ العالمين ، فأحسن البلاغ، وعلى آله وصحبه الأماجد الذين نقلوا لنا هذه الشريعة فصانوها من كيد الكائدين وتربص المتربصين وبعد :

فقد استعرضت في الباب الأوّل مفهوم الاستشراق والمستشرقين وكذلك نشأة الاستشراق وتاريخة ومراحله وبينتُ دوافع الاستشراق وأهدافه ووسائله وخدمات المستشرقين الإيجابية والسلبية وأوضحنا مناهج المستشرقين حول الدراسات العربية والإسلامية وكذلك قدمنا بعض الملاحظات حول الاستشراق ووصلنا من خلال الأهداف والمناهج بأن طائفة كبيرة من المستشرقين دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية ومصادرها، وتاريخها وحضارتها ، فدراساتهم للإسلام لاتخلو عن نوع من التدسيس والتحريف والافتراء والكذب إلى جانب ما يقومون به من التحقيقات العلمية والاكتشافات التاريخية.

ووجدنا المستشرقين بأنهم إذا درسوا قضية لاعلاقة لها بالإسلام والمسلمين نجدهم ذوي منهج علمي وذوي التزام بالموضوعية والحيدة في الإطار الذى تسمح به القدرة البشرية أما حين الاقتراب من الدائرة الإسلامية شريعة أو عقيدة أو مصدراً من مصادر الإسلام فإن مؤثرات مختلفة تتدافع لتنحرف بالمنهج الاستشراقي ، وتدفع به إلى دوائر اللاّمنهجية واللاموضوعية . وفي الباب الثاني تحدثت عن كتاب الله ، وتعريفه والفرق بينه وبين الأحاديث القدسية وعن فضائله وخصائصه، ووصلنا إلى نتيجة : بأن القرآن هو كتاب الله الأخير الذى أنزل على قلب رسول الله ليكون دستوراً للعالمين وأنه كتاب وحيد على وجه الأرض بقي إلى الآن ـ وسيبقى يوم القيامة ـ محفوظاً ومصوناً من كل تغيير أو تبديل أو تحريف . وأنه كتاب معجز لايستطيع أحد من الإنس أو الجن الإتيان بمثله أو تقليده.

وفي الباب الثالث ، استعرضنا آراء المستشرقين وشبهاتهم حول القرآن الكريم من حيث

Dhaka University Institutional Repository

مصدره وترجمته وجمعه وترتيبه ونزوله وقراء ته وناسخه و منسوخه ولغته وبلاغته وخطورته. ووصلنا من خلال استعراض آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ومن خلال تحليلها وتمحيصها والرد عليها إلى عدة نتائج علمية أهمها : أولاً ـ أنكر الزمستشرقون ألوهية النص القرآني جملة وتفصيلاً ، وأرجعوه إلى تاليف الرسول وبعض أصحابه ، ونعتوه بأنه كتاب استوحى البيئة العربية فجاء عاكساً لها بمالها من حسنات وسيئات. ووصفوه بأنه يمتاز بالخلط والتناقض والتعارض شكلاً وموضوعاً .

ثانياً : أكد المستشرقون بتأثر الرسول بالعوامل الداخلية والخارجية المحيطة بالدعوة الإسلامية ، والبيئة ، فجاء القرآن خليطاً من هذه العوامل المرتكزة على فقه الجاهلين وعاداتهم وتقاليدهم من جهة وعلى الكتب المقدسة القديمة وعلى عناصر يونانية وفارسية من جهة أخرى .

الثالث : حاولت بعد استعراض آراء المستشرقين حول القضايا التى أشرت إليها أن أحلل تلك الآراء وأن أخضعهاللمعيار التمحيص والتدقيق العلميين ووصلت بموجبها إلى عدة نتائج ألخصها على النحو التالي:

١ـ حاولت تفنيد شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الداخلية والخارجية وأثبتنا بالأدلة والحجج العلمية خطل هذا الرأى وعدم صدقيته ، وعدم تأثرالقرآن بالعناصرالداخلية والخارجية المزعومة واستناده إلى الوحي الإلهي دون سواه .

٢ـ درست بعمق وتحليل ظاهرة الوحي الإلهي ، وأثبت وجوده شرعاً وعقلاً، وأشرت إلى مراتبها وأنواعها ، وأبطلت الإدعاء ات االتى تصف الرسول بالمرض ، والهلوسة ، وكذلك أبطلت نظرية الخيال الخلاق واللاشعور ، ودللت بالحجة السائغة أن الصرع والأمراض النفسية تعطل الإدراك الإنسانى ، أما الوحي فهو سمو روحي اختص الله به نبيه الذى يعي وعياً كاملاً بما يوحي إليه.

٣ـ استعرضت آراء المستشرقين حول جمع القرآن وترتيبه وكتابته ودحضت تلك الآراء التى شككت فى صحة نصه وعدم تدوينه وأثبت بأن تدوين القرآن بدأ قبل هجرة الرسول إلى المدينة ، وأن المسلمين حافظوا عليه من الضياع بما حفظوه فى قلوبهم ومادونوه بأقلامهم ، وأوضحت جمع

Dhaka University Institutional Repository

القرآن فى عهد أبى بكر الصديق ثم إبان خلافة عثمان بن عفان ' واستشهدت بتلك المناهج العلمية الصارمة التى سلكها المسلمون فى ذلك الجمع دو التدوين خاصة منهج المطابقة والمقايلة وأشرت إلى ترتيب القرآن التوقيفي وعدم ترتيبه ترتيبا تايخبا أو موضوعياً.

٤ـ إن قيام المستشرقين بترجمة القرأن الكريم كان الغرض منه تحقيق أهداف دينية صرفة حتى يتمكنوا بعد الإطلاع عليه من معارضته ونقض أحكامه والنيل من إعجازه فجائت تلك الترجمات مبتسرة ومذيلة بتعليقات وانتقادات متميزة وبعيدة عن ترجمة نصّه الصحيح وركيكة غير دقيقة وأحيانا متنا قضة للأصل لعدم قدرة محاكاة الأسلوب القرآنى لبلاغته وإعجازه .

٥ـ وفصلت القول فى الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ' وأيدت وجهة النظر القائلة بإلغاء الأحرف الستة ' وإبقاء واحد منها فقط وهو الحرف الذى كتب به مصحف عثمان لجمع كلمة المسلمين والقضاء على تفرق الأمة حول قراءة القرآن بالأحرف الأخرى.

٦ـ تعرضت بتفضيل وإسهاب إلى الشبهات التى أوردها المستشرقون حول خصائص القرآن المكي والقرآن المدني' وأثبت أنه لاخلاف جوهريا بين النص المكي والنص المدني ' وأقررت بتنوع المواضيع المطروحة فى المكانيين ' وهى نتيجة طبيعية. أملتها الظروف المختلفة التى مرت بها الدعوة الإسلامية زماناً ومكانا وموضوعاً.

٧ـ عالجت قضية النسخ القرآني وآراء المستشرقين حولها وأبطلت شبهاتهم من خلال بيان أهمية النسخ وحكمة إقراره التى تتجلى فى تحقيق مصالح الناس أولاً' والتدرج فى التشريع لتتقبله النفوس بالرضا ثانيا' ولإزالة التعارض بين الأدلة الشرعية ثالثا .

٨ـ وفصلت القول فى فواتح السور القرآنية وبينت حكمة وجودها ' وأنها أدوات تنبيه للمشركين فى مكة ثم لأهل الكتاب فى المدينة ودحضت شبهات المستشرقين ' واستدلت بقول المستشرقين أنفسهم الذين يرون ضرورة الرجوع إلى النظرية الإسلامية حول هذه الفواتح القرآنية.

٩ـ أوضحت القول حول لغة القرآن وأدبيته الرفيعة وأبطلت آراء المستشرقين الذين يرون القرآن بأن

Dhaka University Institutional Repository

لغته رديئة للغاية ولاجديد فيه . بل لغة القرآن لها خصوصية التفرد وقد عجزت فصاحة العرب وبلاغتهم ـ وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة ـ عن محاكاة لغةالقرآن ' وقد تحداهم الوحي أن يأتوا ولو بسورة من مثله' ولكنهم عجزوا عن قبول التحدي الذى لا يزال و سيظل قائماً إلى أن تقوم السّاعة .

١٠ـ عالجت بإيجاز قضية خطورة القرآن الكريم لدى المستشرقين وقد كان للاستشراق دوره فى التحذير من خطورة القرآن على العالم الغربي ؛ لأن القرآن يشتمل على التشريع الإلهي الكامل الذى يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر فى القديم والحديث؛ ولأنه يحتوي على مبادئ تقيم الدنيا وتقعدها' وإذا تحقق فهمها وتطبيقها ساد أهله العالم كله وتحكموا فى مصيره. وهذا يعنى أن المسلمين إذا عرفوا كتابهم حق المعرفة وطبقوه تطبيقا تاما فالويل كل الويل للاستعمار القديم والجديد إذ أنه لن تقوم له قائمة بعد السّاعة التى تتم فيها هذه المعرفة ومن ثم يبذل المستشرقون المستعمرون كل جهودهم وطاقاتهم لتبقى تعاليم القرآن مجهولاً وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ. وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

Dhaka University Institutional Repository

ثبت المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

ـ الآمدي، أبوالحسن على بن : الإحكام فى أصول الأحكام . ٤ أجزاء بيروت ، دار الكتاب العلمية ، ١٩٨٣م.

ـ أبو زهرة ، الإمام محمد : المعجزة الكبرى ـ القرآن ـ القاهرة، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ١٩٧٠م .

ـ أبو خليل ، شوقى : أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين . طرابلس ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ط١ ١٩٩١م .

ـ ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمٰن بن محمد : المقدمة . بيروت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ١٩٧١ .

ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو : تفسير القرآن العظيم . ٧أجزاء ، دار الأندلس ، ط٢، ١٩٨٠م.

ـ إدريس ، د. جعفر شيخ : (مقال بعنوان منهج مونتجمرى وات فى دراسة نبوة محمد) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية. تونس ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ط١، ١٩٨٥م.

ـ ابن خلّكان ، أحمد بن محمد بن أبى بكر : وفيات الأعيان . ٦أجزاء تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ت.

ـ ابن كثير ، الحافظ إسماعيل بن عمرو : البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة ، مطبعة الفجالة ، ١٩٣٩م.

ـ ابن منظور ، محمدبن مكرّم : لسان العرب . ٢٠ مجلداً المطبعة الأميرية ، ببولاق، مصر، ١٣٠٧هـ

ـ أربرى: المستشرقون البريطانيون . ترجمة د.محمد التوبهى ، لندن ١٩٤٦م.

ـ بدوى ، د. عبد الرحمٰن : موسوعة المستشرقين . بيروت، دار العلم للملايين ، ط١، ١٩٤٨م.

ـ البعلبكى ، منير : قاموس المورد. بيروت، دارالعلم للملايين ، ط١٣، ١٩٧٩م .

ـ البهي د. الفكر الإسلامي الحديث . بيروت ، دار الفكر :ط٦، ١٩٧٣م .

ـ لبنداق، د. محمد صالح : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم . بيروت ، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٨٠م.

ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية (تر : نبيه فارس البعلبكى) بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٢، ١٩٧٤م.

ـ البلاذرى ، أحمد بن يحى بن جابر : فتوح البلدان . (تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ، ١٩٥٦م .

Dhaka University Institutional Repository

ـ الباقلاني، القاضى أبوبكر محمد بن الطيب : إعجاز القرآن، القاهرة، طبعة دار المعارف . د.ت.

ـ بلاشير، ريجى : القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره. ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٧٤م.

ـ البغدادي، أبو بكر أحمدبن على الخطيب : تاريخ بغداد . ١٤ جزءاً القاهرة، طبعة الخانجي، ١٩٣١م .

ـ البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخارى. ديوبند، مطبعة أصح المطابع، ١٤١٥هـ

ـ بوكاى، د.موريس : القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم . طرابلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، د.ت.

ـ النبداق، د. محمد صالح : هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن. بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٨١ .

ـ الترمذى، أبوعيسى محمد بن سورة سنن الترمذى (الجامع الصحيح). ديوبند، الهند، الناشر مختار وشركته، د.ت.

ـ جولد زيهر : أـ مذاهب التفسير الإسلامى . (ترجمة د.عبد الحليم النجار) القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ.

ب ـ العقيدة والشريعة فى الإسلام . (ترجمة يوسف موسى وآخرين) بيروت، دار الرائد العربى، ١٩٤٦م.

ـ جحا، د. ميثال : الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا. بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٢م.

ـ الجبرى، عبد المتعال محمد : النسخ فى الشريعة الإسلامية كما أفهمه . دمشق، دار الكتاب الظاهرية، ١٩٩٤م.

ـ الحنبلى، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : طبعة حسام الدين القدسى، ١٣٥٠هـ.

ـ الحاج، د. ساسي سالم : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ٤ أجزاء، مالطا، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامى، ط١، ١٩٩١م.

ـ حمد ان، نذير : الفز والفكرى . الطائف، مكتبة الصديق . د.ت.

ـ حميد الله، محمد : فهم القرآن لمن لاينطق بلغة الضاد. طربلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، د.ت.

ـ حنفى، د.حسن : دراسات إسلامية . بيروت ملتزم الطبع والنشر دار التنوير العربى، ط١، ١٩٨٢م.

ـ حسين، د.طه : فى الأدب الجاهلي . بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٧٨م.

ـ حسين، محمد محمد : الإسلام والحضارة الغربية . بيروت، دار الإرشاد، ط١، ١٩٦٩م.

ـ حمزة، محمد : دراسات الأحكام والنسخ فى القرآن الكريم . دار قتيبة، ط١، د.ت.

Dhaka University Institutional Repository

ـ الخربوطلي ، د. علي : المستشرقون والتاريخ الإسلامي . القاهرة ، سلسلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ العدد : ١١١ ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧٠م.

ـ الدسوقى ، د.محمد: فى تاريخ القرآن وعلومه . طرابلس ، المنشأة العامةللنشر و التوزيع ، ط١ ، ١٩٨٣م.

ـ دراز، د. محمد عبد الله : أ ـ المدخل إلى القرآن الكريم . الكويت ، دار القلم، ١٩٨٥م.

ب ـ النبأ العظيم نظرات جديدة فى القرآن ـ القاهرة ، لامط . ١٩٥٧م.

ـ الدارمى ، أبو محمد عبد الله بن : سنن الدارمى . دمشق ، مطبعة الاعتدال ، ١٣٤٩هـ

ـ رضا، محمد رشيد : تفسير المنار القاهرة ، ط٣، ١٩٣٥ .

ـ الرومى ، فهد بن عبد الرحمٰن : خصائص القرآن . مكتبة التوبة ، ط١، ٢٠٠٠م.

ـ رودي بارت : الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعة الألمانية (ترجمة مصطفى ماهر) القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م .

ـ رضا ، محمد رشيد : الوحي المحمدي . القاهرة ، ط٣، مطبعة المنار، ١٩٣٥م.

ـ الزيادى ، د.محمد فتح الله : أ ـ الاستشراق أهدافه ووسائله . طرابلس، ط١، ١٩٩٨م.

ـب ـ انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه . دار قتيبة ، ط٢، ١٩٩٠م.

ـ الزركلي ، خير الدين : الأعلام . ١١ مجلداً ، بيروت ، ط٣، ١٩٦٩ .

ـ زقزوق ، د. محمود حمدى : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . قطر ، سلسلة كتاب الأمة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ.

ـ الزركشي ، بدرالدين : البرهان فى علوم القرآن . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٩٥٧م .

ـ الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر : الكشاف . القاهرة ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٦٦م.

ـ الزرقاني ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان فى علوم القرآن . مجلدان القاهرة ، دار إحياء التراث العربي ، طبعة عيسى البابى الحلبى ـ ط٣ ، ١٩٤٣م.

ـ السباعي، د. مصطفى : الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم. القاهرة ، دار السلام ، ط١ ، د.ت.

ـ سعيد إدوارد : الاستشراق (ترجمة كمال أبو ديب). بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٤ .

ـ السيوطي ، جلال الدين : الاتقان فى علوم القرآن القاهرة، مطبعة الحجازى ط٣، ١٩٤١م.

Dhaka University Institutional Repository

ـ سما يلوفتش ـ أحمد : فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر. مصر، دارالمعارف . د.ت.

ـ شعبان ، زكى الدين : أصول الفقه الإسلامى . مطبعة دار التاليف ، ١٩٦٥م.

ـ شكعة ، د. مصطفى : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية . مكتب التربية لدول الخليج ، ط١، ١٩٨٥م.

ـ شلبي ، د. عبد الجليل : الإسلام والمستشرقون . القاهرة، ١٩٧٧م.

ـ الشافعي ، الإمام محمد بن إدريس : الرسالة (تحقيق أحمد محمد شاكر) القاهرة ، مكتبة المصطفى البابى الحلبي ، ١٩٤٠م .

ـ صبرة ، د. عفاف : المستشرقون ومشكلات الحضارة . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م.

ـ الصابونى ، محمد على : التبيان فى علوم القرآن . دمشق ، مكتبة الغزالي ، ط٢ ، ١٩٨١م.

ـ الصّالح ، د. صبحى : مباحث فى علوم القرآن . بيروت ، دار العلم للملايين، ط١٧، ١٩٨٨م.

ـ الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل القرآن) القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ط٢، ١٩٤٥م .

ـ الطبرسي : مجمع البيان فى تفسير القرآن . بيروت ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. د.ت.

ـ الطيباوي ، عبد اللطيف : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية . دراسة نقدية (ترجمة وتقديم قاسم ـ السامرائى) الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١، ١٩٩١م.

ـ طبارة، عفيف عبد الفتاح : روح الدين الإسلامى . بيروت ، دار العلم للملايين ط٢٧، ١٩٨٨م.

ـ على ،د.جواد : المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام . بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١، ١٩٧٠م .

ـ على ، محمد كرد: الإسلام والحضارة العربية . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٣ د.ت.

ـ عبد العال ، د. إسماعيل سالم : المستشرقون و القرآن . سلسلة دعوة الحق ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامى ، ط١، ١٩٩٠م.

ـ العقيقي ، نجيب : المستشرقون . القاهرة ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٨١م.

ـ الغزالى ، المستصفى من علم الأصول . بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٣٢٢هـ .

ـ غلاب ، محمد : نظرات استشراقية فى الإسلام ، القاهرة، دار الكتاب العربى، د.ت.

Dhaka University Institutional Repository

ـ القفطي ، جمال الدين : إنباه الرواة على أنباه النحاة . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥م.

ـ القطان ، مناع : مباحث فى علوم القرآن. الرياض ، مكتبة المعارف ، ط٢ ، ١٩٩٦م.

ـ القرطبي ، أبو عبد الله محمد : الجامع لأحكام القرآن . القاهرة، دار الكتب المصرية . ١٣٨٠هـ .

ـ لوبون ، غوستاف : حضارة العرب . (ترجمة زعيتر) بيروت ، ١٣٩٩هـ .

ـ مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى : صحيح مسلم. ديوبند ، الناشر مختار وشركته ، د.ت.

ـ المنجد ، صلاح الدين : المستشرقون الألمان . بيروت ، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.

ـ مجموعة باحثين : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (تاليف مجموعة من المستشرقين) هولندا ، ليدن ، ١٩٦٥م.

ـ مجموعة باحثين : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة . الرياض ، الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، ط٢، ١٩٨٩م.

ـ الميداني ، عبد الرحمٰن : أجنحة المكر الثلاثة . دمشق ، دارالقلم ، ١٩٧٥م.

ـ مجموعة باحثين : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية . تونس مكتب التربية لدول الخليج ، ط١، ١٩٨٥م.

ـ الندوي ، أبو الحسن على : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين . بيروت ، مؤسسة الرسالة . د.ت.

ـ المدخل إلى الدراسات القرآنية . لكناؤ الهند ، المجمع الإسلامى العلمى ط٢، ١٩٩٤م.

ـ نبي، مالك بن : أ ـ إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى . دار الإرشاد ، ١٩٦٩م.

ب ـ مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى . القاهرة ، ١٩٧١م.

ـ النعيم ، عبد الله محمد الأمين : الاستشراق فى السيرة النبوية . لامط . لا . ت.

ـ نقرة ، د. التهامي : القرآن والمستشرقون بحث فى مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية . تونس ، مكتب التربية لدول الخليج ط١، ١٩٨٥م.

ـ النويرى ، شهاب الدين أحمد : نهاية الأرب فى أخبار من ذهب . ١٥ جزءاً ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، د.ت.

ـ النملة على بن إبراهيم : المستشرقون والتنصير . مكتبة التوبة ، ط١، ١٩٩٨م .

ـ ها ملتون جب : دراسات فى حضارة الإسلام . بيروت ، دار العلم للملايين ط٢، ١٩٧٤م.

Dhaka University Institutional Repository

ـ هيكل ، محمد حسين : حياة محمد . القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ط٩ ، ١٩٥٦٥م.

ـ الهواري ، د.الطيب حسين : المستشرقون والإسلام . ط ١٩٣٤م لا.مط،

ـ يعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، جزءان ، طبعة النجف.د.ت.

ثانياً ـ المجلات والصحف :

ـ مجلة لواء الإسلام ، العدد السادس ، السنة الرابعة ، نوفمبر ، ١٩٥٠م.

ـ مجلة الفكر العربى ، العدد ٣١ ، ١٩٨٣م.

ـ صحيفة الأهرام ، القاهرة ، المورخة : ١٢/٢٩/ ١٩٦٩م.

ـ البعث الإسلامي . العدد الممتاز عن الإسلام والمستشرقين . رمضان وشوال ، ١٤٠٢هـ .

ـ بلاغ الشرق . العدد الثالث عشر ، أغسطس ، ٢٠٠١م.

ـ بلاغ الشرق ، العدد الرابع عشر ، أغسطس ، ٢٠٠٢م.

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1. Bell- R. introduction to the Quran. edinburgh. 1954.

2. Blachere R. Introduction to the Quran. paris ,1952·

3. Hamidullah (M) Translation of the Quran in every Language ,1983 .

Dhaka University Institutional Repository

"موقف المستشرقين من القرآن الكريم ومناقشة آرائهم"

"মাওক্বেফু আল-মুসতাশরেক্বীন মিন আল-কুরআন আল-কারীম ওয়ামুনাক্বশাতু আরাইহীম"

(পবিত্র কুরআন এর প্রতি প্রাচ্যবিদদের দৃষ্টি ভংঙ্গী ও তাদের মতামত পর্যালোচনা)

[ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়ের আরবী বিভাগে এম. ফিল. ডিগ্রী লাভের জন্য উপস্থাপিত অভিসন্দর্ভ]

কলা অনুষদ
ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়

গবেষণা তত্ত্বাবধায়ক
আ. ন. ম. আব্দুল মান্নান খান
অধ্যাপক ও প্রাক্তন চেয়ারম্যান
আরবী বিভাগ
ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়।

গবেষক
মোহাম্মদ রশীদ মকবুল আহমদ
এম. ফিল. রেজিঃ নং- ১৪৬/৯৫-৯৬ ইং
আরবী বিভাগ
কলা অনুষদ
ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয়।

ডিসেম্বর ২০০২ ইং